

ولیم شکسپیر

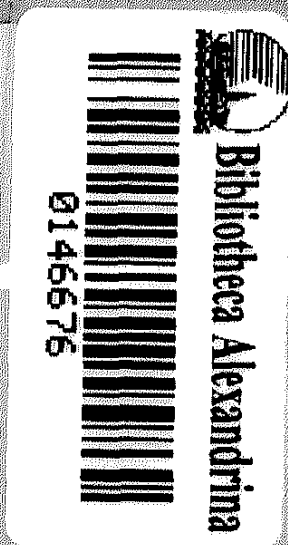


مکاتبات هنری الرابع

تقریب
أ.ر. مشاطی

إشراف
نظیر عبود

دار
نظیر عبود



أشخاص المسرحية

	الملك هنري الرابع.
الأمير جون لنكاستر	هنري : أمير وايلس { إبن الملك
هنري برسي كونت نورثمبرلند	حلفاء يناوئون الملك {
هنري برسي الملقب بـ هاتشبر	
توماس برسي كونت ورشستر	
أوين كلانداور، رئيس من وايلس	
أرشيبالد كونت دوكلاس	
ادموند مورتي مور كونت مارش	
إسكروب رئيس اساقفة يورك	أنصار الملك {
سر رتشرد فرنون	
سر والتر بلونت	
كونت ويستمورلند	
سر جون فالشتاف	
بوينز	

كاذشهيل
بيتو
باردولف
رفاق فالستاف

السيدة برسي: زوجة هاتشبر وأخت مورتيemor.

السيدة مورتيemor : ابنة كلانداور وزوجة مورتيemor.

السيدة كويكلي : مضيقة حانة إيست شيب

لوردات، وضباط، ورجل أمن، وصاحب حانة، وسائس،

وغلمان نزل، وسائقا عربة، ومسافرون، وخدم.

تجري الأحداث في انكلترا

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري وويستمورلند وسرّ والتر بلونت وغيرهما من رجال الحاشية).

الملك هنري: لندع السلام المرتعش الشاحب اللون من شدة القلق
يتنفس لحظة، وبسرعة يسترجع أنفसा، بانتظار المعارك
الجديدة التي ستبدأ قريباً على شواطئنا البعيدة. من
الآن وصاعداً لن تضيق بنا هذه الأرض المضطربة
التي استنزفت في ربوعنا دماء أولادها. لأن الحرب
لن تحفر أخاديد وخراب في سهولنا المنبسطة ولن
تدوس أزهارها بعد الآن جزومات أعدائنا وأفواج خيولهم
أثناء هجماتهم الوحشية على ديارنا. هذه الجيوش
المعادية التي تنقضّ علينا كالشهب من سماء غاضبة،
كلها مصنوعة من طينة واحدة ومركّبة من المادة عينها،

وقد اشتركت سابقاً في اشتباكات داخلية ونزاعات أدّت بهم الى مجازر بين الأخوة. لكنهم اتّحدوا منذ ذلك الحين وتنسّقوا في صفوف متراصّة للهجوم جميعاً علينا بضراوة. وقد كفّ بينهم الأصدقاء عن معارضة أصدقائهم، والأهل عن مشاكسة أهلهم، والحلفاء عن محاربة حلفائهم. ولم تعد نصال الحرب تجرح سادتها نظير خنجر لم يُحسن ردّه الى غمده. فأصبح الآن لزاماً علينا، أيها الأصحاب، أن نهبّ يداً واحدة، كأننا نذهب الى قبر فادينا جنوداً منضوين تحت لواء رايتنا المقدسة، ونصمّم على تدعيم قيادة محاربينا الانكليز. وقد تشابكت أيديهم منذ كانت في بطون أمّهاتهم لطرد الوثنيين من السهول المباركة التي وطأتها قدما الاله المتأنّس منذ أربعة عشر قرناً حين سُمر صاحبهما على خشبة العار الأليمة. لكن، ها قد مضى عام على هذا المشروع فأضحى لا غنى لنا عن تنفيذه. وقد اجتمعنا الآن هنا لا للمناقشة بل... على كل حال، أرجوك، يا ابن عمي ويستمورلند أن تفيدني عما قرّره بالأمس مجلسنا لاستعجال القيام بهذه الحملة العزيزة على قلوبنا.

ويستمورلند : يا مليكي المفدّى، كانت المناقشة حامية متخبّطة، وعدد كبير من قرارات صرّف الاعتمادات مجمّدة مساء البارحة، عندما وصل رسول من مقاطعة وايلس

وزودنا بأخبار خطيرة. أسوأها ان النبيل مورتيمور الذي يقود رجال هيرفورد شاير كالمعتاد لمطاردة الوحش كلانداور قد أسره أخيراً هذا البطل الشهير في مقاطعة وايلس. لأن ألفاً من الرجال قد قُتلوا وبدأت على جثثهم المثخنة جراحاً عميقة آثار تشويهات مشينة ارتكبتها الوائليسيون لا سبيل لاعادة ذكرها أو سرد تفاصيلها بدون أن تحمرّ وجوهنا خجلاً منها.

لملك هنري: وعلى ما يظهر، أخر هذا النبأ المزعج مجمل استعداداتنا للذهاب الى الأرض المقدسة.

ويستمرلند : أجل، هذا خبر يضاف الى سواه من الأنباء المختلفة، يا مولاي الكريم. اذ وردتنا معلومات أخرى من الشمال فيها الحسن وفيها السيئ. واليك ما جاء فيها : يوم عيدنا العظيم، تقابل، في هولمُدن، هاتسبر الجريء والفتى هاري برسي وارشيپالد ألباس، هذا الاسكتلندي الذي برهن على مهارة فائقة. فجرت ذاك النهار أحداث دامية لا يستهان بها، كما استنتجنا من التراشق بالمدافع، على ذمة الراوي الذي امتطى صهوة جواده ليأتينا بالنبأ أثناء احتدام المعركة قبل أن تتبين نتيجتها النهائية.

الملك هنري: ها هوذا صديقنا المخلص والثر بلونت يترجّل عن حصانه، والأوحوال التي كسته من هولمدن الى هنا،

لا تزال عالقة بهندامه. وقد أتانا بأحلى الأخبار
وأبهجها، اذ تفيد ان كونت دوكلاس يهيم على وجهه
وان عشرة آلاف مقاتل اسكتلندي من الشجعان واثنين
وعشرين فارساً، جميعهم يسبحون في دمائهم، قد
قتلهم والتر في سهول هولمُدن. وأنّ هاتسبر قد أسر
مورتي مور وكونت فايف وهو بكر المغلوب دوكلاس،
وكذلك كونت آثول وكونت موري وكونت أنكوس
وكونت منثات. أوليس هذا انتصار باهر مجيد وصيد
ثمين من الأعداء المناوئين، يا ابن عمي العزيز؟

ريستمورلند : لعمرى، هذا ظفر عظيم يفاخر به كل أمير نبيل.

الملك هنري: أجل، لكن هذه الفكرة أحزنتني. لأنني بتّ أحسد
مولاي نورثمبرلند على كونه والد مثل هذا الابن الفذّ
الذي استقطب مديح الجميع بنبل شهامته وبسالته.
وقد برز كزهرة نادرة وبطل محبوب ومفخرة قلّ
نظيرها. بينما انا ظللت شاهداً على أمجاده أبصر
الخصاسات والدناعات كوصمة عار على جبين الفتى
هاري. آه، كم أتمنّى لو أنّ باستطاعتي أن أثبت أن
هناك جنّة جوّالة أثناء الليل قد استبدلت ولدنا وهما
في أقمطتهما، ودعت ابني برسي وابنه بلانتاجيني.
وهكذا كان نصيبي انا ابنه هاري ونصيبه هو ابني
انا. لكن، دعنا من التفكير الآن بهذا... كيف تجد،

يا ابن عمي العزيز، وقاحة الفتى برسي، ان الأسرى الذين باغتهم وجمعهم في هذه المغامرة الموفقة، كما يقول، سيُقيهم تحت سيطرته، ويعلمني اني لن استولي إلا على واحد منهم فقط، هو مرداك كونت فايف.

ويستمولند : وذلك بناءً على نصيحة عمّه ورُسُتر الذي ضايق الجميع في كل المناسبات، ولم يتورّع عن التشامخ ورفع عقيرته حتّى في وجه جلالته.

الملك هنري: غير اني استدعيته لأردّه الى جادّة الصواب. ولهذا السبب اراني مضطراً الى تجميد مشاريعنا المباركة المتعلقة بالقدس. يا ابن عمي، سأجمع مجلسي يوم الأربعاء القادم في قصر وندسور. فأرجوك أن تُعلم اللوردات بهذا القرار، وأن تعود عاجلاً لتظلّ بجواري. لأن كل ما سأقوله وأفعله لا يتيح لي غضبي أن أذيعه وأفسّره.

ويستمولند : أمرك مطاع، يا مليكي الكريم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في نزل

(يدخل هنري أمير مقاطعة وايلس، وفالستاف).

فالستاف : في أية ساعة من النهار نحن الآن، يا هال.
الأمير هنري : أراك قد شربت كثيراً من الخمرة حتى أنك فككت
أزرار قميصك وغفوت على مقعد الحديقة بعد الظهر
ونسيت ما كنت تريد أن تعرفه. ليت ابليس يدلك
على الساعة التي بلغناها في هذا النهار. إلا إذا كانت
الساعات لديك توازي عدد الكؤوس التي رشفتها،
والدقائق كمّية الديوك المشوية التي التهمتها، ورقاص
الساعة أنامل القوادات التي داعبتها، وميناؤها شعار
بيوت الدعارة التي ارتدتها والشمس الساطعة بنت
الهوى المتسريلة بحلّتها الحمراء النارية التي احتضنتها.
لست أدري لماذا تطرح سؤالك النافل عن الوقت
الحاضر في هذا النهار بالذات؟

فالستاف : بالفعل، يا هال، أنت تفهم أفكارى الثاقبة. لأننا نحن
الذين نعرف كيف نستفيد من الفرص ومن الغنائم
نضبط وقتنا على جولة القمر وعلى الأجرام السماوية
السبعة التي تشكل مجموعة الدب الأكبر وليس على
حركات الاله فابوس الفارس التائه. أرجوك أيها الساخر

أيها الساقى. وهكذا، تارةً ينحسر الموج الى مستوى أرجلنا، وطوراً يصعد الى مستوى منصّة المشنقة.
فالستاف : والله، أنت لا تنطق إلا بالحق، يا بنيّ. أولم تلاحظ أن مضيفتي في الحانة فتاة رائعة.

الأمير هنري : بل هي أحلى من عسل النحل، يا غلام الفندق. أولاً تليق بي هذه السترة المصنوعة من جلد الثور وأنا أرتديها كنخبة الذوات؟

فالستاف : تبّاً لك، أيها الساخر اللاذع. ما هذه التلميحات والعقصات؟ ولماذا تهمني سترتك المصنوعة من جلد الثور؟

الأمير هنري : بل لماذا تهمني انا مضيفتك القابعة في الحانة التي زرتها؟

فالستاف : لقد ناديتها أنت مراراً وتكراراً لتجري معها حسابك الطويل.

الأمير هنري : وهل ناديتك انا لكي تدفع حصتك منه؟
فالستاف : لا، أبداً. وأنا أشكرك على كرمك لأنك دفعت كامل المتوجب.

الأمير هنري : أجل، هنا وهناك، حسب ما تسمح لي نقودي. وعندما أكون خالي الجيب، ألجأ الى تسجيلها كدّين على حسابي الخاص.

فالستاف : نعم، لأنك معروف كوارث اكيد... لكن قل لي،

أيها الساخر اللطيف، هل ستظل المشانق منصوبة في
انكلترا عندما ستصبح ملكاً؟ وهل سيظل الحق مهملاً
كما هو اليوم، يتغاضى عنه عدل القانون الذي لم
يعد له في الحقيقة من هبة أو نفوذ؟ أرجوك عندما
تصبح ملكاً أن لا تلاحق اللصوص بنوع خاص
وتسجنهم.

الأمير هنري : كلاً، اطمئن، فأنت الذي ستلاحقهم.
فالستاف : أنا؟ لا، لا. هذه لعمري مسؤولية ظريفة جداً، إذ
سأكون قاضياً نادر الوجود غريب الأطوار.

الأمير هنري : ها أنت منذ الآن تحكم خلافاً لما تشاء. أريد أن
أقول انك ستدين اللصوص وتحكم عليهم بالأعدام
شنقاً. وهكذا تصبح جلاداً لا مثيل له.

فالستاف : ليكن ما تريد، يا هال. فهذا، الى حد ما، يناسب
ذوقي كما لو أنني أصبحت من الحرس داخل قصرك
الملكي، إن أمكنني القول.

الأمير هنري : فتمسي هكذا موظفاً مرموقاً واسع النفوذ.
فالستاف : طبعاً سأصبح موظفاً وسأهتم بهندامي... لأن الجلاد
الذي ستعيّنه أي أنا، لا أملك الكثير من الثياب، وأراني
كثيراً نظير هرّ مسنّ أو دبّ مربوط.

الأمير هنري : أو كنمر عجوز أو كعود عشاق مختل الأوتار.

فالسّتاف : بل كملطّف صوت موسيقى القَرَب في جوقة « لينكولن شائر ».

الأمير هنري : ولماذا لا تتشبه بأرنب برّي أو بمستنقع آسن المياہ في منطقة موردیشن.

فالسّتاف : ما أفضح تشاييهك. في الحقيقة، أنت أمهر مبتكر وأرذل أمير شابّ وسيم الطلعة... لكن، يا هال، أرجوك أن لا تلصق بي سخافات جديدة. وان شاء الله، ستتعلم مثلي من أين تغرف النقود التي تنفقها بدون حساب. هناك لورد هَرم من المجلس أنبني ذات يوم بسببك. ولكني لم آبه لثروته. مع أنه تكلم بحكمة فائقة، إلّا أنني لم استمع اليه وقد تكلم، كما قلت لك سابقاً، بمنتهى الحكمة وفي وسط الشارع.

الأمير هنري : حسناً فعلت، لأن الحكمة تستصرخ الضمائر عادة في الشوارع ولا أحد يصغي إليها.

فالسّتاف : ما هذا الكلام الجارح؟ في الحقيقة، أنت قادر على افساد قدّيس. وما أكثر ما سببت لي من المشاكل. سامحك الله. قبل أن أعرفك، يا هال، لم اكن أدرك شيئاً. والآن اذا وجب عليّ قول الحقيقة المجرّدة، أنا لست أسوأ من أي خاطئ غيري. ولكن، لا بد لي من أن أغير سلوكي هذا، وسأبدله حتماً. وإن

لم أفعل أصبح رذيلًا، لكني لن أدع أولاد الملوك
المتدنيين يلعنوني.

الأمير هنري : أين سنسرق كيس نقود غداً، يا جاك؟
فالستاف : حيث ترغب، يا صاح. وإذا شئت، حين لا ألبي
الطلب، أدعني ساذجاً غيباً واهزأ بي على هواك.
الأمير هنري : حسناً. ألاحظ أنك بتّ تخرجني. إذ أنك صرت تنتقل
من الصلاة الى سلب اكياس النقود بكل سهولة.

(يدخل بويئز ويقف على مسافة منهما).

فالستاف : يا الهي، هذه مهنتي، يا هال. ولا تُحسب على الرجل
خطيئة طالما هو يتعاطى اختصاصه، يا بويئز. ستعرف
إذا كانت في رأس كادسهيل فكرة ما. وإذا كان
هذا الرجل لا ينوبه سوى ما يستحق، أعني حفرة
مشتعلة في جهنم، ستكون حتماً من نصيبه قريباً.
ويكون هذا أقدر صعلوك صرخ في حياته : قف أيها
الجبان وأفرغ جيوبك في يديّ.

الأمير هنري : نهارك سعيد، يا صاح.
بويئز : نهارك سعيد، يا هال... ماذا يقول ضميرك الحيّ؟
وماذا يقول شارب الخمرة الحلوة، يا جاك؟ كيف
تندبّر امورك؟ كيف حالك مع الشيطان الذي يحوم
حول نفسك التي سلّمته اياها بأرخص الأثمان أثناء

آخر يوم جمعة عظيمة لقاء كأس من خمرة مديرا
وفخذ دجاج بارد؟

الأمير هنري : إعلم ان سرّ جون سيّفي بما وعدنا به، ولسوف يقبض
الشيطان حصّته من الغنيمة. (يشير الى فالستاف). هذا
لم يناقض أبداً ما يسري بين الناس من الأمثال المعروفة،
وسيدفع لابلis ما يحقّ له لقاء مساعيه.

بوينز : ها قد لبستك اللعنة، لأنك وفيت بما ودعت أنت
به الشيطان.

الأمير هنري : وإلا سيدينك القاضي، لأنك خدعت الشيطان.
بوينز : آه، يا أولادي تذكروا ان لقاءنا سيتمّ غداً باكراً جداً
أي حوالى الساعة الرابعة صباحاً في منطقة كادشهيل.
سيذهب بعض الحجّاج الى كنتربري ومعهم تقدمات
ثمينة، وسيمضي بعض التجار الى لندن وأكياس نقودهم
غاصّة بقطع العملة. وأنا لديّ أقنعة تكفي لستر
وجوهكم، وأنتم لديكم جيادكم. سينام المدعو
كادشهيل هذه الليلة في إيست شيب. وسنقوم نحن
بعملنا بدون عناء كما لو كنا راقدين في أسرّتنا. فاذا
شئتم ان تأتوا، سأملأ أكياسكم ذهباً رناناً. وإلا،
فالأفضل لكم أن تلاموا بيوتكم، وما عليكم إلا أن
تلوموا أنفسكم على حرمانكم من هذه المغانم.

فالستاف : إسمع، يا ادوارد، اذا بقيت أنت هنا ولم تذهب الى

المكان المعين، أتمنى لك الشنق لعدم موافاتك أيانا.

بوينز : هل ستأتون كلكم، أيها الشجعان؟

فالستاف : أتريد أن ترافقنا، يا هال؟

الأمير هنري : من؟ أنا؟ أراكم تريدون مني أن أسرق أنا أيضاً، وأن أصبح قاطع طُرُقٍ مثلكم؟ كلا ثم كلا، وألف كلا.

فالستاف : هنا لا مكان للشرف ولا للاستقامة حتى ولا للصحبة

المتينة، لا سيما وأنت تنتمي الى الأسرة المالكة

الحاكمة. فاذا لم تكن لديك الشجاعة لخوض الحملة

معنا كيف ستخوض المعركة لأجل الحصول على

العرش؟

الأمير هنري : حسناً، سأغامر مرة واحدة في حياتي، وارتكب هذه

الحماقة التي تدفعونني اليها.

فالستاف : هذا كلام ظريف مسموع.

الأمير هنري : وليتم ما هو مقدّر لي. على كل حال، سأبقى في منزلي.

فالستاف : وأنا سأخالفك قبل أن تصبح ملكاً.

الأمير هنري : هذا الأمر لا يهمني مطلقاً.

بوينز : أرجوك، يا سرّ جون، ان تتركنا انا والأمير وحدنا،

لكي أقدم له حججاً وبراهين كافية تجعله يقبل

بالاشتراك معنا في هذه المغامرة كما دعاها.

فالستاف : أتمنى لك أن تمتلك كل وسائل الاقناع اللازمة، وأتمنى

له أن تكون أذنه صاغية لسماحك. كما أرجو أن تكون أقوالك مؤثرة وأن ينصت اليك ويرضى بحديثك الى حدّ أن تدعه هو الأمير الأصيل يمسي لصاً مزيفاً. فالانحرافات تتطلب في هذه الأيام دعماً قوياً لتروج. الوداع. سنلتقي في إنيست شيب.

الأمير هنري : الوداع، أيها الربيع المتأخر. الوداع، أيه العيد المشؤوم. (يخرج فالستاف).

بوينز : هيا، يا صاح، يا أمير الأصدقاء، إمتطِ صهوة جوادك، وكن غداً برفقتنا. سأقوم بمهمة لا أستطيع أن أنفذها وحدي. فيا فالستاف وباردولف وبيتو وكادشهيل، عليكم أن تنتزعوا عنوةً ما يحمله الأشخاص الذين تداهمونهم. فلا أنا، ولا أنتم، سنظلّ هنا. لكن، حالما تستولون على الغنائم، اذا لم نتوصّل نحن الى انتزاعها منهم، ما عليكم إلّا أن تطيحوا برأسي من فوق كتفيّ. الأمير هنري : ولكن كيف نفرق عنهم أثناء الطريق؟

بوينز : سنسلك الطريق قبلهم أو بعدهم بقليل، ونحدّد لهم موعداً لن نتقيّد به طبعاً، ونفاجئهم هكذا، وسينوؤون تحت ضربتنا لا محالة.

الأمير هنري : نعم، ولكن لا يُستبعد أن يعرفونا من جيادنا ومن ملابسنا أو من أي دليل آخر رأوه سابقاً. بوينز : أما جيادنا فلن يبصروها لأنني سأربطها بأشجار الغابة،

الأمير هنري : غير اني مع ذلك أخشى أن يهتدوا الى حقيقتنا ويتغلبوا علينا.
فنعود اليها حالما نغادرهم، ونرفع أقنعتنا عن وجوهنا.
أخيراً، لديّ قفاطين طويلة نخفي تحتها ألبستنا العادية.

بوينز : ما هذا الكلام؟ انا أعرف رجلين هما من أكثر الخائفين
لم يديرا أبداً ظهرهم لأحد. أمّا الثالث، فاذا قاتل مدة
أطول من المعتاد، فأنا مستعد من جهتي أن أهجر
مهنة حمل السلاح. وفحوى هذه المهزلة السخيفة
أن تتواصل هذه الأكاذيب الهزيلة التي سيغدها علينا
هذا الدجال المحتال عندما نجتمع معاً لتناول طعام
العشاء، بعد أن يكون قد نازل حوالى ثلاثين مسلحاً
على أقلّ تقدير. ولست أدري أي عرض عضلات
ولا أية جزمات ولا أية نهاية سيواجه سيادته. انما
الفضيحة الأخيرة ستنكشف حتماً عند ختام المهزلة.
الأمير هنري : حسناً. سأرافقك، فجهّز كل ما يلزم، وسألحق بك
هذا المساء الى إيست شيب حيث أتناول طعام العشاء.
الوداع.

بوينز : الوداع، يا مولاي.
الأمير هنري (على حدة) : أنا أعرفكم جميعاً وأودّ أن أساير بعض
الوقت مزاجكم أثناء عدم انشغالكم بأي عمل يلهيكم.
وبذلك أريد أن أتشبه بالشمس التي تسمح للغيوم

الفارغة بأن تحجب جمال كوكب النهار هذا كي
تتيح للناس النظر اليها بمزيد من الاعجاب عندما
يفتقدونها، فتبرز لهم وتبدد الضباب الكثيف الذي
يوارىها ويخفي نورها الوهاج. لو كانت الأعياد على
عدد أيام السنة لما ترقبها الجميع بشوق ليرتاحوا من
عناء الشغل. لكن، بما أنها تأتي في أحيان متباعدة،
يتمنون مجيئها على الدوام. لأن لا شيء يعجب أكثر
من الأحداث النادرة الوقوع في هذه الدنيا. وهكذا
عندما أنبذ حياة الفوضى هذه، وأفي الديون التي
أستلفها، فبقدر ما أؤجل تسديدها يزداد تلهف الدائنين
عليها. ونظير معدن يلمع في مكان مظلم، يتسنى
لارتدادي الذي ينعكس بريقه على أخطائي ويجتذب
مزيداً من الأنظار إليّ أكثر من أية فضيلة لا يُبرز
جمالها ما يناقضها من الرذائل كافة. أقاوم وقوعي
في الخطأ، ولكنني أرغب أيضاً أن تنقلب كبوتي الى
نهوض باهر، لأعوّض عن ماضيّ الذي يترقب محيطي
تحسنه الآن أقلّ من أية مناسبة مرّت بهم.

(يخرج).

المشهد الثاني

في القصر الملكي

(يدخل الملك هنري ونورثمبرلند وورسستر، وهاتسبر وسر والتر بلونت وغيرهم)

الملك هنري: لقد كان دمي أبرد وأهدأ من المعتاد حتى أثر بي هذا المقدار من الكرامة المهدورة. لقد خبرتم هذه الناحية حتماً وها أنتم تمعنون في الاستفادة من صبري الطويل. لكن كونوا على يقين باني سأستلهم سموّ مقامي وأكون قوياً وحازماً، لا بداعي أخلاقي المائعة كالزيت، واللينة كريش النعام، بل لأنني بالنتيجة خسرت احترام مقامي الذي لا يوليه أصحاب النفوس الكبيرة تقديراً يليق بمستواه الرفيع.

ورسستر : اسرتنا، يا مولاي، لم تستحقّ هيبة السلطة التي ساهمت سواعدنا في فرضها كما يجب.

نورثمبرلند : مولاي...

الملك هنري: انصرف، يا ورسستر، لأنني أرى التهديد والتمرد يرقان في عينيك. وها هو موقفك الجسور يدل على تشددك. وأنا كملك لا يسعني أن أسكت عن تطاول أحد رعاياي. فلك ملء الحرية للغياب الآن عن نظري. وعندما سأحتاج الى خدماتك ونصائحك سأرسل في

طلبك. (يخرج ورسستر). (لنورثمبرلند) كنت على وشك أن تتكلم، فماذا تريد أن تقول؟

نورثمبرلند : أجل، يا مولاي الكريم. الأسرى المحتجزون في هولمُدن لم يُرفض تسليمهم مطلقاً بطريقة مقصودة، كما قيل لجلالتك. لذا يَجْمَلُ أن ينسب هذا الامتناع الى سوء التفاهم أو سوء القصد ربما، لا الى تعنت إبني.

هاتسبر : يا مليكي، أنا لم أرفض تسليم الأسرى. غير أنني أتذكر عندما انتهت المعركة، اني كنت منهوك القوى فريسة الاستياء، ومن شدة إعيائي أستند الى سيفي، فجاءني أحد اللوردات وهو أنيق المظهر رشيق الحركة كأنه مخطوب ظريف، حليق اللحية رائع الهندام تظنه آت الى مأدبة ملوكية. وكان معطراً كمبتكرة أزياء. وبين اصابعه يمسك بعلبة عطوس صغيرة فوّاحة الرائحة كان يدينها من أنفه من حين الى آخر ثم يعيدها الى جيبه، وهو يترنح أخيراً بمزاج غريب... وكان يتحدث ويتسم باستمرار. وحين يمرّ الجنود حاملين جثث الموتى، كان ينعتهم بالوقاحة والانحطاط، لأنهم تعجسوا على جلب جثة مشوّهة نتنة تعبق رائحتها الكريهة جوّ سيادته. وكأنه يغازل حسناء، طرح عليّ عدة أسئلة وطلب مني تسليمه الأسرى باسم جلالتك.

لكن جراحي عندما بردت في تلك الأثناء أخذت
تؤلمني بشكل غير محمول، واذ ضايقني هذا الماكن
وأخرجني عن تجلدي، وجّهت اليه كلاماً قارساً تلقّاه
بامتعاض، لأنني كنت فعلاً في أشد الانزعاج من عطره
وحديثه ولهجته المتخنّثة ومن جلبة المدافع-والطبول
وآلام الجراح مجتمعةً. سامحني الله. وقد قال لي هذا
الدخيل ان الدواء الناجع لشفاء الرضوض الداخلية هو
مرهم نادر الوجود يستخرج من قلب الأرض المسالمة
ممزوجاً بملح البارود اللعين الذي أتلّف أعضاء عدد
كبير من رجالي الشجعان الظرفاء. وأضاف هذا
المتفلسف أنه لولا دويّ هذه المدافع الهدّامة لكان
هو أيضاً انخرط في سلك الجندية. وعلى أثر هذا
الحديث التافه المضني، يا مولاي، أجبتّه بغموض كما
سبق وقلت لجلالتك. لذا أستحلفك راجياً أن لا تدع
تقريره يبلغ من نفسك مستوى الامتعاض ويبدّد
إخلاصي لجلالتك وقد عهدته لا يتزعزع على مدى
الأيام.

بلونت : اذا أخذنا هذه الظروف الاستثنائية بعين الاعتبار، يا
مولاي، نجد ان كل ما قاله هاري برسي لمثل هذا
الانسان الثقيل الظل في مثل ذلك المكان الرهيب
ومثل تلك اللحظة الحرجة، نظير التقرير المقدّم لهذا

الغرض، جميعها من المستحسن أن ندفنها في طيات النسيان. أجل يجعل بنا أن نتغاضى عما رواه هذا المغرور بما أنه قد تراجع الآن عن إدّعائه.

الملك هنري: هو مصرّ على عدم تسلميّا الأسرى إلّا بشرط أن ندفع نحن فدية زوج شقيقته الأبله مورتيمور. لقد قصد كونت مارش أن يضحي بحياة الذين قادهم الى المعركة لمقاتلة هذا المشعوذ الرهيب كلانداور الملعون الذي، على ما بلغنا، تزوج هذا مؤخرًا ابنته. فهل يتحتم علينا أن نفرغ خزانة أموالنا لإفتداء هذا الخائن السافل؟ وهل يجب علينا أن ندفع ثمن دناءته ونتساهل حيال أنصارنا الذين ضيّعوا مستقبلهم وهدموا كيانهم بأيديهم؟ كلا، ثم كلا. سأدعهم يموتون جوعاً في جبالهم القاحلة، ولن أصادق أبداً على طلب أي رجل يفرض عليّ أن أدفع فلساً واحداً كفدية لاسترداد المتمرّد مورتيمور.

هاتسبر

: المتمرّد مورتيمور، يا مولاي الملك، إن سقط في أيدي العدو فهذا من صدف الحرب. وإثبات ذلك، ها هيذا جراحه ومحنة تتكلم عنه، وقد تلقاها ببسالة على ضفاف النهر حيث ينبت الخيزران بغزارة في مقاطعة سافيرن أثناء قتال جرى وجهاً لوجه طوال ساعة كاملة بينه وبين الجبار كلانداور. ثلاث مرات

استراحا، وثلاث مرات، حسب الاتفاق، رويّا عطشهما من مياه النبع الذي يصبّ في سافيرن. وحين هاله عمق جراحه ركض مسرعاً بين رماح القصب المتمايلة، الى أول ملجأ وأخفى تجاعيد شعره الطويل في السرير الملوّث بدماء جراح المقاتلين البواسل. لم يسبق لرياءٍ أخطّ من ذاك أن يصم عملاً شجاعاً كهذا، بنميمةٍ هكذا خطيرة ومميتة. اذ لم يتلقّ النبيل مورتيمور في الماضي عدداً من الجراح كهذه ببهجة وسرور. فلماذا يرميه لائمه الآن بتهمة التمرد والعصيان؟

الملك هنري: أنت منافق، يا برسي. أجل أنت تشوّه الحقيقة حين تتكلم عنه، لأنه لم يجرؤ على تشبيه ذاته بالداهية كلانداور. أوكد لك انه لم يخطر يوماً بباله ان يجابه مكر إبليس، فكيف يجسر على مواجهة عدد مثل أوين كلانداور؟ ألا تخجل من ادعاءاتك؟ ثق باني لا أريد أبداً أن أسمعك تتحدّث هكذا عن مورتيمور. ارسل اليّ الأسرى الذين تحتجزهم بأسرع وقت ممكن، وإلا ستبلغك أخباري التي لن تسرك بتاتاً... يا كونت نورثمبرلند، أنا آذن لك أن ترافق ولدي. فاذهب وارسل لي الأسرى المشار اليهم، وإلا سينوبك مني ما لا يرضيك.

(يخرج الملك وبلونت والحاشية).

هاتسبر : ولو أتى الشيطان بنفسه هادراً متوعداً ليستلمهم، لن أسلمه اياهم... سأبعث بمن يبلغه قلبي هذا، لأنني لا أريد أن أغفل هذه المشكلة ولو كلفني الأمر فقدان حياتي.

نورثمبرلند : لماذا تتكلم هكذا، يا من استحوذ عليك الغضب؟ تمهل قليلاً، ها هوذا عمك قادم إلينا.

(يدخل ورسستر).

هاتسبر : من يريد أن لا نتكلم بعد الآن عن مورتيمور؟ لعمرى، أنا سأحدث عنه كما أشاء، ولا يسامحني الله، إذا لم أنضم إليه قريباً. أجل أنا مستعد أن أهدر دمي الغالي حتى آخر نقطة لنصرته، وأن أرفع مورتيمور إلى أعلى المراتب نكاية باللئيم بولينبروك، هذا الملك الذي أعمى بصيرته نسيان المودة ونكران الجميل.

نورثمبرلند (لورسستر) : لماذا أغضب الملك ابن شقيقك، يا أخي؟

هاتسبر : لأنه يريد استلام جميع الرجال الذين أسرتهم. وعندما أصررت على أن يدفع فدية شقيق زوجتي شحب لونه ونظر إليّ شذراً كأنه يريد أن يزهد روحى لمجرد ذكر اسم مورتيمور أمامه.

ورسستر : لا يسعني أن ألومه. ألم يعلن المرحوم رتشرد أن

مورتيمور هو الأمير الأقرب نسباً إلى الملك؟

نورثمبرلند : أجل، أعلن ذلك، وأنا كنت حاضراً حينذاك. ولقد

أكّد هذا القول حين رحل الملك المنكود الحظ،
سامحنا الله على كل ما أسأنا به اليه، الى ايرلندا
أثناء حملته التي عاد منها بغتةً ليُخلع عن العرش ويذهب
ضحية الاغتيال.

ورسستر : وبسبب هذه الجريمة النكراء لم تكفّ ألسنة الأغبياء
عن التنديد والتشهير بنا.

هاتسبر : أرجوك أن لا تتسرّع. اني استنتج من حديثك ان
الملك رتشرد أعلن أخي إدموند مورتيمور كوريث
عرشه.

نورثمبرلند : أجل، وأنا سمعت ذلك من فمه بالذات.

هاتسبر : اذاً، لا سبيل الى لوم الملك ابن عمه، اذا قصد إهلاكه
جوعاً وسط تلك الجبال الجرداء. لكنكم، أنتم الذير
توجّتم هذا الرجل العاقّ وساعدتموه على تنفيذ مأرب
في الاغتيال، ألا تجدون من الطبيعي أن يعتبركم الشعب
الحاقد كشركاء مسؤولين وكآلة تنفيذ طيعة، بل
كجلّادين ساعدتم على وضع حبل المشنقة حول عنق
المغدور. سامحوني اذا تماديت في شرح الموضوع
لأبيّن لكم الى أي درك إنحدرتم في عهد هذا الملك
الطاغية الشرير. يا للعار، هل كتب عليكم في هذه
الأيام العسيرة وفي المستقبل الغامض أن يتورّط نبلاء
مثلكم أصحاب جاه ونفوذ واسع، وأن تساهموا في

دسياسة ظلم فاضح كما فعلتم، سامحكم الله، لتقتلعوا الملك السابق رتشرد الذي كان كوردة زاهية فوّاحة، وتجلسوا على العرش مكانه هذه الشوكة السامة بولينبروك؟ وما زاد الطين بلة في هذا التصرف المشين، وما هو غير معقول ولا مقبول أبداً أن تكونوا أنتم أيضاً ضحية خداع وإبعاد ألحقه بكم من قبلتم لأجله بالاشتراك في هذه المؤامرة السافلة. لا، لا، لم يفت الأوان بعد لاستدراك صيانة شرفكم من لطخة العار هذه، واسترداد اعتباركم ومكانتكم السامية في نظر شعبنا. فهلاً انتقمتم لشهامتكم المّهانة وأوقفتم هذا الملك المستهتر عند حدّه ومنعتموه من التماذي في تحقيركم، وهو يسعى ليلاً ونهاراً وي بذل أقصى جهوده للتملّص من هذا الصنيع المشين الذي أهال عليه سيلاً من اللوم والهوان، وهو يريد الآن أن يتنصّل منه بجعلكم أنتم كبش المحرقة. أقول اذا...

ورسستر : أصمت، يا ابن أخي، ولا تنطق بكلمة أخرى، لأنني أنوي اليوم أن أبرز كتاباً سرّياً وأقرأ فيه ما يزعجكم من الفضائح ليفتح عيونكم على كل ما جرى من مغامرات دموية حقيرة يصعب تجنّب ما ستجرّه على الجميع من وبال واذلال.

هاتسبر : اذا سقطنا، فعلينا كلّنا السلام. لا بد لنا من أن نغرق

جميعنا إن لم نحسن السباحة... يتحتم علينا إذا أن نواجه العاصفة ونجابه أفظع الأخطار من الشرق الى الغرب، أَللَّهُمَّ اذا تمكّنا من صيانة سمعتنا من الشمال الى الجنوب، وتركناهم يعلقون هم في الفخ الذي نصبوه لنا... أعتقد بأن قلب الانسان يزداد خفقانه سرعة حين يطارد وحشاً ضارياً أكثر من ملاحقة أرنب بري.

نورثمبرلند : أعتقد أيضاً أن فكرة هذا الانجاز العظيم تفوق حدود الصبر الجميل.

هاتسبر : بحق السماء، سأطير الى القمر الشاحب لأنقذ شرفي المهان. وإلا كان نصيبي ان أغوص الى أعماق المحيط لانتشال شرفي الغريق، هذا اذا كتب لمن يبغي التحرر أن يصل وحده، وبدون مضايقة أي خصم، الى الفوز المنشود. فتباً لمن يكتفي بمكافأة زهيدة كهذه.

ورسستر : ها هوذا مشغول بمجابهة سيل من الأوهام، وليس هناك من موضوع يلفت انتباهه... حسناً، يا ابن أخي. اسمح لي بمحادثةٍ وجيزة.

هاتسبر : انا أسألك هذا السماح.

ورسستر : ما هو مصير هؤلاء النبلاء الأسرى؟

هاتسبر : انا مصمم على الاحتفاظ بهم جميعاً. وأقسم بأن لا أحد سيستلم أيّاً من هؤلاء الأسكتلنديين. كلا، ولو

اقتضى الأمر التفريط باسكتلندي واحد لانقاذ شخصية بارزة، فلن يتم ذلك، لأنني أنوي أن أحتجزهم كلهم بقوة ساعدي.

ورسستر : لماذا تستشيط هكذا غيظاً، بدون أن تصغي الى تفسيرى؟ ستحتفظ بهؤلاء الأسرى..

هاتسبر : أجل، سأحتفظ بهم كلهم. هذا واضح، لا يقبل الجدل. وقد تأكد أنه لن يدفع فدية مورتيمور. وحرّم حتى التحدث بأمر هذا الأخير. غير أنني سأذهب لمقابلته أثناء غفوته وسأصرخ في أذنه اسم مورتيمور مراراً. وسأمرّن ببغائي على ترديد هذا الاسم عالياً، وسأسلّمه إياها لكي تكرّره على مسمعه باستمرار لمجرّد إصراره على عدم سماعه إياه.

ورسستر : إضغ، يا ابن أخي، الى هذه الكلمة أيضاً...

هاتسبر : انا اتعهد على رؤوس الأشهاد بأن أتولّى مهمة وحيدة تهمني غاية الأهمية، وهي إزعاج بولينبروك وتعذيبه، كما سأفعل حيال أمير وايلس الذي لا يستهويه إلا امتشاق السيف. لو لم أكن مقتنعاً بأن والده لا يحبه، بل يتمنى له أن تنهال عليه كل بلايا الدنيا، لكنت سعت الى دسّ السمّ له في كأس شرابه.

ورسستر : وداعاً اذاً، يا نسيبي العزيز. سأحدثك مجدداً عندما تكون على أتمّ الاستعداد للانصات الى أقوالي.

نورثمبرلند : ليتني أعرف ماذا يدفعك الى هذا الكلام؟ ولماذا أنت مستعجل هكذا؟ أراك لا تتلهّف إلّا الى سماع ما يرضيك فقط من شتى الأحاديث.

هاتسبر : ها أنت تراني كم أتعذّب وأتلقّي الضربات من كل صوب، وكيف تدمي الأشواك أطراف جسمي، وكأنّ نمل وكر بكامله يعقصني عندما اسمع أي كلام عن هذا الثعلب الغادر بولينبروك. فمنذ عهد رتشرد... كيف تسمّي ذاك المقرّ؟ لعنة الله على ذلك المكان... أعني كلوسستر شاير حيث يمكث هذا الخداع المحتال عمك الدوق، أريد أن أقول عمه يورك، حيث لأوّل مرة طويت ركبتني أمام ملك البسمات المزيّفة بولينبروك، قبح الله وجهه، عندما كنت أنت بصحبته عائدين من رافنّسبرك.

نورثمبرلند : اسمه قصر بركلي.

هاتسبر : تماماً كما تقول. وكم من المديح كال لي هذا الكلب المتناوم، اذ قال لي : عندما يكبر ويشتد ساعده... ثم، يا هاري برسي الظريف،... وكذلك، يا ابن عمي العزيز... لعنة ابليس على أمثال هذا النسيب الحقير. سامحني الله. والآن أرجوك، يا عمي الكريم، أن تكمل رواية هذه القصة، لأنّ حديثي عنه لا ينتهي.

ورسستر : لا، لا. إذا كنت لم تكمل حكايتك، ما عليك إلّا

أن تواصل سردها، وكلنا آذان صاغية لسماحك.

هاتسبر

: أقسم بحياتي، إني انتهيت منها.

ورسستر

: لِنَعُدْ إذاً إلى أسراك الاسكتلنديين. أطلق حالاً سراحهم

بدون فدية، وكلّف ابن دوكلاس كمفوّض وحيد

لتجنيد الفرق الأسكتلندية. ولأسباب عدّة سأرودها لك

كتابةً، ثق بأن الأمر ليس بعسير. (لنورثمبرلند) أما أنت

يا سيدي اللورد، فبينما سيكون ابنك هكذا منشغلاً

في اسكتلندا، ستلّمح سرّاً لهذا النبيل المحبوب ولرئيس

الأساقفة المبجل...

: تعني يورك، أليس كذلك؟

هاتسبر

: هو بالذات. انه لا يزال تحت وطأة موت أخيه لورد

ورسستر

إسكروب في بريستول. انا لا أتحدّث هنا جزافاً، ولا

أرجّح أن ما أظنّ حدوثه ممكناً، بل أصرّح عن معرفة

أكيدة لا سبيل إلى نكرانها. وقد نُوقش الأمر ورُتّب

واعتبر مشروعاً ضرورياً ينتظر أول فرصة ليدخل حيّز

التنفيذ.

: انا مطلع على حقيقة الواقع، وأقسم بحياتي ان المسألة

هاتسبر

في طريقها إلى الحلّ الملائم.

: أراك دوماً تطلق كلاب الصيد قبل أن تستهدف

نورثمبرلند

الطريدة.

: والله، هذه خطة ناجحة لا مجال لانتقادها. فقبل أن

هاتسبر

أن تواصل سردها، وكلنا آذان صاغية لسماعك.

هاتسبر

: أقسم بحياتي، إني انتهيت منها.

ورسستر

: لِنَعُدْ إذاً الى أسراك الاسكتلنديين. أطلق حالاً سراحهم

بدون فدية، وكلّف ابن دوكلاس كمفوّض وحيد

لتجنيد الفرق الأسكتلندية. ولأسباب عدّة سأرودها لك

كتابةً، ثق بأن الأمر ليس بعسير. (لنورثمبرلند) أما أنت

يا سيدي اللورد، فبينما سيكون ابنك هكذا منشغلاً

في اسكتلندا، ستلمّح سراً لهذا النبيل المحبوب ولرئيس

الأساقفة المبجل...

هاتسبر

: تعني يورك، أليس كذلك؟

ورسستر

: هو بالذات. انه لا يزال تحت وطأة موت أخيه لورد

إسكروب في بريستول. انا لا أتحدّث هنا جزافاً، ولا

أرجّح أن ما أظنّ حدوثه ممكناً، بل أصرّح عن معرفة

أكيدة لا سبيل الى نكرانها. وقد نُوقش الأمر ورُتّب

واعتبر مشروعاً ضرورياً ينتظر أول فرصة ليدخل حيّز

التنفيذ.

هاتسبر

: انا مطلع على حقيقة الواقع، وأقسم بحياتي ان المسألة

في طريقها الى الحل الملائم.

نورثمبرلند

: أراك دوماً تطلق كلاب الصيد قبل أن تستهدف

الطريدة.

هاتسبر

: والله، هذه خطة ناجحة لا مجال لانتقادها. فقبل أن

تنتقل فرق اسكتلندا ويورك الى مرحلة العمل الجدّي
وتلتقي في نقطة معيّنة بمشيئة مورتيمور...

ورسستر : بكل تأكيد.

هاتسبر : بدمتي، هذا ضرب رائع.

ورسستر : هناك أسباب قاهرة تضطرننا الى الاستعجال. فلنبادر

الى انقاذ أرواحنا، ولنرفع رؤوسنا لنرى ماذا جرى.
إذ مهما كان وضعنا هزيراً سيظن الملك اننا
المستفيدون، وسيرى فينا أشخاصاً غير راضين الى
أن يتسنّى له ظرف مناسب للبتّ في أمرنا. وهو منذ
الآن يصرف النظر عن كل ما فيه لنا بعض الفائدة.

هاتسبر : في الواقع، هذا ما يجري. وأعتقد أننا لن نتأخر عن
الانتقام منه.

ورسستر : الوداع، يا ابن أخي... وفي كل هذه القضية، أتبع

الخطوات التي تدلّك عليها رسائلي. وعندما يحين
الأوان، قريباً إن شاء الله، سأمضي سراً الى مقابلة
كلانداور ولورد مورتيمور. حينئذٍ يجب عليك يا
دوكلاس، كما يتحتم علينا، أن نجمع فرقنا بشكل
ملائم حسب خطتي لمساندته بكل وسائلنا وقوانا.
وان كانت في الوقت الحاضر غير ثابتة تماماً كما
نشتهي.

نورثمبرلند : الى اللقاء، يا ابن أخي العزيز، انا على يقين بأن التوفيق حليفنا.

هاتسبر : الوداع، يا عماه. أرجو أن تمرّ الساعات بسرعة حتى تتردّد أصدااء ضرباتنا وتنهدات أعدائنا في ساحة الوغى حسب رغباتنا وتمنيّاتنا.

(يخرجون).

الفصل الثاني

المشهد الأول

وسط باحة نزل في روشستر ليلاً

(يدخل سائق عربة بيده فانوس)

السائق الأول: اذا لم تكن الساعة الرابعة اشنقوني. فالعربة تقترب
من مكان المدخنة الجديدة، وحصاني لم يُحمّل بعد
عجّل أيها السائس.

السائس (من الداخل): ها أناذا.

السائق الأول: أرجوك، يا طوم، أن تنفض الغبار عن سرج الحصان
« كوت » وأن تضع خرقة تحت قوس السرج خشية
أن يتخدش جلد الحيوان المسكين، عند شدّ القمّاط.

(يدخل سائق عربة ثانٍ).

السائق الثاني: حبوب البسلي والفلول هي رطبة مثل الدجاجة المبلولة،

والخيول تحتاج الى قليل من العلف الناشف. ما هذه
الفوضى التي تفشت منذ أن مات السائس رويين؟
السائق الأول: مسكين هذا الغلام، لم يلاق لحظة ارتياح منذ أن
ارتفع سعر الشعير. فقضى عليه هذا الهم الذي تعدى
امكاناته.

السائق الثاني: أعتقد بأن هذا المكان الواقع على طريق لندن أضحي
أبشع مرتع للقمل والحشرات، ومن شدة اللسع ظهرت
البقع على جلدي كفلوس السمك.

السائق الأول: كفلوس السمك؟ بحق السماء، لم يُلَسَّع أحد أكثر
مني منذ صياح الديك أول مرة عند بزوغ الفجر.

السائق الثاني: أليس في هذه الغرف من وعاء ليلي حتى تبول على
قميصك وتدع الروائح الكريهة تنتشر وتفسح المجال
لتفقيس القمل كبيض النمل.

السائق الأول: تعال، أيها السائس. هيا تعال.

السائق الثاني: لديّ قطعة لحم وقليل من الزنجبيل، عليّ أن أوصلها
الى « شايرين كروس ».

السائق الأول: معي ديوك في السلّة، وأخشى أن تموت في داخلها،
أيها السائس. ليحصّدك الطاعون. أوليس من عينين في
وجهك؟ ألا تسمع أيضاً؟ بات من حقي أن أحطّم
رأسك، كأني أشرب جرعة خمرة، فأنا رجل صريح
للغاية. تعال، أيها الشقي... أليس لك من ضمير؟

(يدخل كادسهيل).

كادسهيل : نهارك سعيد، أيها السائق. كم الساعة الآن؟
السائق الأول: أظن أنها الثانية.

كادسهيل : أرجوك أن تسمح لي برهة بفانوسك لأرى أين هو
حصاني البليد داخل الاسطبل المعتم.
السائق الأول: مهلاً، يا صاح. كن على يقين بأنني أعرف حيلة تساوي
اثنتين من هذا النمط.

كادسهيل (للسائق الثاني): أرجوك أن تُعيرني فانوسك.
السائق الثاني: نعم. حاول أن تحزر متى... هل قال : أعطني فانوسك؟
برّبي، أفضل قبلاً أن أراك متدلياً من حبل المشنقة.
كادسهيل : يا صاحبي السائق، في أية ساعة تنوي الوصول الى
لندن؟

السائق الثاني: أوكد لك اني سأصل باكراً جداً، كي أذهب لأنام
وبيدي شمعة أستنير بها . تعال، يا جاري موكس
لنوقظ هؤلاء السادة. فإنهم يريدون أن يسافروا معنا،
ولديهم كثير من الأمتعة.

(يخرج السائقان).

كادسهيل : أنت، يا غلام...
غلام النزل (وهو يدمدم من الداخل): خفيف كسارق كيس النقود
كادسهيل : في الحقيقة، أنت خفيف كغلام النزل. والفرق بينك

وبين سارق كيس النقود هو كالفرق بين الأمر والمنفذ.
عليك إذاً أن تعدّ الخطّة.

(يدخل غلام النزل).

غلام النزل : نهارك سعيد، يا معلّم كادسهيل. ان ما قلته لك
بالأمس، لا يزال معمولاً به. هناك تاجر، أجل هناك
تاجر خشب من مقاطعة كنت جلب معه ثلاثمئة مارك
ذهباً. وقد سمعته الليلة الماضية يحدث، في موضوع
لم أفهمه، أحداً من رفاقه يبدو عليه كأنه محاسب
ومعه أيضاً كثير من الأمتعة. ولقد نهضوا من النوم
وطلبوا أن يقدم لهم بيض مقلّي لأنهم ينوون السفر
بدون تأخير.

كادسهيل : يا صاح، إذا لم يقابلوا موظفي مركز القديس نقولاس
فاني مستعد أن أسلم رأسي للقطع.
غلام النزل : لا، أنا لا أريد. أرجوك أن تترك ذاك للجلاد. لأنني
أعرف جيداً أنك تهوى القديس نقولاس بمقدار ما
يفعل رجل ملحد لا دين له.

كادسهيل : لماذا تكلمني عن الجلاد؟ إذا كان نصيبي أن أشنق
يوماً، سيكون بصحبتني سرّ جون العجوز. وأنت تعرف
أنه هزيل... هناك بعض طروديين لا يفكر أحد بهم،
وعلى سبيل المتعة يتنازلون الى ممارسة هذه المهنة
الحقيرة. وإذا تفحصنا المسألة عن كثب وجدنا أنهم

رتّبوا الأمور كلها لحسابهم الخاص. انا لست شريك هؤلاء الحفاة وحاملي العصي الذين يرتكبون جريمة القتل لقاء خمسة فلوس برفقة مُدّمنين على شرب الجعة يفاخرون بشواربهم الضخمة، رغم كل ما يبدو من نبل وهدوء على المسؤولين وأصحاب الأملاك الوافرة والرجال المرموقين المستعدّين للضرب أكثر من الحديث، وللحديث أكثر من الشرب، وللشرب أكثر من الصلاة. مع ذلك أجدهم مخطئين، لأنهم منشغلون دوماً بالابتهاال الى شفيعهم لتأمين الراحة التي يتوقون اليها. هل قلت الابتهاال؟ انا أقصد النهب والسلب، لأنهم لا ينفكّون يسارعون لملء جزماتهم من الغنائم

غلام النزل : اذا كانت جزماتهم هكذا ملأى بالأموال العامة، أخشى أن تغوص في أحوال الطرقات لشدة ثقلها.

كادسهيل : أبدأ، لأن جزماتهم ملّعة بصباغ الاعتدال. نحن نسرق بكل أمان كأننا في حصن حصين. فلنا وسائلنا الحريزة، ونسير أينما كنّا بدون أن يرانا أحد.

غلام النزل : أنا أعتقد أن ظلام الليل هو الوسيلة التي تحميهم وتجعلهم غير منظورين.

كادسهيل : هات يدك. أقسم لك بشرفي أنك ستنال حصتك من غنائمنا.

غلام النزل : لا بل أقسم لي بمهارتك كلص محتال.

كادسهيل : هيا، يا صاح، لن نختلف على القاسم المشترك بينك وبين سائر الخلائق. قل للسائس أن يجلب لي حصاني الحرون من الاسطبل. وداعاً أيها اللص الظريف.

المشهد الثاني

ليلاً على طريق قرب كادسهيل

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

بوينز : هيا الى المطاردة. لقد ابتعدت عن حصان فالستاف، وهو في حماس غير مألوف.
الأمير هنري : ابتعد من هنا...

(يدخل فالستاف).

فالستاف : بوينز، يا بوينز. أيها الشقي بوينز.
الأمير هنري : اسكت، يا أحمق. ما سبب صراخك هكذا؟
فالستاف : أين بوينز، يا هال؟
الأمير هنري : لقد تسلق أعلى الهضبة. وأنا ذاهب لآتي به.

(يتظاهر بالذهاب).

فالستاف : اللعنة تلاحقني، لأنني أمارس اللصوصية بصحبة هذا

السارق الخبيث. فقد أخذ المحتال جوادي ولست أدري أين ربطه. وأنا تعب جداً بحيث يداهمني اللهاث كلما مشيت مسافة مئة قدم فقط. على كل حال، أخاف أن أموت ميتة عادية اذا نجوت من حبل المشنقة عقاباً على قتلي هذا الوغد اللئيم. ها قد مضى عليّ اثنان وعشرون عاماً وأنا أحاول أن أتجنب هذا الدجال الذي يسحرني بروعة وعوده. ولو لم يدسّ لي هذا اللص مخدراً ليجعلني أحبه، قدّمت عنقي لحبل المشنقة، وإلاّ لما وجدت من تفسير لتعلّقي به الى هذا الحدّ. أجل، لا بد أن أكون قد تناولت بعض المخدّرات. يا بوينز ويا هال، أتمنى أن يحصدكما الطاعون. وأنت، يا باردولف، ويا بيتو، أرجو أن أهلك جوعاً اذا لم أسرق أحداً على بعد خطوتين من هذا المكان. ولو لم يكن من الصعب عليّ أن أهجر هؤلاء اللصوص، وأن أصبح رجلاً مستقيماً لأنقطعت عن تعاطي الخمرة أيضاً. انا سارق صريح لا أخجل أبداً من مهنتي الوضيعة. وبالنسبة الى حالتي الصحية، أنا أمشي مسافة سبعين ميلاً بهمة كقاطع طريق، كأنها مسافة سبعة أميال فقط. وشذاذ الآفاق هؤلاء أصحاب القلوب المتحجرة يعرفون ذلك جيداً. فتباً لهذه المهنة الحقيرة، اذا لم يتمسّك اللصوص ببقية من مروءة أثناء التعامل فيما بينهم. (يُسمع صفير). ها قد حان الوقت.

ليحصدكم الطاعون جميعاً. أعطوني حصاني، أيها
الأوغاد. هيا اعطوني جوادي، أيها الماكرون.

الأمير هنري : اصمت، يا جبان، واجلس هنا على الأرض، بل ألصق
اذنك بالتراب وانصت لعلك تسمع وقع أقدام المسافرين
المرتقب وصولهم بين لحظة وأخرى.

فالستاف : هل لديك قضيب قارص لكي تساعدني على النهوض
عندما أنطرح أرضاً؟ أؤكد لك اني لن أعيد الكرة
لتمريغ خدي في التراب، ولو اعطينني كل الأموال
النقدية المكدسة في خزائن والدك الملك. لماذا تطلب
مني أن أتمدّد على الأرض؟

الأمير هنري : أنت مخطئ. أنا لا أريدك أن ترتمي على الأرض،
بل أن تظل واقفاً على رجلك بقامتك الممشوقة.
فالستاف : أرجوك، أيها الأمير الصالح هال، أن تجد لي حصاني،
يا ابن الملك الكريم.

الأمير هنري : تبّاً لك من غبي جاهل. هل تظنني سائساً لأهتمّ
بجوادك.

فالستاف : الأجدرك بك أن تشنق نفسك، يا وريث ربطة الساق
المتعجرف. اذا وقعت يوماً في قبضتك، فانك ستظل
مديناً لي بالتعويض طوال حياتك. ولن أتردد في تأليف
الأغاني والردّات للتنديد بمساوئك، ونشر كلماتها
المزعجة في محيطي. ولتصبح الخمرة التي أشربها

باستمرار سماً ناقعاً، اذا لم أروّج هذه الأغاني وأعمّمها
في كل مكان. لأنني فعلاً أحبّ اذاعة مثل هذا التنفيس
الذي يخفّف من استيائي وحقدني.

كادسهيل : قف عند هذا الحدّ وإلا... .

فالستاف : ها قد توقّفت صاغراً.

بوينز : هذا عواء كلب صيد يخصنا، وأنا أعرف صوته جيداً.

باردولف (لكادشهيل) : ما وراءك من الأخبار؟

كادسهيل : استروا وجوهكم بأقنعتكم. فها هوذا خازن مال الملك
ينحدر على سفح الهضبة قاصداً قصر الملك.

فالستاف : أنت مخطئ يا غبي. هو ذاهب الى حانة الملك.

كادسهيل : انتبه. أن ما يحمله من مال يغنينا جميعاً فترة طويلة.

فالستاف : أجل. ثم يقودنا جميعاً الى جبل المشنقة.

الأمير هنري : أنتم الأربعة، يا سادتي، ستوقفون موكبه عند الممرّ
الجبلي. وأنا وادوارد بوينز سنتنظر في مكان أقلّ علواً.
فان نجوا من مدامتكم حينئذٍ نتكفل نحن بهم
ونباغتهم بانقضاضنا عليهم.

بيتو : كم يبلغ عددهم؟

كادسهيل : من ثمانية الى عشرة أشخاص.

فالستاف : لعمرى، انا أخشى أن يسطوا هم علينا ويسلبونا ما

معنا. وهكذا ينقلب السحر على الساحر.

الأمير هنري : تباً للأمير جون « لا بانس » من جبان.

فالسّاف : وهل تظنني جدّك البطل جون دي غان؟ لكنني مع ذلك لست جباناً، يا هال.

الأمير هنري : عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

بوينز : يا صاحبي جاك، حصانك مربوط خلف السياج. وعندما تحتاج اليه ما عليك إلا أن تأخذه من هناك. الوداع، وكن على أتم الاستعداد.

فالسّاف : آه. لو أمكنني أن أحنقه، عندما أساق الى جبل المشنقة.

الأمير هنري : أين أدوات تنكرنا، يا ادوارد؟

بوينز : هي هنا الى جانبنا. اتبعوني عن كشب.

(ينسحب الأمير هنري وبوينز)

فالسّاف : هيا، يا سادة، أتمنى لكم حظاً موفقاً. ولينصرف كلّ منّا الى عمله.

(يدخل المسافرون)

المسافر الأول : تعال، يا جار. فالغلام يسوق جيادنا الى أسفل الهضبة. تعالوا نمشي قليلاً لتمرين عضلات أقدامنا.

للصوص : قفوا جميعكم في أمكنتكم.

المسافرون : يا إلهنا، أشفق علينا وارحمنا.

فالسّاف : أضربوهم، انقضّوا عليهم، أيها الرفاق، واقطعوا أعناقهم اذا لزم الأمر. تبّاً لكم، أيها الأوغاد، يا أبناء الحرام، يا أكلة الدهن البُلّهاء. تبّاً لهم من أنذال لأنهم يمقتوننا

الى أقصى حدود الكره. هيا، أيها الشبان، إبطحوهم أرضاً، وانتزعوا كل ما يحملونه من غالي ونفيس.

المسافر الأول : لقد هلكنا وفقدنا جميع ما معنا.

فالستاف : هيا الى المشنقة، يا أصحاب البطون المنتفخة. تقولون

انكم هالكون. كلا، أيها الأشحاء الأغبياء. أتمنى أن

يكون معكم كل ما تملكون من تحف وأموال. هيا،

الى الأمام، أيها الجبناء. بماذا تتمم أيها الأحمق؟ ألا

تريد أن يعيش أمثالنا الشبان؟ أنتم حقاً أوزات مُسمّنة.

وأنا أوكد لكم اننا سنجرّدكم من كل ما تحملون.

(يأخذ فالستاف ورفاقه بتجريد المسافرين وسلبهم، ثم يُعدونهم،

وحين يخرجون، يدخل الأمير هنري وبوينز).

الأمير هنري : لقد سلب اللصوص هؤلاء الناس الأشراف. والآن اذا

أمكننا، أنا وأنت، أن نسرق اللصوص ونعود مسرورين

الى لندن، سيظل هذا الحادث يسّلينا طوال أسبوع

وسنضحك طوال شهر، وننكّت على الدوام.

بوينز : لنحدّ قليلاً عن الطريق، لأنني أسمعهم يقتربون منّا.

(يدخل اللصوص).

فالستاف : هيا، يا سادة، لنقتسم الغنائم، ثم نمتطي جيادنا ونرحل

على عجل. فاذا لم يكن الأمير وفالستاف من الجبناء

المخدوعين، ليس في الدنيا من أثر للعدالة. وأنا على

يقين بأن بوينز لا يساوي أكثر من بطة بريّة.
الأمير هنري (وهو ينقضّ): هاتوا ما معكم من نقود أيها الأوغاد.
بوينز : يا لكم من حمقى. لماذا لا تمثّلون؟

(وفيما اللصوص لاهون باقتسام الغنائم، ينقضّ عليهم الأمير وبوينز.
وبعد ضربهم بالقضيب مرة أو مرّتين، يهرب جميع اللصوص،
وكذلك فالستاف ويتركون غنائمهم على الأرض).

الأمير هنري : هذه غنيمة باردة حقاً. والآن الى صهوة جيادنا،
ولنرحل سريعاً بغاية الفرح والسرور. فقد تشتّت
اللصوص بعد أن تملّكهم الفرع الى حدّ أنهم لن
يجرؤوا على الاقتراب بعضهم من بعض، لأن كلاً
منهم أخذ يعتبر رفيقه من الشرطة. هيا بنا نجدّ السير،
يا ادوارد. فان فالستاف يكاد يموت من الهلع، وهو
يسقي الأرض بما يتصبّب منه من العرق، ويسرع
الخطى هارباً. وأنا أكاد أنفجر من الضحك وأرثي
لحاله مشفقاً.

بوينز : مع أن هذا الأحمق، فضلاً عن ذلك، كان يزمجر
حانقاً بسبب ما فعلناه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في قصر واكوزث

(يدخل هاتسبر، وهو يقرأ رسالة)

هاتسبر

: « من جهتي، يا مولاي أنا مبتهج جداً لوجودي هنا، نظراً الى ما أكنّه من المودة لأسرتك الكريمة ». يقول « أنه مبتهج جداً » فلماذا هو غير موجود هنا؟ ثم يقول : « نظراً الى ما يكنّه من المودة لأسرتي الكريمة ». وبذلك يبرهن على أنه يحبّ أهراءه أكثر مما يحبّ أسرتي. لأكمل قراءة الرسالة : « ان المشروع الذي تريد تحقيقه خطير جداً... » هذا طبعاً أمر لا شك فيه. هو خطر لأنه سيلتقط عدوى الرشع، ثم يشرب وينام. لكنني أصرّح لك، أيها المولى الغبي، انني بسبب هذه الشوكة النابتة من الخطر سنقطف زهرة السلم والأمان ». يقول ان المشروع الذي أريد تحقيقه محفوف بالمخاطر، وان الأصحاب الذين عدّدت أسماءهم غير أهل للثقة، وان الأوان المحدد غير ملائم، وكل خطتك خفيفة الوزن لا تعادل ثقل قوة معارضيها... » هذا ما تقوله أنت. وأنا أؤكد لك ردّاً على تصرّيحك، انك في الواقع أحمق وجبان وغلّيط الذهن ومنافق. تباً لدماغك المعطوب. إلا أعلم

ان خطتي ليست أفضل من مشروعك، وان أصدقائي أمناء وأهل للثقة خلاف ما تظن. وبما أن الخطة نافعة والأصدقاء أوفياء يمكن الاعتماد عليهم، فهي خطة ممتازة ما دام الأصحاب المنفذون لا يوجد أشد إخلاصاً منهم. ليتني أعرف من أية طينة مجبول هذا الغبي وكيف يتصرف على هواه؟ هل يوافق مولاي يورك على الخطة المرسومة وعلى سير الأمور بصورة اجمالية؟ لو كنت بقرب هذا المعتوه لكنت حطّمت رأسه بهذه المروحة النسائية. أوليس من حساب لي ولأبي ولعمي وللورد إدموند مورتيمور وللورد يورك وأوين كلانداور؟ أوليست هناك أيضاً أسرة دوكلاس؟ أوليس بحوزتي تعهد منهم مكتوب بخط يدهم ينصّ على أن أنضم اليهم وأحمل السلاح في اليوم التاسع من الشهر القادم؟ أولم يبادر بعضهم الى السير؟ تَبّاً لهذا الجاحد الأحمق. تَبّاً له من منافق دجّال. سترون كيف سيذهب هذا الجبان الأرعن الى الملك ومن جرّاء وجومه ودناءته، سيكشف له كل مرامينا. كم أود أن أتمزّق إرباً إرباً لأنّي تهاونت وعرضت على هذا الرعيد قضية بمثل هذه الأهمية. انه فعلاً يستحق الشنق حالاً، اذا باح بكل ما أطلعناه عليه لجلالة الملك. عليّ أن أكون على أتم الاستعداد لحماية مصالحتي، وأن أرحل هذا المساء بالذات.

(تدخل السيدة برسي).

هاتسبر : ما بك، يا كايّ؟ لا بد لي من مغادرتك بعد ساعتين على الأكثر.

السيدة برسي: سيدي الكريم، لماذا أنت منزو هكذا؟ ولأي خطأ صدر عني أبعدتني منذ خمسة عشر يوماً عن سريرك، يا عزيزي هاري؟ قل لي يا مولاي الظريف، ماذا حرمك الشهية والبهجة والنوم الهنيء؟ لماذا تُطرق الى الأرض وترتعش عندما تكون منفرداً؟ ماذا أفقدك نضارة وجنتيك؟ ولماذا حرمت نفسك كنوزي وحرمتني جميع حقوقي عليك، يا حبيبي، ألتسترسل في الأحلام القاتمة والكآبة المضنية؟ أثناء غفواتك الخفيفة، سهرت عليك وسمعتك تتمم قصص قتال مسلّح وتوجّه تعابير تتعلق بالخيال الى حصانك الجافل وتصرخ به : « تشجّع وتقدّم ». وتكلّمت عن جولات ومنحدرات وصروح ومدافع وفوهات نار وأسرى دفعت فديتهم وجنود قتلوا، وعن جميع تفاصيل الاشتباكات العنيفة التي خضتها. وهذا دليل واضح على أن تفكيرك قد اشترك في حروب، وتعب أثناء نومك حتى تصبّب العرق من جبينك مثل فقاقيع ماء تحرك بغتة. وقد بدت على محياك تشنّجات غريبة كالتي نراها على وجوه المقاتلين حين يكتمون أنفاسهم فترة طويلة.

فما معنى كل هذه العلامات المقلقة؟ لا بد من تكون،
يا سيدي، قد اشتركت في أمور خطيرة، عليّ أن
أعرفها وإلاّ كان تكتّمك برهاناً قاطعاً على انك لم
تعد تحبّني.

(يدخل أحد الخدم).

هاتسبر	: أعلمني ان كان جليام قد ذهب مع الجماعة؟
الخدام	: أجل، يا مولاي، منذ ساعة من الزمن.
هاتسبر	: هل أخذ بئتر جواده من مقرّ رجل الأمن؟
الخدام	: أخذ حصاناً منذ لحظة، يا مولاي.
هاتسبر	: أي حصان؟ البنيّ اللون، أليس كذلك؟
الخدام	: نعم، يا مولاي.
هاتسبر	: هذا الجواد هو شبيه بعرشي. أجل، وسأكون على متنه بعد برهة. ما أحلى الأمل. قل لبئتر أن يأخذه الى الحديقة.

(يخرج الخادم).

السيدة برسي:	اسمع، يا مولاي.
هاتسبر	: ماذا تقولين، يا سيدتي؟
السيدة برسي:	ماذا يبعدك هكذا عني؟
هاتسبر	: جوادي، جوادي الخبيث.
السيدة برسي:	تبّاً لك، ما أشدّ هوسك. أراك كثير الاضطراب، ولا

بد لي من أن أعرف ماذا يشغل بالك، يا عزيزي هاري. أجل أريد أن أعرف. اذ اني أخشى أن يتحرك أخي مورتي مور لتأمين حقوقه، وأن يرسل في طلبك لكي تدعم جهوده. لكن، اذا مضيت...

هاتسبر : حتى الآن أنوي السير على الأقدام. وهذا يتعبني، يا حبيبتي.

السيدة برسي: هيا، هيا، يا بغاء، أجبني رأساً على السؤال الذي أوجهه اليك. بدمتي، سأكسر إصبعك الصغير، يا هاري، اذا لم تشأ أن توضح لي الحقيقة بكاملها.

هاتسبر : كفى، كفى، يا محتالة. أنت تريدان أن أبقى على حبك. وأنا لم أعد أحبك لأنني لا أريد أن أهتم بك، يا كائت. لقد فات الوقت الذي كنت فيه تتلهين بي كالدمية وتزمن شفتيك حنقاً عندما لا أسايرك. انا الآن بحاجة الى من يساعدني بنقوده، لأن المال المبدول هو الذي أحتاج اليه في هذه الأيام... تباً لك، يا حصاني، أين أنت؟... ماذا قلت، يا كائت. ماذا تريدان مني؟

السيدة برسي: هل حقاً لم تعد تحبني؟ ألا تحبني الآن؟ ليكن لك ما تشاء. وبما أنك لا تحبني، أنا لا أريد أن أحب نفسي. ألا تحبني فعلاً؟ قل لي إن كان تصرحك هذا جداً أو مزاحاً؟

هاتسبر

: هل تريد أن تشاهدي كيف أمتطي صهوة جوادي؟
عندما أجلس على سرجه سأقسم لك اني أحبك الى
الأبد. لكن اسمعيني جيداً، يا كائت. من الآن وصاعداً
لا أريد أن تسأليني الى أين أنا ذاهب، ولا أن تناقشيني
في هذا الموضوع بتاتا. أنا أذهب حيث يجب عليّ
أن أكون. ختاماً، يتحتم عليّ أن أغادرك منذ هذا
المساء، يا كائت اللطيفة. أنا أعرف جيداً انك حريصة،
لكن حريصة فقط كما يسع زوجة هاري برسي أن
تكون. أنت قوية ونشيطة، لكنك تظللين امرأة. ومن
ناحية أسراري ليس من يكتمها أفضل منك. وأنا واثق
بأنك لن تبوحني بما لا تعلمين. إلى هذا الحد البعيد
تبلغ ثقتي العمياء بك، من هذا القبيل، يا كائت الحلوة.

السيدة برسي: كيف الى هذا الحد؟

هاتسبر

: لا أكثر، مطلقاً، ولو قيد أنملة. لكن، أصغي اليّ،
يا كائت. حيث أذهب ستذهبن أنت أيضاً. وأنا اليوم
ذاهب، وستلحقين بي غداً. هل أنت مسرورة هكذا،
يا حبيبتني كائت؟

السيدة برسي: بما أن لا بد من حصول ذلك.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في حانة هور بضاحية إيست شيب

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : أرجوك، يا ادوارد أن تخرج من هذه الغرفة القذرة،
وان تساعدني كي أضحك قليلاً.

بوينز : أين كنت، يا هال؟

الأمير هنري : مع ثلاثة أو أربعة سخفاء بين ستين أو ثمانين برميلاً.
وقد عزفت على أضخم أوتار الوضاعة. اعلم، يا
صديقي، اني زميل ثلاثي من الفتيان المدمنين على
أقبية الخمرة. وأستطيع أن أدعوهم بأسمائهم بدون
ألقاب، وهم طوم وديك وفرنسيس الذين يؤكدون لي
منذ الآن، وإن كنت لا أزال ولي العهد أمير وايلس،
بأنني حتماً سأكون ملك الظرفاء. واني لست غراً
نظير فالستاف، بل أشبه أهالي كورنثيا، أي اني فتى
طيب القلب حسن السلوك. وهكذا يجعلني الجميع
منذ الآن. وعندما أصبح ملك انكلترا، سأكون سيّد
جميع حانات إيست شيب. اما تعبيرهم عن شرب
الخمرة جرعة واحدة بدون مزجها بالماء، فهو
« الصباغ الأحمر ». وعندما يتنفس الشارب أثناء تجرّعه
الخمرة، يهتف الحاضرون « هم » ويصرّون على تجرّع

الكأس دفعة واحدة. بالاختصار، أحرزتُ بعضُ التقدم في هذا المجال خلال ربع ساعة فقط وبتَ قادراً في الشرب على مجاراة أمهر سكير صادفته في حياتي. أصرّح لك، يا ادوارد، بأن فخراً عظيماً قد فاتك لأنك لم تكن بصحبتني أثناء هذا التمرين الهام. لكن، يا ادوارد الظريف، بغية زيادة تلطيف اسمك المحبب، أعطيك هذا القرن من السكر الذي قدّمه لي خادم فتى لم يردّد في حياته عبارة أكثر من هذه : اعطني ثمانية شلنات ونصف لأرحب بك أجمل ترحيب. ويضيف هاتفاً : بعد لحظة، يا سيدي، بعد لحظة فقط. هيّا، صبّ كأساً من الخمرة الحلوة وأجلبها الى هنا. وفي هذه الأثناء، لتمضية الوقت ريثما يصل فالستاف، أرجوك أن تظلّ الى جانبي. وسأسأل هذا الغلام المغرور، لماذا أعطاني هذا القرن من السكر. وأنت ستنادي فرنسيس بشكل يجعل استدعائي إياه يستمرّ جوابه هاتفاً : « بعد لحظة ». تقدّم الى هنا لأعلّمك الطريقة الواجب اتباعها.

بوينر (ينادي) : فرنسيس.

الأمير هنري : أنت هائل.

بوينر (ينادي) : فرنسيس.

(يخرج)

(يدخل فرنسيس).

فرنسيس : لحظة، لحظة يا سيدي... أنظر الى تلك الجهة، يا رالف.

الأمير هنري : تعال، الى هنا، يا فرنسيس.

فرنسيس : مولاي.

الأمير هنري : كم من الوقت عليك أن تخدم هنا بعد الآن، يا فرنسيس؟

فرنسيس : خمسة أعوام على ما أظن، وربما أكثر.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : خمسة أعوام، لعمرى، هذا ارتباط طويل الأمد للخدمة في هذه الحانة. هل تجرؤ على فسخ الاتفاق، يا فرنسيس، وعلى الهرب فوراً؟!

فرنسيس : هذا صعب التحقيق، يا مولاي.. لكني أقسم لك، وأنا أضع يدي على جميع الكتب المقدسة في انكلترا، اني أجرؤ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : ما هو عمرك يا فرنسيس؟

فرنسيس : ربما... في عيد القديس ميخائيل القادم أبلغ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.

فرنسيس : قلت لك، يا سيدي، بعد لحظة واحدة فقط... أرجوك
أن تنتظرني قليلاً يا مولاي.

الأمير هنري : لا، لا. إسمع، يا فرنسيس. إن ثمن قرن السكر هذا
الذي أعطيتني إياه هو فلس واحد، أليس كذلك؟

فرنسيس : كم تمنيت لو كان فيه مرتين ما يحويه.
الأمير هنري : أريد أن أدفع لك مقابله ألف ليرة. أطلبها مني متى
شئت، وستنالها.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، أين أنت؟

فرنسيس : لحظة واحدة، وآتي اليك.

الأمير هنري : بعد لحظة، يا فرنسيس، لا، لا، يا فرنسيس، بل غداً
يا فرنسيس، أو يوم الخميس، يا فرنسيس، أو بالبحري
عندما تريد، يا فرنسيس...

فرنسيس : مولاي.

الأمير هنري : هل توافق علي سرقة إنسان يرتدي سترةً من الجلد
وأزرارها من بلّور، وفي اصبعه خاتم من العقيق، وفي
رجليه جوارب وحذاء أسود، وكلامه معسول، ولهجته
انسانية؟

فرنسيس : ماذا تقصد أن تقول، يا مولاي؟

الأمير هنري : أرى ان مشروبك هو من الخمرة الرخيصة. حذارِ
أن توسّخ رداءك الأبيض، يا فرنسيس. ففي بلاد البربر،
لن يكون سعره أغلى من هنا.

فرنسيس : ماذا تقول، يا مولاي؟
بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.
الأمير هنري : إذهب، يا مغفل. ألا تسمعه يناديك بإلحاح.

(في هذه اللحظة ينادي الأمير وبوينز فرنسيس في آن واحد.
فيقف الغلام مشدوهاً لا يدري أين يذهب).
(يدخل صاحب الحانة).

صاحب الحانة : ما هذا؟ أراك تظلّ جامداً عندما تسمعي اناديك
هكذا باستمرار. هيا إلى العمل هناك. (يخرج فرنسيس)
مولاي، ان سرّ جون وبضعة أشخاص غيره هم بالباب،
فهل تريد أن أدخلهم؟

الأمير هنري : دعهم ينتظرون برهة، ثم افتح لهم الباب (يخرج صاحب
الحانة). يا بوينز.

بوينز (راجعاً) : لحظة، يا سيدي.
الأمير هنري : يا صديقي، ها هو فالستاف وزمرته من اللصوص،
ينتظرون بالباب. فهل هذا يسرنا؟

بوينز : أجل نحن في غاية السرور، كالزير الذي يقضي أوقاته
في الانشاد، يا صاح. لكن، قل لي ما هذا المزاح
المزعج الذي شغلك برهة مع الغلام؟ وماذا أفادك؟
الأمير هنري : لقد أبدى هذا المزاح لأجل المزاح فقط. وهذا شأن
الانسان منذ عهد آدم إلى يومنا هذا، بل إلى هذه
الساعة حول منتصف الليل.

(يعود فرنسيس حاملاً خمره).

الأمير هنري : كم هي الساعة الآن، يا فرنسيس؟

فرنسيس : لحظة، يا سيدي، لحظة.

الأمير هنري : هذا الغلام يثرثر أكثر من البغاء، وإن كان ابن امرأة،
وظيفته الصعود والنزول على الأدراج، ومعلوماته
تنحصر في مجموع ثمن ما يستهلكه الزبائن من
المشروبات. انا لا يسعني ان أحذو حذو برسي في
المزاجية ولا هاتسبر الشمالي الذي يقتل ستين أو سبعين
اسكتلندياً أثناء تناوله طعام الافطار، ثم يغسل يديه
ويقول لزوجته : تباً لهذه الحياة الهادئة التي لا أجد
فيها ما يشغلني جدّاً. فتجيبه : يا عزيزي هاري، كم
رجلاً قتلت اليوم؟ فيصيح : اسقوا حصاني البني. وبعد
مرور ساعة من الزمن يجيب : « حوالى أربعة عشر،
وهذا عدد زهيد، زهيد جداً. أرجوك أن تدخل
فالستاف. سأقوم مقام برسي، وهذا الخنزير اللعين
سيقوم مقام زوجته السيدة مورتيمور. فقال السكران :
أدخل صاحب البطن المنفوخ المحشي ذهباً.

(يدخل فالستاف وكادسهيل وباردولف وبيتو).

بوينز : السلام عليك، يا جاك. أين كنت؟

فالستاف : تباً لكل الجبناء. ليذهبوا الى الجحيم، آمين. اعطني

كأس خمرة يا غلام. وبدلاً من مواصلة هذه الحياة
الرتيبة المملّة، أرى أن الأجدد بين أن أرفو الجوارب
وأرقعها ثم أدوسها بقدمي. حصد الطاعون كل الجبناء.
اعطني كأس خمرة، يا غبي. أولم يبقَ من أثر للفضيلة
على وجه الأرض؟.

(يشرب).

الأمير هنري : هل رأيت في حياتك الإله فابوس يداعب كتلة من
الشحم تحت أشعة الشمس الحارّة؟ إن رأيت هذا
المشهد، أنظرُ إذاً الى هذا الرجل البدين العجيب.

(يشير الى فالستاف).

فالستاف : يا أحمق، تبدو هذه الخمرة كأنها تحوي كلساً. هكذ
الرجل الخبيث لا بد من أن ينضح بما في داخله
من القبايح، مع ان الجبان هو أبشع من كأس الخمرة
التي تحوي الكلس، أيها الغشّاش. أكمل طريقك، يا
جاك العجوز، ومُت إن شئت. وإذا لم تنقرض الرجولة
الحقيقية عن وجه الأرض، أكون أنا كالسمك المجفّف
المدخن. ليس في انكلترا إلّا ثلاثة رجال نجوا من
حبل المشنقة أحدهم بدين مسنّ. كان الله في عوننا،
وسط هذا العالم السافل. كم أودّ أن أكون مرّماً

لأنشد لك المزامير أو غيرها من المراثي. مرة أخرى،
تباً لكل جبان حقير.

الأمير هنري : ماذا تغمغم، يا كتلة الشحم والدهن؟

فالستاف : يا ابن الملك، اذا لم اطرذك من مملكتك بسيف من
خشب لا من فولاذ، ولم أطرّد رعاياك أمامك نظير
قطيع من الأوز البرّي، لن أدع شعرة واحدة تنبت
في ذقني، يا أمير وايلس.

الأمير هنري : ماذا تقول، أيها اللقيط، يا كتلة الشحم البشري، ما
الأمر؟

فالستاف : إن لم تكن جباناً، أجب على سؤالي. وأنت أيضاً،
يا بوينز.

بوينز : يا كيس التبن، اذا دعوتني جباناً، سأطعنك بخنجري.

فالستاف : انا تدعوني جباناً؟ سألعنك قبل أن تعتبرني هكذا.
غير اني أمنح ألف ليرة لكي أتمكن من الركض بمثل
سرعتك الفائقة في الهرب، يا صاحب الأكتاف
العريضة. أما أنت فالأمر لا يهملك كثيراً وما عليك
إلا أن تولينا ظهرك. هل تعتبر عملك هذا تكاتفاً مع
أصدقائك؟ تباً لهذا التضامن المبتور. كلمني عمن
يجسر على مجابهتي. هات كأساً من الخمرة... كي
أغابي عندما أشرب في هذا النهار.

الأمير هنري : أيها الشقي، أنت تكاد تمسح شفتيك بعد أول جرعة شراب.

فالستاف : هذا لا يهمّ. مرة أخرى أقول : تبّاً لكل الجبناء.
(يشرب).

الأمير هنري : ما الخبر؟
فالستاف : أتسألني ما الخبر؟ ها نحن الآن أربعة، قبض كلُّ منا الف ليرة، هذا الصباح

الأمير هنري : أين هي هذه الليرات، يا جاك، أين هي؟
فالستاف : أين هي؟ لقد إنترعت منا، اذ كنّا أربعة مساكين مقابل مئة مهاجم.

الأمير هنري : كيف تقول مئة، يا عزيزي؟
فالستاف : أكون غيباً، ان لم أجابه بسيفي عشرة منهم مدة ساعتين. لقد نجوت أنا بأعجوبة، إذ تلقيت ثماني جزمات على سروالي الأرجواني، وأربعاً على جنبي، وثقب ترسي من طرف الى آخر، وتلّمْ سيفي وأصبح في يدي كالمنشار. وها هو البرهان القاطع، على ما انتابني من الغضب هكذا منذ أن أصبحت رجلاً. وكل ما فعلته لم يأتِ بأية فائدة. اكرّر قولي تبّاً لكل جبان. دعهم يتبجّحون. وإذا أصرّوا على تجاهل الحقيقة بشكل من الأشكال يظلّون أشراراً، وأبناء الظلام الحالك السواد يُدعون.

الأمير هنري : تكلموا، يا سادتي، وأخبروني عن كل ما جرى.

كادسهيل : وقفنا نحن الأربعة تقريباً في...

فالستاف : كانوا ستة على الأقل، يا مولاي.

كادسهيل : وقد تغلبنا عليهم.

بيتو : لا، لا، هم تغلبوا علينا.

فالستاف : يا دجّال، بل جميعهم كانوا المغلوبين، بدون استثناء.

وإلا كنت أنا أجبن الجبناء.

كادسهيل : وعندما أردنا أن نقتسم الغنيمة، انقضّ علينا ستة أو سبعة غيرهم.

الأمير هنري : ماذا تقول؟ هل تشاجرتهم واياهم كلهم؟

فالستاف : كلهم؟ لست أدري ما تقصد بكلمة كلهم؟ اذا لم

اقاتل خمسين، أكون كباقة الفجل. وان لم يكونوا

اثنين وخمسين أو ثلاثة وخمسين، مقابل المسكين

جارك العجوز، لا أكون مخلوقاً أمشي على رجلين.

الأمير هنري : أسأل الله أن لا تكون قد قطعت رأس أحد.

فالستاف : الصلاة لم يعد لها أي مفعول في هذه الأيام، لأنني

طعنت شخصين بخنجري. أجل، سدّدت أيضاً

حسامي الى اثنين من الأغبياء. أتريد أن أقول لك،

يا هال، إن كذبت عليك، أبصق في وجهي، وادعني

حماراً أحمق. أنت تعرف قصتي القديمة. وها هوذا

وضعي الحاضر. وأنا أشهر نصلتي، إنقضّ عليّ أربعة

من هؤلاء الأوغاد.

الأمير هنري : كيف أصبحوا أربعة، وقد ذكرت منذ لحظة انهما كانا اثنين فقط؟

فالستاف : لقد قلت أربعة، أجل أربعة.

بوينز : نعم، نعم، قال أربعة.

فالستاف : وقد هاجمنا الأربعة مواجهةً، واجتمع الأربعة لمقاتلتي أنا، في آن واحد. وبدون أن يرف لي جفن صددت سيوفهم السبعة بترسي هكذا.

الأمير هنري : سبعة؟ ولكن منذ لحظة أكدت أنهم كانوا أربعة.

فالستاف : أجل، أجل.

بوينز : أجل أربعة، منهم...

فالستاف : بل سبعة، تلقيتهم بهذه القبضة، وإلا، أكون دجالاً منافقاً.

الأمير هنري (لبوينز) : أرجوك أن تتركه يدعي ما يشاء. سنناقش الموضوع فيما بعد.

فالستاف : هل تسمعي، يا هال؟

الأمير هنري : إني أسمعك جيداً، يا جاك.

فالستاف : انتبه اذاً، لأن القضية تستحق الاهتمام. فالتسعة الذين كلمتك عنهم...

الأمير هنري : ها قد زاد عددهم اثنين.

فالستاف : بعد ان استلوا سيوفهم..

بوينز : فقدوا سراويلهم.

فالستاف : وبادروا الى الهرب. فلحقت بهم عن كثب وهاجمتهم

عن قرب، ويلمح البصر صفيت حسابي مع سبعة من
الأحد عشر مهاجماً.

الأمير هنري : ما هذه المبالغة الهائلة؟ فمن مهاجمين اثنين، كيف
أصبحوا أحد عشر مقاتلاً؟

فالستاف : أجل، كما لو كان الشيطان قد تدخل في الأمر. فثلاثة
منهم أوغاد وثلاثة أنزال، وكلهم بملابس خضراء أقبلوا
عليّ من خلف ظهري، وهاجموني في حلك الليل
الدامس، يا هال. بحيث إن رفعت يدك لا تبصرها
من شدة الظلام.

الأمير هنري : هذه الأكاذيب شبيهة بمن يستنبطها، فهي ضخمة
كالجبال، ووقحة كالعاهرات، وملموسة كيدك
المرتجفة. تباً لك، يا صاحب الدماغ المتحجر والرأس
المحشو نخالة، يا ابن الحرام الدنيء، يا كتلة الدهن
المترهّل.

فالستاف : اتعنتي بكل هذه الأوصاف؟ هل جنت كي لا تصدّق
الحقيقة الناصعة؟

الأمير هنري : أخبرني كيف عرفت انهم يرتدون ملابس خضراء،
وأنت تؤكد أن الظلام كان فاحم السواد الى درجة
أنك لا ترى يدك اذا رفعتها في الهواء. هيا قدّم لي
أي اثبات علي صحة كلامك.

بوينز : هيا قدم برهاناً، يا جاك، أي برهان.

فالستاف : أتريدني أن أقدم البرهان مرغماً؟ لا، لا. حتى عندما

أُسام كل عذابات الدنيا، لن أناقض ما قد أعلنته. أتودّ
حقاً أن أقدم لك برهاناً وأنا مرغم. لا، لا. بينما
البراهين عديدة كثمار التوت على أغصان الشجر. أنا
غير مستعد أن أقدم أي برهان بالغصب.

الأمير هنري : وأنا لا أريد أن أكون شريكك في هذا الكذب
المفضوح أكثر مما فعلت لأن هذا الجبان الوقح،
هذا المتسلل كاللص الى سرير مدّعي الصدق، هذا
المنافق المحتال، هذا الجبل من الشحم واللحم...
فالسّتاف : قف عند حدّك، يا من تموت من الجوع، يا صاحب
الجلد الأجرّب، يا لسان العجل المجفف، يا رأس
الثور، يا كومة النفايات... ليت لساني يسعفني لأعدّد
لك كل قبائحك التي لا تحصى.

الأمير هنري : هيا استرجع أنفاسك، ثم كرّر أقوالك السخيفة. وعندما
تتعب من تعداد أوصافك البذيئة، دعني أصارحك بكلمة
تستحقّها.

بوينز : اسمع، يا جاك.

الأمير هنري : كلانا رأينا، حين وقعنا نحن الأربعة على أربعة رجال،
كيف سلبتموهم واستوليتم على ما معهم... اسمعوا
الآن هذه القصة الطريفة التي ستخجلكم... اذا كلانا
وقعنا عليكم أنتم الأربعة، وبكلمة وجيزة جعلناكم
تتخلّون عما جمعتم من غنائم واستأثرنا بها بشكل
يمكننا من أن نريكم اياها ها هنا. أما أنت، يا فالستاف،

فقد نقلت ما يخلصك بخفة وسرعة ومهارة منقطعة
النظير. وبينما كنت تركض، صرخت : العفو. كأنك
عجل يجار خائفاً وهو يقاد الى المسلخ للذبح. ما
أتعسك من ضارب بالسيف ثلّمته قلة براعتك وادّعت
انه أصبح هكذا نتيجة مقارعتك أعداءك في ساحة
القتال. ما أمهرك بالتهرب من مسؤولياتك، فأني عذر
تقدّم الآن وأنت غارق في مأزق عويص من الجهل
والفوضى؟

: هيا، نحن كلنا آذان صاغية لسماعك، يا جاك. فأني
عذر لديك بعد الآن.

بوينز

: أنا أعرفك حق المعرفة نظير أهلك الذين ربّوك. أصغوا
اليّ، يا سادتي. هل كان عليّ أن أقتل الوريث المرتقب
وهل كان عليّ أن أتآمر على الأمير الشرعي؟ أنت
تعلم اني باسل كالجبار هرقل. ولكن لاحظ ردّة فعل
الغريزة : ملك الوحوش لا يهاجم أبداً أميراً أصيلاً.
أنا من طبعي أن أجبن، ولن تخامرني فكرة الشجاعة
بالنسبة اليّ واليك طوال حياتي. طبعاً بالنسبة اليّ أن
أتشبه بملك الوحوش الشجاع وبالنسبة اليك كأمر
أصيل. غير اني مسرور، يا فتیان، لأنكم تحتفظون
ببعض المال. فيا مضيّفتي العزيزة وأنت تنتظريني عند
الباب، اسهري الليلة وصلّي غداً. أنتم لصوص شبان
خبرتكم قليلة، لكنكم كالأولاد قلوبكم طيبة. ويسعكم

فالسّاف

أن تتمتعوا بجميع خصال الأصدقاء المخلصين. أولاً
يحقّ لنا إذاً أن نتسلّى بمشاهدة مهزلة مرتجلة؟

الأمير هنري : انا موافق، وهربك سيكون موضوع هذه المهزلة
الغريبة.

فالسّتاف : لا تتكلّم هكذا، يا هال، اذا كنت فعلاً تحبني.

(تدخل المضيّفة).

المضيّفة : يا الهي، هذا مولاي الأمير.

الأمير هنري : إذاً، يا سيدتي المضيّفة، ماذا تريدان أن تقولي لي؟

المضيّفة : أرجوك أن تعلم، يا مولاي، ان بالباب احد نبلاء البلاط
يوّد أن يتحدّث اليك، ويقول انه قادم من قبل والدك.

الأمير هنري : اعطني هذا النبيل قطعة نقود من فئة كورون، وارسله
الى والدتي...

فالسّتاف : الى أي نوع من الأشخاص ينتمي ؟

المضيّفة : هو رجل مسنّ.

فالسّتاف : وماذا يفعل سيادته خارج سريره عند منتصف الليل؟

هل أردّ عليه بالجواب اللازم؟

الأمير هنري : أجل، أرجوك أن تفعل، يا جاك.

فالسّتاف : إذاً سأصرفه.

(يخرج).

الأمير هنري : بحقّ سيدتنا، يا معلمي، أقرّ وأعترف بأنك قاتلت

بشجاعة مشهودة، وأنت كذلك، يا بيتو، وأنت أيضاً،
يا باردولف. ومع أنكم شجعان، قد هربتم بدافع
الغريزة، لأنكم لا تودّون أن تمسّوا الأمير الشرعي
بسوء. لذا أقول تَبّاً لكم.

باردولف : بدمّتي، أنا ركضت عندما شاهدت الآخرين يركضون.
الأمير هنري : قل لي الآن جدّاً كيف أصابت الثلوم سيف فالستاف؟
بيتو : لقد ثلّمها عمداً بخنجره، وأكّد لي انه سيبدل كل
ما بوسعه، ويقسم بشرف انكلترا كي يقنعكم بأن
ذلك حصل أثناء اشتراكه في القتال. ثم أوصانا بأن
نفعل مثله.

باردولف : وطلب منا أيضاً أن نفرّك أنوفنا ببعض الشوك لتخديشها
وتلويثها بالدم، وأن نقسم ان هذا الدم سال في سياق
المعركة بشكل يشرف الرجال. وقد تصرّفت كما لم
أتصرّف منذ سبعة أعوام، وخجلت من هذه الخدعات
الشیطانية.

الأمير هنري : أيها الشقي، منذ ثمانية عشر عاماً، تناولت بالخفية
كأساً من الخمرة وقد فوجئت وأنت تشربها. ومنذ
ذلك الحين لم ينقطع وجهك عن الاحمرار غير
المقصود. يوم ذاك كنت مسلّحاً بالحديد والنار، ومع
ذلك ولّيت هارباً. فأية غريزة دفعتك الى الفرار؟
باردولف (يشير الى وجهه الأحمر) : يا مولاي، هل تصدّق ان هذه
الظواهر ناجمة عن الانفجارات؟

الأمير هنري : نعم.

باردولف : وعلام يدل ذلك، يا ترى؟

الأمير هنري : على ايمان حارّ وكيس يغصّ بالنقود.

باردولف : وعلى احتقان الكبد، يا مولاي، حسب رأي العارفين.

الأمير هنري : كلا، بل في نظر من يعرفك، ومن يتوقّع لك اقتراب
حبل المشنقة من عنقك.

(يدخل فالستاف)

الأمير هنري (يوصل كلامه) : ها قد أتى جاك الهزيل الشبيه بالهيكل
العظمي. فيا أيها المخلوق اللطيف السخيف، منذ كم

من الوقت، يا جاك، نظرت الى ركبتك؟

فالستاف : ركبتي أنا؟ عندما كنت في مثل عمرك، يا هال. وكنت

أنا رشيق القد ربيعاً كمخلب الهرّ، وكنت أنت تتسلّل
من خلال خاتم يوضع عادةً في الابهام. تَبّاً للآهات
والأحزان، كم تنفخ الانسان وتجعله ككرة الثلج
المتدحرجة المتضخّمة. هناك شائعات بذيئة تنتشر عن

سرّ جون برسي الذي جاء من قِبَل والدك. لذا يجب
عليك أن تذهب الى القصر غداً صباحاً. لأن هذا
الخالى من الدماغ برسي، وهذا القادم من مقاطعة
وايْلُس الذي ضرب ابليس بالسياط، وخدع
لوسيفوروس وأجبر زمرة الشياطين على أن يقسموا

له أغلظ الأيمان... لست أدري كيف تدعو ذلك
الوحش...

بوينز : تقصد كلانداور.

فالستاف : أوين، أجل أوين بالذات، وزوج شقيقته مورتيمور،
والعجوز نورثمبرلند، وهذا الاسكتلندي، أعني أنشط
اسكتلندي، يُدعى دوكلاس ويسرع على جواده الى
أعلى الهضبة كلمح البصر.

الأمير هنري : ويهاجم على جواده وهو ينهب الأرض نهباً، ويقتل
بغذّارته عصفوراً دورياً وهو طائر في الجو.

فالستاف : حقاً أصبت الهدف في صميمه.

الأمير هنري : وهو لم يصب يوماً أي عصفور.

فالستاف : أجل، هذا الوغد بارع، لكنه لا يستطيع الهرب.

الأمير هنري : ولماذا، يا غبي، تمتدحه على سرعته في الجري هكذا؟

فالستاف : انه سريع فقط على متن حصانه، يا مغفل. لكنه على
قدميه لا يقوى على التحرك قيد خطوة واحدة.

الأمير هنري : انه يتصرف على هذا النحو بالغريزة، يا جاك.

فالستاف : انا لا أخالف رأيك انه يتصرف حسب غريزته. وهو

يشبه هكذا شخصاً يدعى مرداك، والفاً من

الاسكتلنديين. لقد هرب ورُسستر هذه الليلة. وهذا

النبا قد شيب لحية أيلك، لذلك يمكنك الآن أن

تشتري الأراضي العديدة بأسعار زهيدة كأنك تشتري

سمكاً رخيص الصنف.

الأمير هنري : على الأرجح، اذا كان شهر حزيران حاراً، واذا دامت هذه المزاحمة المدنيّة، يسعنا أن نشترى بكمالات العذارى كأننا نبتاع كمّية مسامير غليظة بالمئة قطعة. فالستاف : بدمّتي، أنت تقول الحقيقة، يا فتى. ولا يُستبعد أن

تعقد صفقات رابحة في هذا الباب. لكن، أخبرني، يا هال، أولست خائفاً من الإقدام على ذلك؟ وبصفتك كوريث مرتقب، هل يسع العالم أن يتحفك بثلاثة أخصام كهذا الشيطان دوكلاس وهذا المهرّج برسي وهذا الوحش الضاري كلانداور؟ في الحقيقة، أأست خائفاً؟ أولاً ترتجف هلعاً أمام هذا الواقع الرهيب؟ الأمير هنري : كلاً ثم كلاً. أقسم لك اني بحاجة الى مثل غريزتك المستهترّة كي لا أبالي بأي حدث.

فالستاف : لكن التهديد سينهال عليك غداً عندما تمثّل أمام والدك فاذا كنت تحبّني حقاً أعدّ جواباً على كل سؤال الأمير هنري : اذاً، عليك أن تمثّل دور أبي، وتنفّص سلوكي مفصّلاً.

فالستاف : انا أريد ذلك وأوافق عليه بطيبة خاطر. وسيكون هذا المقعد الوثير عرشي، وهذا الخنجر الحادّ صولجاني، وابن عمي هذا سيساند نفوذ تاجي.

الأمير هنري : عرشك هو كرسي مثقوب وصولجانك الذهبي هو خنجر من رصاص وتاجك المرصّع بالأحجار الكريمة هو جمجمة صلعاء تستدعي الشفقة.

فالسّتاف : هذا لا يهمّ، اذا كانت نار الحماسة لا تزال متأجّجة
في داخلك فلتهتّزّ مشاعرك... أعطني كأس خمرة حتى
تحمّر عيناى من السُّكر وأبدو كأنى أبكى من شدة
الألم، إذ لا بد لى من أن أتكلّم بتأثّر وسأفعل ذلك
بلهجة الملك قمبىز.

الأمىر هنرى : حسناً. وأنا أقدم لك كل احترام وتقدير وخضوع.
فالسّتاف : اليكم خطابى... اصطفّوا، أيها النبلاء.
المضيفة : يا الهى، ما هذا المشهد الرائع النادر.
فالسّتاف : لا تنوحى، أيتها الملكة اللطيفة، لأن هذا الفيض من
الدموع لن يعود عليك بأية فائدة.

المضيفة : جزاه الله خيراً، فهو مع وفرة فضائله لم يحفظ كرامته.
فالسّتاف : بحق السماء، يا سادة، أرجوكم أن تواسوا هذه الملكة
الحزينة لأن الدموع تقرّح عينيها النجلاوين.

المضيفة : يا الهى، أراه يمثّل هذا الدور كأنه أحد هؤلاء
المهرجين الذين لا أزال أبصر خيالاتهم المضحكة.

فالسّتاف : أسكتى، أيتها الطيبة القلب والقليلة التبرّص. يا هارى،
انا متعجّب ليس فقط من الأمكنة التى ترتادها بل
من المجتمع المحيط بك. فبعكس نبتة البابونج التى
تجود كلما أمعن الناس فى دوسها، هكذا نلاحظ ان
الشباب كلما ذهب هدرأً إزداد هزالاً وخارت عزيمته.
ولكى أوقن تماماً بأنك ولدى، سأستند الى تأكيدات

أملك والى نظرتي الشخصية بنوع خاص. لكن بصورة
أكيدة، أتكلم على غمزة عينيك وعلى انخفاض شفتك
السفلى. فاذا كنت حقاً ابني، ازداد عتبي عليك. لماذا،
وأنت ولدي، تتصرف بشكل يدع الشامتين يدلون
عليك بالأصبع؟ هل يجوز أن أشاهد ابن السماء
المشرق المحيا يهرب من المدرسة لكي يذهب الى
البرية ويأكل الفواكه الرديئة هناك؟ هذا ليس سؤالاً
يطرح على أمثالك. وهل يعقل أن نرى ابن انكلترا
يمسي سارقاً يسلب الناس اكياس نقودهم. هذه هي
المعضلة المعيبة. هناك أمور، يا هاري، طالما سمعت
شتى الانتقادات عنها وأضحى عدد كبير من أهالي
بلادنا يعرفونها باسم «الزفت الأسود». وهذا الزفت
بحسب تقارير الكتاب القدماء، قصصه قاتمة للغاية
كلونه الأسود. هكذا هو المجتمع الذي تعاشره. فالآن،
يا هاري، تجدني أكلمك والدمع يجول في عيني،
وأنا فريسة اللوعة والأسى، لأنني غارق في لجج اليأس
لا في بحر الابتهاج. تؤلمني الجراح العميقة لا
الكلمات الفارغة التي لا يُعوّل عليها... مع ذلك هناك
رجل فاضل لاحظت وجوده في صحبتك بدون أن
أعرف اسمه.

الأمير هنري : أي نوع من الأشخاص هو؟ أرجوك أن توضح لي
يا صاحب الجلالة.

فالسّتاف : هو رجل أنيق الهندام، بدين مرح زاهي النظرة نبيل

التصرف، متقدم في السنّ تخطّى الخمسين من العمر على ما أظن أو هو في حدود الستين. تذكرت الآن ان اسمه فالستاف. فإن بدا عليه انه مستهتر، فمظهره هذا خدّاع. لأنّي، يا هاري، أقرأ عنوان الفضيلة في عينه. واذا كانت الشجرة تعرف من ثمرتها، والثمرة من شجرتها، فاني أعلن بكل ثقة ان هذا المدعو فالستاف ينطوي على العديد من المزايا والخصال الحميدة. عليك اذاً أن تتشبّث بي وتطرّد من حولك كل انسان سواي. والآن قل لي، أيها الولد الخبيث، أين كنت متوارياً طوال الشهر الحالي؟

الأمير هنري : هل هذا حديث ملوك؟ ضع ذاتك في مكاني، ودعني أمثّل دور والدي.

فالسّتاف : هل تنوي خلعي عن العرش؟ أؤكد لك انك لا تملك سوى نصف هيبتي ووقاري، قولاً وفعلًا. وإلا قبلتُ أن أشتق من رجليّ كأرنب بيتي صغير أو أرنب برّي كبير عند بائع طرائد الصيد.

الأمير هنري (يأخذ مكان فالستاف) : ها أنا ذا قد جلست في مكاني. فالستاف : وها أنا قد وقفت أمامك، فاحكم عليّ أيها القاضي العادل.

الأمير هنري : من أين أنت قادم، يا هاري.

فالسّتاف : من ضاحية إيست شيب، يا مولاي النبيل.

الأمير هنري : لا يغرب عن بالك ان الشكاوى التي أتلّقاها عليك عديدة خطيرة.

فالسّتاف : صدقني، يا مولاي، انها كلها كاذبة. وأنت تعرف مدى استقامتي حيال أمير شابّ نظيرك.

الملك هنري : هل تُقسم على ذلك، أيها الولد العاق؟ من الآن وصاعداً أحرمّ عليك أن ترفع عينيك أمامي. لأنك خسرت كل عطفي ومودّتي بسبب الشيطان الذي يسكن في قلبك أيها البدين المسنّ، ما دمت شبيه برميل بشري. لماذا تحوي كل هذا المخزون من المزاجات الغريبة، ومن البهيمة المكبوتة في داخلك، ومن الرياء المتغلغل الى أعماق صدرك الموغر حقداً، وهذا الكرش المنفوخ في بطنك، وهذا الدنّ المملوء خمرة، وهذه الرذائل والمهازل والأباطيل الباهتة التي تطغى على تفكيرك المضطّبع؟ ما فائدة تذوّق المشروب وابتلاعه جرعات كبيرة متتابعة؟ أجل ما فائدة تكديس كل هذه المأكّل الدسمة وازدرادها بجشع لا يدرك الشبع؟ هل تعتبر براعة ومهارة ما تغدقه من التلاعب والخداع والابتذال، أيها الوغد اللئيم. قل لي برّبك، ما قيمة كل هذه الاستهتارات الدنيئة؟

فالسّتاف : ألتمس من سموّك أن تأذن لي بمرافقتك. فبماذا تريد أن تحدّثني يا صاحب السيادة؟

الأمير هنري : في موضوع هذا الغبي الشرير مفسد الشبيبة فالستاف،
أيها الشيطان العجوز الشائب.

فالستاف : إن قلت إني أعرف سيئاتي أكثر مما أعرف حسناتي
أكون صرّحت بأكثر مما أدري. أمّا ان أكون متقدّماً
في السن، وهذا لا شك فيه، فان شعري الأبيض أصدق
برهان على صحة كلامي. لكن أن أكون قوّاداً، مع
شدة ما أحفظه من احترام لمقامك الرفيع، فأنا أنفي
هذا الادّعاء نفياً قاطعاً جازماً. وإن كان شرب الخمرة
وأكل السكاكر من الجرائم، فاني استنزل رحمة الله
على المذنبين. وإن كانت الشيخوخة والمرح من
الخطايا فاني أعرف عدداً من الضيوف المستنّين الذين
يستحقّون اللعنة، وإن كان الانسان البدين مكروهاً،
وجب علينا أن نذمّ عجول فرعون الهزيمة. لا، لا،
يا مولاي الكريم، اطرّد عنك بيتو وباردولف وبوينز،
ولكن لا تبعدني عنك أنا خادملك المتواضع جاك
فالستاف. لأنني الشخص الجريء الوفي الذي يكنّ
لك كل الولاء الخالص، يا مولاي الحبيب هالي.
وإبعادي عنك، أنا جاك الظريف، يعني إبعاد كل الناس
الصالحين عن محيطك.

الأمير هنري : أنا أودّ إبعادك، ولكنني أصرّ على بقائك بقربي.
(يُطرق الباب. تخرج المضيفة بصحبة فرنسيس وباردولف).

(يدخل باردولف ثانية وهو يركض).

باردولف : مولاي، مولاي، رجل الأمن واقف بالباب، ومعه ثلّة
من الحرس الرهيب.
فالستاف : اليك عني، أيها الغبي.

(تدخل المضيفة ثانية باستعجال).

المضيفة : يا الهي، انتبه، يا مولاي.
فالستاف : حذار، فإبليس يركض مسرعاً على صهوة جواده فوق
قوس آلة الكمان الموسيقية. فما الخبر؟
المضيفة : رجل الأمن مع حرسه بكامله ينتظرون عند الباب.
وقد جاؤوا لتفتيش المنزل. فهل عليّ أن أدعهم
يدخلون.

(يشير الأمير بيده بالقبول).

فالستاف : هل سمعت، يا هال؟ عليك أن لا ترضى بقبض قطرة
عملة مزيفة كأنها ليرة ذهباً. وإلاّ كنت أكبر المغفلين
بدون أن تدري.

الأمير هنري : أنت أكبر الجبناء بالغريزة.

فالستاف : انا أنكر أهمّ بوادر صداقتك اذا رفضت استقبال رجل
الأمن كما يجب. وإلاّ، دعه يدخل حالاً. وان لم
أكن فطناً حاضر الذهن كغيري فتبّاً لتربيتي الفاشلة.
واذا كان الأمر كذلك فأنا أتمنى أن أعلق بحبل المشنقة

سريعاً نظير سواي من المغرورين السذج.
الأمير هنري : اذهب واختبئ خلف الجدران، وليفعد الآخرون الى
الطابق العلوي. آه، يا سادتي، كل الأمور تهون التضحية
بها لصيانة الشهامة والضمير الحي.
فالسّاف : أنا كنت متشبّثاً بكليهما. لكن أيامهما دالت، ولذلك
تراني أتواري.

(الجميع يتمهلون ما عدا الأمير وبوينز).

الأمير هنري : أدخِلْ رجل الأمن.

(يدخل رجل الأمن وسائق العربة).

الأمير هنري (يوصل كلامه) : ماذا تريد مني، يا رجل الأمن؟
رجل الأمن : أولاً، أعذرني، يا مولاي، لأن السلطة العامة تلاحق
بعض المطلوبين الفارين من وجه العدالة حتى داخل
هذا المكان.

الأمير هنري : من تعني من الأشخاص؟
رجل الأمن : أحدهم معروف جداً، يا مولاي الكريم، وهو رجل
ضخم الجسم.

السائق : أجل ضخم كأنه محشوٌّ دهناً.
الأمير هنري : أوكد لك ان هذا الشخص ليس هنا، لأنني أنا بذاتي
أصدرت له أمر مهمّة منذ برهة. لكن، يا رجل الأمن،
ثق بكلامي اني سأرسله اليك غداً قبل موعد العشاء

ليجيب على اسئلتك أو أسئلة مسؤول غيرك عن كل ما يمكن الاستفسار عنه بخصوص مهمته. وبناءً على ذلك، أرجوك أن تغادر هذا المنزل.

رجل الأمن : أمرك مطاع، يا مولاي. أرجوك أن تأخذ علماً بأن وجهين قد فقدوا في عملية سطو وسلبٍ مبلغ ثلاثمئة مارك.

الملك هنري : هذا غير مستبعد. وإن كان فعلاً قد نهب هذين الرجلين، فلا بد له من أن يؤدي حساباً عن جريرته المشينة. على كل حال، الوداع.

رجل الأمن : ليلتك سعيدة، يا مولاي النبيل.
الأمير هنري : أو بالحري، نهارك سعيد. أليس كذلك؟

رجل الأمن : فعلاً، يا مولاي. أعتقد ان الساعة الآن تجاوزت الثانية صباحاً.

(يخرج رجل الأمن وسائق العربة)

الأمير هنري : هذا الوغد اللئيم شهيرٌ كشخصية فريدة. هيا ناده ليأتي الى هنا.

بوينز (يرفع الجدران التي يختبئ وراءها فالستاف) : يا فالستاف... هو غائص في بحر النوم خلف هذه الجدران، ويشخر كما يصهل الحصان.

الأمير هنري : اسمع كيف يتنفس بصعوبة نظراً الى بدانته. فتش جيوبه

(بوينز يفتش جيوب فالستاف ويسحب منها أوراقاً). ماذا

وجدت؟

بوينز : ليس فيها سوى أوراق، يا مولاي.

الأمير هنري : انظر ما هي؟ إقرأها.

بوينز (وهو يتفحص إحدى الأوراق ويقرأ) :

الصنف	بسر بنس	شلن
خبز محمص	٢	٢
نقانق	٤	—
كالون خمرة عدد ٢	٨	٥
سمك أنشوا وخمرة بعد العشاء	٦	٢
خبز عادي	١/٢	—

الأمير هنري : يا للفظاعة. لم يأكل غير ما قيمته نصف بنس من

الخبز بالنسبة الى هذه الكمية الكبيرة من الخمرة.

إطو باقي الأوراق لنقرأها فيما بعد بتأن، ولنتركه يرقد

حتى الصباح. لأنني أنوي الذهاب الى القصر قبل الظهر.

سنذهب كلنا الى الحرب، وستكلف أنت بمهمة

مشرّفة. أما هذا الغبي البدين فأخصّه بعمل شاقّ في

فرقة المشاة. وأنا على يقين بأن السير مسافة خمسة

آلاف يرد سيرهقه وربما سبّب له الموت. وسيسترد

ماله مع الربى. فما عليك إلا أن توافيني باكراً قبل

ظهر الغد. والآن ليلتك سعيدة، يا بوينز.

بوينز : ليلتك سعيدة، يا مولاي الكريم.

(يخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في بنكور عند رئيس الشمامسة

(يدخل هاتسبر وورسستر ومورتي مور وكلانداور)

مورتي مور : الوعود برّاقة، والأشخاص أمناء، وفاتحة عملنا توحى
بأطيب الآمال والتائج.

هاتسبر : أنت واللورد مورتي مور، يا ابن العم كلانداور، تفضّلوا
بالجلوس. وأنت يا عمي ورسستر... تبا لي. لقد نسيت
الخريطة.

كلانداور : لا، لا، ها هي. إجلس، يا ابن عمي برسي، واجلس
أنت أيضاً، يا ابن عمي هاتسبر. إذ ان لنكاستر كلما
دعاك بهذا الاسم يشحب لونه ويسحب الآهات من
أعماق صدره، وهو يتمنى ان يراك قد صعدت الى
السماء.

هاتسبر : كما نتمنى نحن أن نراك في الجحيم، كلما سمعنا
إسم أوين كلانداور.

كلانداور : لا يسعني ان ألومه. اذ حين وُلدتُ إمتلأ أديم السماء
بأشكال ملتهبة وفوانيس مشعشعة. وعندما درجتُ في
المشي اهتزّت الكرة الأرضية من أساساتها كما يرتجف
الجبان الرعديد.

هاتسبر : لقد ظهرت بواذر عديدة مماثلة في ذلك الزمان. وحين
وضعت هرّة والدتك صغارها، ربما لم تكن أنت قد
أصبحت في عداد مواليد هذه الدنيا.

كلانداور : قلت ان الأرض زلزلت عندما جئت انا الى هذا العالم
العجيب.

هاتسبر : اذا اهتزّت الأرض عندما رأت السماء تشتعل، وليس
لأنك افزعتها بمجيئك. فالطبيعة المريضة كثيراً ما
تنتفض وتنفجر بصورة غامضة لا تفسير لها. وغالباً
ما ينتاب الأرض نوع من المخاض العسير وتهبّ عليها
الرياح الهوجاء السجينة في باطنها، فتبحث عن مخرج
وتجعل الأرض ترتعش وتهزّ قباب الأجراس والأبراج
العالية التي يكسوها الطحلب الأخضر... ومنذ مولدك
أصاب جدتنا الأرض بعض الانزعاج، فارتجت هلعاً.

كلانداور : يا ابن عمي، لن أتحمّل ذكر هذه التناقضات على
ألسنة العديد من الناس. إسمح لي بأن أقول لك مرة
أخرى أن أديم السماء عند مولدي كان حافلاً بأشكال

ملتهبة، وان الماعز هرب الى الجبال، وان قطعان الغنم
ملأت السهول بثغائها الغريب وهي واجمة. وقد
جعلتني هذه العلامات إنساناً فريداً، إذ أشارت كل
تفاصيل حياتي الى اني رجل غير عادي. وفي حظيرتنا
المحاطة بالبحر الهادر على سواحل انكلترا واسكتلندا
ومقاطعة وايٲس، أين هو المخلوق الجريء الذي يمكنه
أن يدعوني تلميذه، أو يلقنني درساً في الشهامة
والمروءة؟ مع ذلك إبحث عن ابن امرأة يستطيع أن
يتبعني على دروب العلم المتعرّجة ويمشي الى جانبي
فوق قمم تجارب الحياة.

: أعتقد أن لا أحد يجيد أحسن منك اللغة الوايٲسية...
أريد أن أتناول طعام غدائي.

هاتسبر

: أختم حديثك معه، يا ابن عمي برسي... وإلا دفعته
الى حافة الجنون.

مورتي مور

: أنا أستطيع أن أستحضر الأرواح من قعر الهاوية.

كلانداور

: وأنا أيضاً أستطيع أن أفعل ذلك كما يمكن أن يصنعه

هاتسبر

أي إنسان. ولكن، هل ترضى بالعودة الى مقرها بعد

استحضارها؟

: أجل، ويمكنني أن أعلمك، يا ابن العم، كيف تتحكم

كلانداور

أنت أيضاً بالأبالسة.

: وأنا أستطيع أن أعلمك، يا ابن عمي الصغير، كيف

هاتسبر

تسيطر على الشيطان، وأنت تقول الحقيقة المجردة.

أجل، بقولك الحقيقة تخذي ابليس. وإن استطعت الاتيان على ذكره، أجلبه الى هنا، وأنا أقسم باني سأقوى على طرده بمجرد السيطرة عليه. أردد لك وصيتي بأن تقول الحق طوال حياتك وبذلك تخذي ابليس وتتغلب عليه.

مورتي مور : هيا، هيا كفّ عن هذه الثروة التي لا يرجى منها أي خير.

كلانداور : هنري بولينبروك جابه سلطتي ثلاث مرات. نعم، ثلاث مرات من ضفاف نهر «وي» ومن رمال سافيرن، فطرده عارياً بدون رحمة ولا شفقة أثناء هبوب العاصفة.

هاتسبر : هل طرده عارياً أثناء الأنواء القاسية؟ قل لي، بربك، كيف توصّل الى اخفاء ما أصابه من الحمى؟

كلانداور : ها هيدا الخريطة. فلنتقاسم أملاكنا حسب اتفاق الثلاثي.

(يحدّق الجميع الى خريطة نشرها كلانداور)

مورتي مور : رئيس الشمامسة شطرها الى ثلاثة أقسام متساوية

فجاءت حصتي انلكترا ابتداء من ترانت وسافيرن حتى هنا، في الشمال وفي الشرق. وفي الغرب من مقاطع وائلس الى ما بعد سافيرن، وكل الأراضي الخصبة المنبسطة ضمن نطاق هذه الحدود أضحت حصّة أوير

كلانداور. اما حصتك أنت، يا ابن عمي العزيز، فهي الشمال برمته اعتباراً من ترانت. وبعد ان وُضعت نصوص اتفاقيتنا الثلاثية، لم يبقَ سوى ان نصدّقها نحن. وهذا ما يمكن أن يتمّ هذا المساء بالذات. وغداً، يا ابن عمي برسي، نذهب انا وأنت ولورد ورسستر لنقابل اباك وأركان الجيش الاسكتلندي حسب اتفاقنا في شروز بري. لأن والدي كلانداور غير مستعد بعد، ولن نحتاج الى أية مساعدة قبل أربعة عشر يوماً. (لكلانداور) في هذه الأثناء، يمكنك أن تجمع معاونيك وأصدقاءك ووجهاء جواريك.

كلانداور : بعد وقت وجيز سأقرب اليك، يا مولاي. وستأتي سيّداتك الى هنا تحت حراستي. فلا بد لك من أن تنسحب في أقرب وقت بدون استئذانهن بالانصراف إذ سينهال عليك الطوفان عندما ستفترق عنك نساؤك هاتسبر (ويده على الخريطة) : يخيل اليّ ان حصتي في شمال بورتن لا تعادل حصتك هنا. أنظر كيف ينساب النهر نحو أراضي متعرّجاً ويحذف قسماً ممتازاً من أملاكه بهيئة نصف بدر، وهذا في الواقع جزء كبير منها لا يستهان به. سأعرض مجرى النهر في هذا المكان، ليتدفّق نهر ترانت الغزير الى هذه البقعة بشكل قناة جديدة متساوية ومباشرة بدون أن تتعرّج أكثر من سواها في مثل هذه الثلثة لاقتناص قسم خصب من أراضي.

كلانداور : لن تتعرج أبداً، بل ستتعرّج اذا لزم الأمر، كما ترون مناسباً.

مورتي مور : أجل، ولكن لاحظوا ان النهر يواصل مجراه ويعود الى أراضي بصورة عكسيّة ليعوّض عليكم خسارتكم. وهكذا يمنحكم مقداراً من الأرض يعادل ما يحرمكم اياه من جهة أخرى.

ورسستر : نعم. ولكننا نستطيع بأقلّ خسارة ممكنة أن نربح هذا الرأس من الشاطئ الشمالي إذا جعلنا النهر يجري رأساً بصورة متوازية.

هاتسبر : انا أريد أن يتحوّر هكذا. وهذا لا يكلفنا كثيراً.

كلانداور : أمّا أنا فلا أرضى بإجراء التغييرات المذكورة.

هاتسبر : ألا تريدها؟

كلانداور : كلا، ولن تقوم بها أنت أبداً.

هاتسبر : ومن الذي يمنعني؟

كلانداور : انا بذاتي.

هاتسبر : اذاً تصرف على هواك، وتكلّم لغة وايلس التي لا أفهمها.

كلانداور : انا أعرف اللغة الانكليزية جيداً، يا مولاي، كما تتقنها

أنت. لأنني ربيت في انكلترا وفي بلاطها بالذات. ومنذ

حدائتي ألّفت لأجل العزف على القيتار عدداً من

الأغاني الانكليزية الرائعة. وقد أضفت الى هذه اللغة

تنميقات لم تتوصّل الى تطبيقها أنت شخصياً.

هاتسبر : أهنتك من كل قلبي. أنا أفضل أن أكون هراً وأصرخ
مياو على أن أكون مؤلف أناشيد. كما أفضل أن أستمع
إلى خنّة جرس من نحاس مكسور أو أي دولا ب
يحدث صريراً عندما يدور حول محوره. لأن هذه
الأصوات لا تثير أعصابي نظير هذه الأشعار السخيفة
التي تشبه عويل مهووس مطارد.

كلانداور : على كل حال سنغيّر لك مجرى نهر ترانت.
هاتسبر : هذا لا يهمني، إذ أني مستعد أن أتنازل لأحد الأصدقاء

المخلصين عن ثلاثة أضعاف ما أخسره من الأرض
حسب مشروعك. لكنني سأساوم طبعاً عند المفاوضة
على جزء من عشرة أجزاء الشعرة الواحدة، إذا اقتضى
الأمر. ها هي الاتفاقيات جاهزة، فهيا إلى أبرامها.

كلانداور : ضوء القمر جميل، ويسعدك أن تذهب ليلاً. سأستعجل
في استقدام الكاتب، وسأعلم نساءك برحيلك. غير
أنني أخشى أن يجنّ جنون ابنتي لما سيصدر عنهن
من الهذيان في موضوع مورتيمور.

(يخرج).

مورتيمور : تبّاً لك، يا ابن عمي برسي، لأنك تعاند أبي إلى
هذا الحدّ.

هاتسبر : لا حيلة لي بالامتناع عن ذلك. لأنه يخرجني أحياناً
عن صبري حين يحدثني عن الخلد والنملة وعن

صاحب الرؤى ميرلان، وعن تنبؤاته، وعن التّين وعن السمك الخالي من الزعانف، وعن النسر المقصّف البراثن، والغراب الذي يموء، ولست أدري عن أية غرائب أخرى لا أتحمّل سماع ذكرها أمامي. أودّ أن أعلمك بأنه تشبّث بي الليلة الماضية طوال تسع ساعات على الأقلّ ليعدّد لي أسماء شتى الأبالسة الذين يخدمونه. فصرخت في وجهه : « دعني منك، يمكنك أن تواصل حديثك إن شئت ». ولكنني لم أفهم ولا كلمة ممّا سرده لي. حقاً هو مملّ مثل حصان مرهق بطني، وامرأة ثرثرة مزعجة، وبيت يعجّ بالدخان الكثيف. لذا أفضل أن أعيش على أكل الجبنة والزيتون في طاحون هواء بعيداً جداً، ولا أتغذى بالأطعمة الدسمة وأسمعه ينقّ كالضفادع في أي بيت تضيق به النفس.

مورتي مور

: لا أنكر انه وجيه كريم الأخلاق عالي الثقافة واسع الاطلاع يُلمّ بكل غريب من الأسرار. هو شجاع سخّي عطوف وفياض العطاء كمناجم الهند. هل تريد المزيد، يا ابن عمي؟ خصاله حميدة ووفاءه غير محدود لا سيما حيالك أنت. واذا حاولت أن تشاكسه، ربما أدهشك منه بعض العنف والبطش. لكن، لكي تشير استيائه لا بد لك من أن تتحدّاه وتجاوبه كما أفعل انا أحياناً، ولكن بدون أن تتوصّل الى اخراجه تماماً

عن رصانته وهدوئه. على كل حال، أستحلفك وأوصيك بأن لا تعيد الكرة لمضايقته.

ورسستر : في الحقيقة، أنت تتعدّي الحدود في عنادك. فمذ

وصولك الى هنا لم تكفّ عن دفعه الى حافة الغضب.

عليك أن تجتهد، يا مولاي، لتصلح نقيصتك هذه.

لأنه مع كل ما يبيديه من كبر النفس والبسالة والنبيل،

وهذا هو المثال الأعلى الذي يجب عليك أن تقتدي

به، لا يُستغرب أبداً في خاتمة المطاف أن يستشيط

غيطاً فيخرج عن تحفظه بداعي ما تستفزّه به غالباً

من الهزء والازدراء. وأقلّ هذه الآفات عندما تسيطر

على أي رجل حكيم بصير أن تستبدّ به طبيعته الانسانية

الضعيفة حيال المصاعب والشدائد، وتوقظ فيه غريزة

الدفاع عن نفسه ودرء الخطر عن أمنه وطمأنينته.

هاتسبر : ها أناذا عدت الى المدرسة لتعلّمني حسن السلوك

والتدبير. بما ان نساءك قد رجعن، عليّ أن أستاذنهن

بالانصراف.

(يعود كلانداور بصحبة السيد مورتيمور والسيدة برسي).

مورتيمور : هناك أمر يضايقني جداً، هو أن زوجتي لا تعرف

الانكليزية، وأنا لا أعرف لغة وائلس.

كلانداور : ابنتي تبكي لأنها لا تريد الابتعاد عنك، وتصرّ على

أن تتجنّد هي أيضاً لتذهب وتحارب وتظل دوماً
بمعيتك.

مورتيemor : أبت العزيز، قلّ له إني أنا وعمّي برسي نريد أن نذهب
اليه برفقتك.

(كلانداور يكلم ابنته بلغة وائلس وتجييه باللغة نفسها).

كلانداور : هي مصرّة على فكرتها وتتشبّث بها بغباء وعناد بدون
أن تريد الاصغاء الى صوت التعقل.

(السيدة مورتيemor تخاطب مورتيemor بلغة وائلس).

مورتيemor : انا ادرك مرامك وأفهم جيداً اللغة الوايلسيّة التي
تحدثين بها. ولولا الحياء لأجبتك بألفاظها. (تعانقه
السيدة مورتيemor وهي تخاطبه). أنا أفهم معنى قبلاتك، كما
أنت تفهمين معنى قبلاتي. وهذا لعمرى، تخاطب
مشكور. لكني لن أرتاح، يا حبيبتي، اذا لم أتمكن
لهجتك. لأن هذه اللغة الوايلسيّة رخيمة للغاية لا سيما
على لسانك، ونبرتها شجية ساحرة، كأنها أنغام عود
بارعة ترافقها وتزيدها نعومة وحلاوة، وهي تخرج من
فم ملكة رائعة تحت أغصان شجرة ظليلة.

كلانداور : ان أمعنت في حديثك الجذّاب ستدفعها الى حافة
الهوس.

(تواصل السيدة مورتيemor كلامها).

مورتيڻمور : ما اشدّ جهلي في هذا المجال.

كلانداور : لقد طلبت منك أن تستلقي على بساط سندسي

للاسترخاء، وأن تضع رأسك على ركبتيها. عندئذ

ستنشد كل ما يعجبك من الأغاني، فتكتحل عيناك

بهدهوء الرقاد، وأنت تتأرجح بين صفاء السهر وهناء

الغفوة، حين تلوح تباشير الفجر المتلألئ معلنة في

الأفق قرب طلوع النهار واطلالة ربّة النور آتية من

المشرق تتهادى في هالة ذهبية من السحر والضياء.

مورتيڻمور : أنا أرغب في التمتع بهذا المنظر البهيّ من كل

جوارحي. ولذا سأجلس وأستمع اليها بانتباه كلّي،

ريثما تتمّ كتابة نصوص العقد.

كلانداور : أجل، إجلس. فالموسيقيون سيعزفون ألحاناً تطرب كل

من يسمعها بارتياح ولو عن بعد ميل، وقد أوشكوا

أن يصلوا إلينا. فبالله عليك، إجلس واستمع.

هاتسبر (للسيدة برسي) : تعالي، يا كائت؛ كم تبدين رائعة وأنت

متمددة. هيا عجّلي، عجّلي كي ألقي برأسي على

حضنك.

السيدة برسي: هيا يا زرزور.

(يتمّم كلانداور بوضع كلمات باللغة الوايلسيّة. ثم تصدح

الموسيقى حالاً).

هاتسبر : الآن أيقنت ان الشيطان يتقن لغة وايلس. ولا أستغرب

ان بيرع فيها لأنه علاوة على ذلك موسيقي ماهر.
السيدة برسي: ألاحظ ان الموسيقى متغلغلة في أعماق روحك. لأنك
منصرف بكليّتك الى الطرب والاستمتاع. إلزم الهدوء،
أيها المحتال، واستمع اليّ وأنا أنشد لك باللغة
الوايلسية.

هاتسبر : أحبّ عليّ أن أصغي اليك، يا سيدتي الجميلة، وأنت
تغني باللغة الاسكتلندية.

السيدة برسي: هل تريد أن تصمّ أذنيك؟
هاتسبر : كلا، بالعكس.

السيدة برسي: إذا إلزم الصمت والهدوء.
هاتسبر : هذا ما لا أريد أن أتقيّد به، لأنه من شيم النساء.
السيدة برسي: والآن، رافقتك السلامة.

هاتسبر : الى سرير السيدة الوايلسية اذاً.

السيدة برسي: ماذا تقول؟

هاتسبر : مهلاً اصغي اليها وهي تنشد.

(تنشد السيدة مورتيمور أغنية وايلسيّة).

هاتسبر (يوصل كلامه) : هيا يا كائت، أريد أن أسمع أغنية منك أيضاً.

السيدة برسي: منّي أنا؟ كلاّ ثم كلا. أعفني منها، بحق السماء.

هاتسبر : برّبك، هل يمكنك أن ترفضني؟ لعمرى أنت تتصرّفين
هكذا كأنك زوجة بائع حلوى في سوق الرخص.
صدقيني ان هذا التشبيه صادق وأكيد كوجودي في

هذه الدنيا. سامحني الله، بل هو أكيد مثل وضع
النهار. ما لي ألقى محاضرة بليغة كهذه، كما لو
لم أذهب للتنزه الى أبعد من منطقة فينسبري. إحلفي
لي، يا كايت، كسيدة أصيلة انك تحبين محاضراتي
الجدية التي تملأ الدماغ حكمة وأفكاراً سديدة، وتبدو
كأنها قرص حلوى فاخرة مزدانة بورود من السكر
تزهو بالألوان الجذابة. هيا، برّبك، أنشدي.

السيدة برسي: لا، لا أريد أن أغني.

هاتسبر : مع ان ذلك أفضل سبيل الى الاسترضاء والاستمالة.
فاذا كان تجهيز العقد على وشك أن يتم، سأغادر
قبل مرور ساعتين من الزمان. على كل حال، يمكنك
أن تأتي متى شئت.

(يخرج).

كلانداور : تعال، تعال، يا لورد مورتيمور. أراك بطيئاً بعكس
لورد برسي الذي يُعجّل دوماً في ذهابه. الآن تمت
كتابة اتفاقيتك، ولم يبقَ علينا سوى ختمها بالشمع
الأحمر. ثم يمكنك أن تمتطي حالياً جوادك السريع
وترحل.

مورتيمور : بكل ممنونية.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري والأمير هنري وبعض اللوردات).

الملك هنري: أرجوكم، أيها اللوردات، ان تتركونا أنا وأمير وائلس وحدنا للتداول بأمر خاص. لكن لا تبتعدوا لأننا سنحتاج اليكم عمّا قريب. (يخرج اللوردات). لست أدري اذا كان الله بسبب بعض أخطاء ارتكبتها سيعاقبني وييليني بعلّة مزمنة. لكن من جراء تقلّب مزاجك ستقنعني بأنك ستتحول الى نار محرقة أو ضربة من السماء لمقاصصتي على عصياني. وإلا، قل لي كيف يوفّق المجتمع الفاسد بين الميول المتهتكة الدنيئة والمشاكل السافلة المنحطة والملذات المستهترّة من جهة، وبين سموّ الأصل وترفع المستوى الذي يجب على قلب الأمير أن يبلغه من جهة أخرى.

الأمير هنري: اذا سمحت لي، يا صاحب الجلالة، سأبرّر سلوكي بسبب ارتكابي هذه الذنوب وغيرها من الزلات المنسوبة اليّ. أولاً، دعني استرحمك وألتمس حلمك ورحابة صدرك. وعندما أفنّد كل قصصي التي بلغت مسامعك، يمكنك أن تصغي الى دفاعي عن نفسي حيال ما أطلقه بحقيّ مستنبطو الروايات والأبناء

المغرضة بدون أن يعذروا فورة شبابي، علني أجد
الى عفوك والى توبتي أقرب السبل الآمنة.

الملك هنري: سامحك الله. مع ذلك، دعني، يا هاري، استغرب
نزعاتك التي أخذت منحى يخالف ما سلكه عظماء
أجدادك. فلقد فقدت مقعدك في المجلس بصورة شاذة
فشغله أخوك الأصغر. وهكذا نفرت منك قلوب جميع
امراء البلاط والأقرباء. وانهارت كافة الآمال المعلقة
على مستقبلك الزاهر. ولم يبقَ شخص واحد لا يتوقع
انهيارك قريباً. فلو كنت أنا ضحيت نفسي على مذبح
شهواتي وأهوائي، واستهنت بكرامتي أمام رجال الدولة
وتدنيت وتذلت نظيرك حيال مجتمع بذيء حقير،
لكان الرأي العام الذي دعمني لاعتلاء العرش أهملني
وظلّ مخلصاً لسيّد الموقف آنذاك، ولكان أقصاني
الى أبعد منفى موحش كإنسان مغمور لا حول ولا
قوة له. وبما إن ظهوري بين الناس كان نادراً لم
أستطع التحرك بحرية كي لا أثير الدهشة مثل نجم
مذنب. فراح البعض يشير اليّ بالأصبع ويردّد مبتهجاً :
ها هوذا. والبعض الآخر يصيح : أين هو بولينبروك،
ومن هو؟ وهكذا تجنّبت كل الحفلات والتشريفات
وبقيت معتصماً بحبل التواضع حتى انتزعت ولاء جميع
القلوب وهتافات كافة الأفواه بحياتي، حتى أثناء حضور

الملك المتوّج الذي سبقني في الجلوس على العرش. وهكذا حافظت على زهو هيتي وبهاء تاجي عندما خلفته. فكان حضوري في كل مكان محترماً كملك حكيم عادل، محفوفاً بالتقدير والاحلال. وكان وجودي فيما بينهم كأنه عيد يحاط بالاحرام والمراسم البهيجة. اما الملك الطائش فكان يتنقل بينهم كالمهرج الغريب الأطوار، وكأنه لهيب هشيم، لم يلبث ان خبا وهجه لأنه لم يحافظ على وقار مقامه الرفيع بين أعوانه المشعوذين المهووسين. فلوث اسمه الكبير بصغاراتهم التافهة، ورغم سمو منصبه المجيد كان يشجع ضحكات الغلمان الهازئين ومزاحهم السمج، ولا يعارض تطاول أفكار من يلوذ بحماه من المستهترين بالقيم الخيرة : فكان أليف أهل الشارع ورفيق عامة الشعب. ولما كان كل يوم يُشبع نهم الناس الى رؤيته بات الجميع يأنفون مذاق هذا العسل المبتذل، ويشيحون بأنظارهم عن حضوره المتكرر، كما يعاف لذيذ الحلوى من يتهافت باستمرار على ازدرادها بنهم مفرط. وهكذا عندما يتجلّى بأبّهته في المناسبات كان يبدو كأنه عصفور عادي في مجموعات الطيور العائدة بأعداد كبيرة أثناء شهر حزيران، نسمع أصواتها ولا نأبه لرفع أنظارنا اليها كي نعجب بها. وإن اتجهت اليها العيون فكأنها تنظر

الى مشهد يومي لا يستلفت الانتباه. لأن العيون قد
سئمت رؤياه ولم يعد إشعاع تاجه يبهر ويشد اليه
ألحاظ المعجبين، وقد ألفت منظره كل يوم. فكان
الناس يتطلعون اليه بعيون ناعسة مثقلة الأجفان لا رهجة
تجتذبها لتظل شاخصة مشدودة الى جلال عظمته
المتجددة. وكان حضوره المتواصل بين رعاياه يجعلهم
يعتبرون وجوده أمراً عادياً لا يلبث المرء أن يملّه
لكثرة تكراره. هكذا أنت أيضاً فقدت بريق مكانتك
العالية وأضحى معظم عارفيك يعتبرون شخصك المميز
كإنسان عادي تعبت من مشاهدته العيون بدلاً من
أن تكون منجذبة اليك حين تسمح الظروف الاستثنائية
بلقائك، رغم ما أضفي عليك بمهابتي واعتباري
بصفتك ابني ووريثي من هالة فريدة وهاجة، أفقدتها
روعتها بمباذلك المستهجنة.

الأمير هنري: أعدك، يا مولاي الكريم، أن أكون في المستقبل
بمستوى مكانتي المرموقة.

الملك هنري: ان وضعك الحالي، لعمري يشابه ما كان عليه سلفي
رتشرد حين ذهبت الى فرنسا ونزلت من السفينة في
مرفأ رافنسبرك. وما كنت انا عليه آنذاك هو تماماً
حال برسي في هذه الأيام. أقسم بصولجاني، ان له
في الوقت الحاضر من السلطة والاحترام أكثر مما

لك الآن، لأنك تتصرّف كأنك خيال وليّ العهد،
تجاهل ما لك من حقوق لا بدّ من أن تتمتع بها
في رحاب المملكة. فهو يلبيّ نداء واجبه بينما أنت
لا تقوم بما تقتضيه مسؤولياتك، رغم الأخذ بعين
الاعتبار ما بينكما من فارق العمر يساعده على تحميس
عدد كبير من اللوردات والأساقفة المحترمين لتأدية
مهمّاتهم الشاقة. وما جنى من غار الأمجاد على حساب
الشهير دوكلاس الذي، بفضل اندفاعه الجريء وتفوّقه
العسكري، ارتقى الى أعلى رتب الجندية واكتسب
لقب القائد الأعلى عن جدارة في جميع أنحاء هذه
البقعة من العالم. ثلاث مرات تغلب هاتسبر الشبيه
بإله الحرب مارس، وهو المقاتل الجبار الذي لا يُقهر،
على دوكلاس الكبير في عدة مجابهات، وأسرّه ثم
أطلق سراحه وصادقه. وها هو الآن يرفع صوته متحدّياً
ويهزّ دعائم السلام والأمن الذي يستند إليها عرشنا
الوطيد. فما قولك بكل ذلك؟ ان برسي ونورمبرلند
وسيادة رئيس اساقفة يورك ودوكلاس ومورتي مور
تحالفوا كلهم علينا وهم يحاربوننا... لكن، لماذا
أصارك بكل هذه الأمور؟ لماذا أحدثك عن
أخصامي، يا هاري؟ وأنت أقرب الناس إليّ، تبدو
كأنك من ألدّ أعدائي؟ ربما اجتذبتك، وبسبب أهوائك
المنحرفة ومزاجك الغريب الأطوار، شجّعوك على

إشهار السلاح في وجهي ومقاتلتي لحساب برسي الذي
تزحف انت على أعتابه وتتملّق أطماعه لتظهر له مدى
ضعفك وانحطاط أخلاقك.

الأمير هنري : لا تصدّقه، لأن ما تذكره لن يتمّ أبداً. سامح الله
من تكتّلوا عليّ لاظهاري بهذه الأوصاف غير اللائقة
في نظر جلالتك. انا مستعد لتبديد كل هذه الشكوك
وتحطيمها على رأس برسي النّمام. وفي خاتمة المطاف
عندما تتألّق أمجاد عمري، سأفتخر بأن أبرهن لك
اني شبلك، يا أيها الأسد الشموخ. عندئذٍ سأرتدي
حلتّي الفاخرة وأخفي معالم مجوني وراء قناع من
المجد الذي أمحو به، بعد أن اكتسبه، كل ما تلومني
عليه من التهاون والاستهتار. وسيكون ذلك اليوم أول
عهد تبرز فيه من خلف الغيوم شمسي المتألّقة. فأصون
كرامتي انا الابن الذي يتباهى بي والدي وأخسف
شهرة الفارس المغامر هاتسبر حين ألتقي به قريباً ان
شاء الله. فمهما تكدّست المآثر حول شخصه
وتراكت المعاييب على رأسي، سيأتي زمن أجبر فيه
هذا البطل الشمالي على استبدال أمجاده بحقاراتي غير
المرغوبة. مولاي الفاضل، أودّ أن تعلم ان برسي ليس
سوى أجير مكلف بتجميع كمّيات من الحسنات
لصالحه، وسأضطرّه الى تأدية حساب عسير
لشخصيتي البارزة، فيعوّض لي أقلّ بارقة مجد تضعف

وهج مديحه، وإن دعاني الأمر الى انتزاع ذلك من بين ضلوعه. هذا ما أعدك به هنا الآن، ويشهد الله على صدق نيّتي. فان شئت، يا مولاي، دعني ألتمس من جلالتك. أن تسكب بلسم حلمك على جراح سلوكي غير اللائق. وإلاّ، أضحت نهاية حياتي قريبة وانقطع كل ما بيننا من صلوات مقدسة. فأنا أفضّل أن أموت مئة ألف مرة قبل أن أنقض عهدي الحاسم هذا لك، يا مولاي وعلة وجودي على هذه الأرض ووليّ نعمتي الى الأبد.

الملك هنري: هذا منك حكم بالإعدام على مئة ألف متمرّد، لأنني أعيد اليك فوراً كل مهامك مع ثقتي الكاملة بمقدرتك واخلاصك.

(يدخل بلونت).

الملك هنري (يوصل كلامه): ما وراءك من أخبار، يا بلونت؟ أراك كثير الاستعجال.

بلونت : جئت أعلمك الآن ان لورد مورتيمور أرسل من اسكتلندا يقول : ان دوكلاس والمتمردين الانكليز إلتحموا بتاريخ الحادي عشر من هذا الشهر في شروزبري. فاذا وفي الجميع بما وعدوا، يكونون قد هذّدوا دولتنا بشكل لم يسبق له مثيل.

الملك هنري: ذهب كونت ويستمورلند بصحبة ولده لورد جون

لنكاستر. وقد مرّت على هذا الحدث خمسة أيام.
إذا، يا هاري، ستمضي صباح الأربعاء القادم، وضحي
الخميس سنجدّ نحن أيضاً في السير، وسنلتقي عند
« بريدج نورث ». وأنت، يا هاري، ستّجه عن طريق
كلوسستر شائر. وإذا حسبنا ما بقي علينا أن نفعله،
نحتاج الى اثني عشر يوماً لتتلاقى جميع قواتنا في
« بريدج نورث ». أمامنا إذاً أعمال كثيرة لا بد من
إنجازها. فالى الأمام. وكلّما تأخّرنا، إغتنم عدوّنا
الفرصة لرصّ صفوفه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في حانة هور بايست شيب

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : ألم يقلّ نشاطي، يا باردولف، منذ تلك العملية
الأخيرة؟ أولم تتناقص ردة فعلي؟ أولم أتخاذل بسبب
تقهقر صحتي؟ انظر كيف تراخى جلدي وبدا عليّ
عجز الشيخوخة، كأني امرأة طاعنة في السنّ هرمة،

وقد ذبلتُ كتفّاحة نخرها السوس. هيّا، أريد أن أندم
سريعاً بينما لا يزال فيّ رمق من الحياة، إذ أشعر
بأنني لن ألبث أن أفقد كل قواي. ولن يسعني عندئذ
أن أتوب. ان كنت لم أنسَ منظر المعبد من الداخل،
أكون كحبة البهار الجافة، أو كالحصان الغريق. أوكد
لك ان العشرة السيئة هي أساس انحداري وهلاكي.

باردولف : يا سرّ جون، أنت تهّدّ كيانك بيدك الى حدّ أنك
لا تدع مجالاً لنفسك كي تعيش مدة طويلة.

فالستاف : أجل، هذه هي مشكلتي. هيّا، أنشدني أغنية حماسية
تفرحني. كنت أتحلّى بالفضائل التي يحتاج اليها ازدهار
حال كل وجيه. أجل، كنت رجلاً صالحاً مرموقاً.
أسبّ قليلاً، لا ألعب بالزهر أكثر من سبع مرات في
الأسبوع طبعاً، ولا ارتاد الأماكن الخلاعية أكثر من
مرة كل ربع ساعة. وقد استندت أموالاً، وسدّدت
ديوني ثلاث أو أربع مرات. أحب الحياة الممتعة
حسب إمكانياتي. لكني الآن أعيش وسط الفوضى
وخارج نطاق جميع الامكانيات المعقولة.

باردولف : هل تلاحظ، يا سرّ جون، انك بدين أكثر من اللازم،
بل أكثر من كل ما يقبل به المنطق السليم، يا سرّ
جون.

فالستاف : ان حسّنت أنت ملامح محياك، حسّنتُ أنا أسلوب

حياتي. أنت قائدنا البحري، وبيدك دفة مركبنا. لكننا
نودّ أيضاً أن تكون فارساً يرفع عالياً نبراس أخلاقنا
الحميدة.

باردولف : هيا، يا سر جون، لا تخش أن يجلب وجهي عليك
النحس.

فالستاف : لا، لا، أقسم لك اني أكيف تصرفاتي بشكل يجعل
الناس يسرون قدماً في السبيل السوي. هذه لحظتي
المشجعة وفرستي السانحة. بينما انا لا أنظر الى محياك
بدون أن أفكر بنار جهنم، وبالغني الذي كان يعيش
متنعماً وأضحى اليوم يتقلّى على جمر أعماله المشينة.
لو انصرفت أنت قليلاً الى التشبث بأذيال الفضيلة،
أوكد لك انك كنت خلاف ما أنت عليه الآن، ولكنت
بهذه الوسيلة أصبحت من ملائكة الله العليّ العظيم.
لكنك تماديت في ضلالك وغرقت في بحر الضياع
أقسم لك انك لولا وجهك المشرق الصبوح لطف
على ملامحك سواد الليل الفاحم. وعندما كنت تركض
في أعالي مرتفعات كادسهيل تحت جناح الظلام
لثمسك بحصاني، ولو لم أعتبرك كالمشعل المضئ
الهادي أو ككرة من نار تتحدّى المياه، لما كان هناك
من مال وافر تغرف منه ما تشاء. أنت عيد دائم وشعلة
أفراح متواصلة لذا وفرت عليّ ما قيمته الف مارك
من المشاعل، عندما رافقتني أثناء انتقالي من حانة

الى أخرى. غير ان ثمن الخمرة التي شربتها عني
كان أمّن لي قيمة أنوار ساطعة لدى أغلى بائع شموع
في أوروبا كلّها. منذ اثنتين وثلاثين سنة أنا أغذي
شعلتك، يا أيها المتلوّن كالحرباء. جزاني الله عنك
خيراً.

باردولف : أيها التّنين الغادر، كم أودّ أن يكون وجهي محجوباً
عنك.

فالستاف : رحمتك اللهم. وإلاّ كنت طعمة حريق غيرتك الملتهبة
غيظاً.

(تدخل المضيّفة).

فالستاف : اذاً، يا عزيزتي السيدة باثلي، هل أجريت تحقيقاً
وعرفت من سطا على جيوبي وسلب مني نقودي؟
المضيّفة : ماذا تقول، يا سرّ جون؟ ومن تظنني؟ هل تعتقد أنني
آوي لصوصاً في بيتي؟ لقد تحرّينا أنا وزوجي وفتّشنا
واستجوبنا كل رجل وكل غلام وكل خادم. وأؤكد
لك ان عشر شعرة لم يفقد عندنا.

فالستاف : أنت تكذّبين، أيتها المضيّفة المنحوسة. فان باردولف
حلق ليحيته وفقد أكثر من شعرة في دارك. وأنا أقسم
بأن مالا سُرق من جيبي أثناء وجودي في ضيافتك.
هيا، هيا، أي نوع من النساء أنت؟ هيا عوّضي عليّ
ما فقدته في دارك.

المضيضة : لكنني مستعدة لإثبات عكس ما تدّعي. يشهد الله،

ان لا أحد تجرّأ قبلك على اتهامي بمثل هذا في بيتي.

فالسشاف : لا تبالغي. أنا أعرفك حقّ المعرفة.

المضيضة : لا، لا، يا سرّ جون، أنت لا تعرفني مطلقاً، بل أنا

أعرفك حقّ المعرفة، يا سرّ جون. لأنك مدين لي

ببعض المال، وها أنت تشاجرني لكي تهضم حقي.

هل نسيت أنني اشتريت لك اثني عشر قميصاً لتستر

بها جسمك.

فالسشاف : من نسيج « الدّولس » الخشن، وزعّتها على صانعات

الخبز فصنعن منها مناخل للطحين.

المضيضة : أنا واثقة، كما أنني امرأة أصيلة، بأن النسيج كان من

الكثّان الهولندي الغالي، ثمن اليرد منه ثمانية شلنات.

فضلاً عن انك مدين لي أيضاً، يا سرّ جون، بمبلغ

لا بأس به من المال لقاء ما تناولته عندي من أطعمة

ومشروبات إضافية، فضلاً عن انك استدنت مني مبلغ

أربع وعشرين ليرة نقداً وعدداً.

فالسشاف (يشير الى باردولف) : هو نال نصيبه منه. فليدفعه لك.

المضيضة : يا للأسف، هو فقير الحال، خالي الجيوب صفر اليدين.

فالسشاف : ماذا تقولين؟ انظري الى وجهه. من الذي تعتبرينه اذاً

غنياً؟ لو توصّلت الى سكّ انفه وخطوده نقوداً

لأصبحت صاحبة ثروة طائلة. انا لن أدفع لك فلساً

واحدًا. هل تظنينني غيباً الى هذا الحد؟ كيف تريدني أن أرتاح في هذا المنزل وقد نُهبت فيه دراهمي من جيوبي؟ ما عدا اني فقدت خاتماً كان لجدي، وقيمته تبلغ أربعين ماركا.

المضيفة : يا الهي. لقد سمعت أحداً يقول للأمير، لا أذكر كم مرة، ان هذا الخاتم مصنوع من النحاس.

فالستاف : ماذا تدّعين؟ هل الأمير فتى أبله، أو بائس غبي؟ لعمرى، لو كان ها هنا، لكنت ضربته بالقضيب كالكلب الأجرب إن نطق بمثل هذا الكلام أمامي.

(يدخل الأمير هنري وبوينز بخطى عسكرية. ويأتي فالستاف ليقابلهما وهو يقوم بحركة كأنه ينفخ في عكازه معتبراً إياه نايًا).

فالستاف : اذًا، يا فتى، ما رأيك؟ هل يهبّ الهواء ويُخرج نغمًا؟ هل يتحتّم علينا جميعاً، أن نسير بخطى عسكرية؟

باردولف : أجل، مصطفىّين اثنين اثنين، على وقع نيو كيّت. المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي.

الأمير هنري : ماذا تقولين، يا سيدة كويكلي؟ كيف حال زوجك. أنا أحبه كثيراً لأنه رجل مستقيم.

المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي الكريم.

فالستاف : أرجوك انا أن تدعها وشأنها، وتستمع اليّ.

الأمير هنري : ماذا تقول، يا جاك؟

فالستاف : في تلك الليلة، نمت أنا هنا وراء هذه الجدران،

ولاحظت ان المال سُرق من جيبي. هكذا أصبح هذا المنزل مشبوهاً تسرق فيه النقود من الجيوب ببراعة ومهارة.

الأمير هنري : ماذا فقدت، يا جاك؟

فالستاف : صدّقني، يا هال، ثلاث أو أربع أوراق نقدية كل واحدة بقيمة أربعين ليرة، وكذلك خاتم جدّي.

الأمير هنري : هذا شيء زهيد لا يساوي أكثر من ثمانية بنسات. المضيفة : هذا تماماً ما كرّرت، يا مولاي. وأكّدت له ان سيادتكم أعلنت ذلك. ولقد لاحظت انه تحدّث عنك بطريقة بذيئة كرجل قدر الفم تجرّاً على التهديد بأنه سيضربك بالقضيب.

الأمير هنري : لا أظن انه تلفّظ بذلك.

المضيفة : أكون بلا شرف ولا أمانة ولا صدق حتى ولا جنس، لو تفوّهت بهذا الكلام.

فالستاف : انا واثق بأنك منافقة أكثر من أي كاذب دجّال، ولست أوفر أمانة من الثعلب المحتال. أما من جهة الجنس، فلا أغالي اذا أكّدت ان البتول مريان تستحق أكثر منك أن تصبح زوجة شرطي. فاسكتي، أيتها البغاء، ولا تضيفي كلمة واحدة.

المضيفة : هل أنا ببغاء؟

فالستاف : أجل، ببغاء حمقاء، لا تدركين ما تعيدين.

المضيفة : انا لست ببغاء غير مدركة. ليتك تفهم أنت ما تتبجح

به. أنا زوجة رجل شريف. وان استثنينا لقبك كفارس،
يمكنني القول انك دجال إن نعتني ثانية بما فُهِتَ به.

فالستاف : اذا استثنينا انك امرأة، تكونين بهيمة إن قلتِ العكس.

المضيفة : أية بهيمة، يا أحمق، أفصح.

الأمير هنري : هي شبيهة بالحنكليس، يا سرّ جون. ولماذا أشبّـهها
بالحنكليس؟

فالستاف : لأن لا لحم لها بل هي كلها حسك، ولا يعرف
الانسان كيف يلتقطها.

المضيفة : أنت رجل ميت الضمير حين تقول هذا، لأنك تعلم
والجميع يعلمون كيف يعاملني الجميع باحترام، يا
منافق.

الأمير هنري : أنت صادقة، أيتها المضيفة، وهو يتجنّى عليك بوقاحة.
المضيفة : وأنت كذلك، يا مولاي. فقد قال لي منذ مدة انك
مدين له بألف ليرة.

الأمير هنري : غريب منك هذا الادّعاء. هل أنا مدين لك بألف ليرة؟

فالستاف : تذكر ألف ليرة فقط، يا هال؟ بل قلّ مليون ليرة.

لأن محبتك تساوي مليوناً وأنت مدين لي بمحبتك.

المضيفة : ثم نعتك بالأبله، يا مولاي، وأكّد لي انه سيضربك
بالقضيب.

فالستاف : هل أنا قلت ذلك، يا باردولف؟

باردولف : نعم، يا سرّ جون، أنت قلت ذلك.

فالستاف : هل قلت أنا هذا، يا باردولف؟
باردولف : فعلاً، يا سرّ جون، أنت قلت ذلك.
فالستاف : أجل، وقد إدّعت أيضاً ان خاتمي من نحاس.
الأمير هنري : نعم، أنا قلت انه من نحاس. فهل تتجراً الآن على
التمسك بوعيدك؟

فالستاف : أنت تعلم، يا هال، انك كرجل لن تضطرنني الى التراجع
بكلامي. ولكنك كأمر أخشاك كما أخاف زئير
الشبل.

الأمير هنري : ولماذا لا تذكر الأسد؟

فالستاف : الملك وحده يجب أن تخشاه الرعية كالأسد. فهل
تظن اني أخافك كما أخاف أباك. إن كان هذا
صحيحاً، لا أمانع بأن تقطع زناري.

الأمير هنري : في هذه الحالة، ستندلق أمعاؤك من بطنك الضخم
طبعاً بسبب قلة ايمانك وولائك وشهامتك المكدّسة
كلها في أحشائك. أنت تتهم امرأة شريفة بأنها سلبت
نقودك من جيوبك. يا ابن الحرام، يا غبي قصير النظر
وقليل الحياء، لو كان في جيوبك غير لوائح ديونك
في الحانات والأمكنة الخلاعية، وقيمة زهيدة ثمن
سكاكر لتبلّ بها ريقك، ولو كانت جيوبك عامرة
بغير القذارات من هذا النوع، لكنت أنا منافقاً خسيساً
لا وزن لكلامي. مع ذلك أنت متشبّث عنيد تريد

أن تصدّق كذبك ودجلك. ألا تخجل من هذا التصرف
الأرعن؟

فالستاف : اسمع، يا هال. انت تعلم ان آدم أخفق في اثبات
براءته من أكل التفاحة في الفردوس. فماذا يستطيع
أن يفعل المسكين جاك فالستاف في أيام فشله وخيبته
هذه؟ كما ترى، انا صاحب لحم وشحم أكثر من
سواي بين البشر، وهكذا أكون أسرع عطباً من
غيري... أنت تعترف اذاً بأنك نهبت نقودي من
جيوبي.

الأمير هنري : هذا ما استنتجته من تفاصيل التحقيق.

فالستاف : أنا أسامحك، أيتها المضيضة. هيا جهّزي لنا طعام
الافطار. أحبّي زوجك وداري زبائنك، ودلّلي ضيوفك.
وستجدينني لئن العريكة كما تشائين. ألا ترين اني
مسامح مسالم... أرجوك ان تعجّلي لأني جائع. (تخرج
المضيضة). والآن، يا هال، ما هي أنباء البلاط الملكي؟
وما قصة السرقة، يا فتى؟ وكيف ستتمّ تصفيتهما؟

الأمير هنري : يا عزيزي الأكل الشره، لا بد لي من أن أسهر عليك
كالملاك الحارس. ها هو المال قد تعوّض.

فالستاف : انا لا أحب التعويض على هذه الصورة، لأنه يتعبني
كثيراً.

الأمير هنري : انا ووالدي قد تصالحناء، ولم يعد لي أي همّ بعد الآن.

فالستاف : اذاً، سيتسنى لك أن تغرف من خزانته الملكية على
هواك بقدر ما تشاء، ولن تتعب في غسل يديك بعدئذٍ.

باردولف : هيا الى العمل، يا مولاي.

الأمير هنري : دبرتُ لك عملاً في صفوف مشاة الجيش، يا جاك.

فالستاف : كنت أفضل العمل في مجموعة الخيالة. فأين يمكنني
أن أجد فتى يحسن السرقة ويقنع بالقليل. هل أصبح
أنا سارقاً في الثانية والعشرين من سني أو حول هذا
العمر؟ وهكذا أراني أمام مفاجأة، لم تكن في الحسبان.
هيا، أشكر ربّك، لأن هؤلاء المتمردين ليسوا حاقدين
على أصحاب الفضيلة، وأنا أؤيد موقفهم وأشكرهم.

الأمير هنري : يا باردولف.

باردولف : مولاي.

الأمير هنري (يسلم باردولف أوراقاً) : اذهب وسلم هذه الرسائل للورد
جون لنكاستر، ولأخي جون، وهذه للورد ويستمورلند.
هيا، يا بوينز امتطِ صهوة جوادك. لأننا انا وأنت علينا
أن نقطع على ظهور خيلنا مسافة ثلاثين ميلاً قبل
موعد العشاء. الحقّ بي، يا جاك، ووافني غداً الى
تامبل هول حول الساعة الثانية بعد الظهر. هناك
ستعرف ما هي وظيفتك، وستلقَى تعليمات ومالاً
لتأمين مصروف رجالك. الأرض تحترق، وبرسي بلغ

الذروة. فلا بد من أن ينهار أحد الفريقين، إمّا نحن وإمّا هم.

(يخرج الأمير وبوينز وباردولف).

فالسّاف : هذا كلام حلو، في عالم رائع. أيتها المضيّفة، أين طعام إفطاري، هيّا، كم أودّ أن يكون في هذه الحانة طبل يقرع ليعلن حضوري.

(يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في مخيم المتمردين قرب شروز بري

(يدخل هاتسبر وورسستر ودوكلاس).

هاتسبر : حسناً تكلمت، أيها الاسكتلندي النبيل. اذا كانت لغة الحقيقة في هذا العصر المتفلسف لا تُعتبر تزلّفاً، فماذا يكون المديح الموجّه الى دوكلاس الذي لم يبلغ شهرته الواسعة أحد سواه في هذا العالم المتحضّر. ربّي، أنا لا أعرف التملّق، وأحتقر الخطب الرنانة في هذا المجال. لكن لا أحد يستأثر في قلبي بمودة أصدق من التي أحفظها لك. صدّقني وثق بأن كلامي هو الحقيقة المجرّدة، ويمكنك أن تمتحن إخلاصي لك، يا مولاي.

دوكلاس : أنت ملك الشرفاء بين جميع الأقوياء على هذه الأرض،

وليس فيهم شخص سواك لا أتحدّاه.

هاتسبر : حاول، وكل ما تفعله مقبول لديّ.

(يدخل رسول ويده رسالة).

هاتسبر (يوصل كلامه) : ما هذه الرسالة التي تجيئني بها؟ (لدوكلاس)
لا يسعني إلّا أن أشكرك.

الرسول : هذه رسالة من والدك.

هاتسبر : رسالة من أبي؟ لماذا لم يأت هو بذاته؟

الرسول : لا يستطيع القدوم الى هنا، يا مولاي. لأن المرض
أنهك قواه وأقعده.

هاتسبر : أنا لا أفهم كيف يمرض أثناء نشوب هذه المعارك؟

ومن سيقود رجاله المسلّحين؟ وبإمرة من سيُقبلون الينا؟

الرسول : رسالته تشرح لك قراره أفضل مني، يا مولاي.

ورسستر : أرجوك أن تعلمني هل يلزم سريره؟

الرسول : نعم، يا مولاي. هو طريح الفراش منذ أربعة أيام.

وعندما غادرته كان أطباؤه غير مرتاحين الى حالته
الصحية.

ورسستر : كم كنت أودّ أن أراه معافى، وأن لا يداهمه المرض.

فان صحته لم تكن غالية علينا مثل ما هي الآن في
وضعنا الحرج.

هاتسبر : ان مرضه في هذا الوقت عينه، وضعفه في هذا المأزق

هو ضربة تطعن مشروعنا في الصميم، لأنها أضرت

كثيراً باستعداداتنا. لقد كتب لي أن علته داخلية...
وان أصحابه لا يمكنهم أن يجتمعوا تحت قيادة من
ينوب عنه، لأنه لم يجد مناسباً أن يسلم مهمته الخطيرة
والدقيقة الى سلطة سواه. على كل حال استحثنا على
متابعة عملنا بشجاعة ولو بوسائلنا الضعيفة. وسنرى
كيف ستساعدنا الظروف على نجاح مساعيها. وقد
كتب أيضاً اننا لا نستطيع التراجع الآن لأن الملك
مطلع على كافة تفاصيل خططنا. فما رأيك.

: مرض والدك يصيبنا بالشلل.

ورسستر

: هذا جرح خطير، بل بمثابة بتر عضو أساسي. مع
ذلك ليس هذا تماماً ما هو حاصل. لأن غيابه يبدو
لنا أخطر مما هو في الواقع. فهل يجدر بنا أن نغامر
بكل إمكانيات دولتنا المتحدة دفعةً واحدة؟ وان نلقي
بثقل هام كهذا في مهب رياح هوجاء غير مضمونة
العواقب؟ هذا لن يكون تصرفاً حكيماً. لأننا بذلك
نعرّض كل آمالنا لانهيار محتمل كأننا نقامر بكل
رصيدنا في لعبة غير معقولة.

هاتسبر

: هذا هو حالنا. مع ان لدينا احتياطياً ممتازاً يؤمن لنا
مصالحنا على ما يُرام. ونستطيع أن نتصرف بقسم
لا بأس به من قدرتنا بأمل تعويض النقص في
المستقبل القريب، مع احتمال حصول انسحابات تعود
علينا بالنفع والفائدة.

دوكلاس

هاتسبر : هناك ملجأ نلوذ به اذا عاكسنا شيطان الحظ وأعاق تقدّمنا في تأهّبنا.

ورسستر : مع ذلك، أنا أتمنى لو كان أبوك معنا. لأن محاولتنا في وضعنا الحاضر الدقيق لا تتيح لنا الانقسام. فهناك جماعات لا تعمل بسبب غياب الكونّت وستظنّ أن الحرص والحذر والولاء والكره الشديد، كلها ساهمت في اتخاذه هذا الموقف وقضت عليه بأن يظل بعيداً عنا. ولا تنسوا كم تؤثر هذه الفكرة على حماسنا واندفاعنا في مثل قضيتنا المقلقة وكم تؤخر وصولنا الى هدفنا المنشود. لأنكم تعرفون جيداً اننا أثناء هجومنا يتحتّم علينا أن نلزم، الى أقصى حدّ، جانب الحيطة والتدقيق لسدّ جميع الثغرات وكل المداخل التي ربما سهّلت حدوث ما ليس في الحسبان والإخلال بتوقعاتنا وآمالنا. في الحقيقة، أرى غياب والدك عنا كستار مسدل يوحى للمتردّد ببوارد الوجل الذي لم يخطر إمكان حصوله ببال أحد.

هاتسبر : لقد ذهبت بعيداً جداً في تأويلاتك، ربما على الأرجح، هذا هو الواقع الذي يمكن أن يُنسب اليه غيابه غير المرتقب والذي لا بد من أن يضيفي على مشروعنا العظيم وشاحاً من البطولة، وهالة من النور، لا يُخشى فقدهما، لو كان الكونّت ها هنا فيما بيننا. اذ يجب التفكير بأننا نستطيع بدون مساعدته أن نجابه القوّات

الملكية، ونحن واثقون بأن عونهُ يسهّل لنا قلب
الأوضاع رأساً على عقب. لأن كل أمورنا سارت
الى الآن على أحسن ما يرام. وكل أفراد قوّاتنا لا
تزال بحالة تأهب ممتازة وعلى أتم الاستعداد لمعالجة
كل طارئ حتماً لصالحنا.

: نعم، طبعاً طبق حساب آمالنا وأمانينا. لأن كلمة خوف
لا سبيل لوجودها في قاموس اسكتلندا.

دوكلاس

(يدخل رتشرد فرنون).

: أهلاً بك وسهلاً، يا ابن عمي العزيز.
: أرجو أن تستحق أخباري كل هذا الترحيب، يا مولاي،
لأن الكونت ويستمورلند ومعه سبعة آلاف مقاتل
يزحفون إلينا بصحبة الأمير جون.

هاتسبر

فرنون

: هذا لا يضيرنا أبداً. ماذا هناك أيضاً من أخبار؟
: فضلاً عن ذلك، علمت بأن الملك اشترك شخصياً
في الحملة أو على أهبة القدوم الى هنا على جناح
السرعة ومعه قوّات لا يستهان بها.

هاتسبر

فرنون

: أهلاً به هو أيضاً. أين ابنه أمير وايلس، هذا الرأس
الفارغ صاحب الأرجل الخفيفة؟ أين هو وأصحابه
الذين يستهترون بكل الناس، ويجبرونه على خدمة
مآربهم الخاصّة.

هاتسبر

: وجميعهم مدجّجون بالسلاح، وريش النعام يزيّن

فرنون

خوذاتهم ويرفرف عالياً في الهواء. وهم يطلّون
بجحافلهم كالنسور، وأسلحتهم تلمع في الفضاء
وتشحذ هممهم تحت أشعة شمس أيار الساطعة،
ومزاجهم يترنح نشوان كالماعر الصغير نزقاً كأنه ثور
هائج. لقد شاهدت هنري الابن وقد لبس خوذته ودرعه
وأشهر سلاحه واندفع الى المعركة كالإله مرور
المجنّح وقد قفز الى صهوة جواده برشاقة نادرة جعلته
شبه ملاك نازل من السماوات ليقود رجاله ويسحر
الأنظار بروعة طلّعه ورشاقة قوامه.

: كفى، كفى. هو أفضع من شمس آذار الباهتة. هذا
المديح يبعث الحمى في الأبدان. دعوهم يأتوا.
أتركوهم يصلوا إلينا كأنهم ضحايا مذبوحة نقدّمها
قبل أن تبرد لحمانها على مذبح الحرب الطاحنة.
وهكذا يتربّع إله الحرب مارس على عرشه، وقد تلوّث
بالدماء حتى أذنيه. لا أعود أمتلك أعصابي، عندما
أفكر في هذه الغنائم الوافرة التي تستباح على مقربة
مناء، بدون أن يكون لنا منها أي نصيب. هيّا بنا،
سأخذ حصاني وأنطلق كالسهم المسدّد الى صدر
أمير وايلس. وسيتحدّى أحدنا الآخر، هنري يكرّ على
هنري، حصانه يزاحم حصاني، ولن نفترق إلا عندما
يسقط أحدنا جثة هامدة. لماذا لم يصل بعد كلانداور؟
: اليك هذا النبأ الجديد : لقد بلغني وأنا في ورسستر

هاتسبر

فرنون

حين كنت أنهب الأرض نهباً على جوادي انه لن
يتمكن من جمع رجاله قبل مرور خمسة عشر يوماً.

دوكلاس : هذا أسوأ نبأ سمعته حتى الآن.

ورسستر : أجل، وله وقع جليدي يجمّد الدم في العروق.

هاتسبر : كم يبلغ عدد مقاتلي جيش الملك؟

فرنون : حوالي ثلاثين ألف رجل.

هاتسبر : لنقل أربعين ألفاً. اذا ظلّ والدي وکلانداور كلاهما

على الحياد، سيكفيّنا ما لدينا من جنود في هذا اليوم
التاريخي. هيا نرتّب صفوف رجالنا، فقد دنا وقت
الحساب المشهود. وإن كتب علينا أن نموت، يتحتم
علينا أن نموت بفرح وابتهاج.

دوكلاس : لا تتكلّم عن الموت. فأنا مضمون لمدة ستة أشهر
حيال الخوف وحيال عزرائيل.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

في طريق متقدّم نحو كوفنتري

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : باردولف يتقدم نحو كوفنتري. إملأ لي قنينة من الخمرة. سيجتاز جنودنا المدينة وسنصل هذا المساء الى « سوتن كاب هيل ».

باردولف : هل تريد أن تعطيني مالاً، أيها القائد؟

فالستاف : إ دفع، إ دفع.

باردولف : ستجعلك هذه القنينة تتصرف كملاك صغير.

فالستاف : في هذه الحالة، خذه على عاتقك. وعندما تصنع عشرين ملاكاً نظيره، استخدمهم كلهم، وأنا أتكفل بالمصاريف. ثم قل لوكيلي بيتو أن يوافيني الى اطراف المدينة.

باردولف : نعم، أيها القائد. الوداع.

(يخرج).

فالستاف : اذا لم أخجل من جنودي، كنت دجالاً منافقاً. فقد عصرت جيداً خزانة الملك مثل الليمونة، وقبضت ما يزيد على ثلاثمئة ليرة لتجهيز مئة وخمسين جندياً. وأنا لا أعصر هكذا سوى المالكين الكرماء وأولاد

المزارعين الكبار. وأبحث عن شبّان مخطوبين قد أذيع
موعد زواجهم بتاريخ قريبٍ عاجلٍ مرتّين، لأنهم أقرب
الى المرفّهين السذج الذين يفضّلون سماع صوت
الشیطان على قرع طبول الحرب، ويخافون رمي السهام
أكثر من صياح دجاجة تبيض أو بطّة بريّة جريحة.
أنا لم أعصر سوى أكلة الدسم الذين يوازي حجم
قلوبهم رأس الدبوس، وكلهم قد دفعوا الجزية للتملّص
من الخدمة العسكرية. والآن باتت فرقي كلها مؤلّفة
من رتباء وعرفاء وملازمين وضباط، وكذلك من رجال
مساكين لا يمتلكون قشرة بصلة، وهم مجردون من
متاع الدنيا نظير لعازر المائل رسمه في هذه الجدران
والكلاب تلعق قروحه بشراهة، ومن شجعان لم
ينخرطوا أبداً في سلك الجندية، ومن خدّام مطرودين
لأنهم غير صالحين، ومن فتيان أغرار وغلمان حانات
هاربين، ومن أصحاب نزل مفلسين، وبالإجمال من
كل فئات جماعة البطّالين الذي يمتصّون دماء المجتمع
الهادئ أثناء السلم الطويل الأمد. وهم رعا عار جارٍ
عليهم الحرمان فأمسوا مثل لافتة ممزّقة ومرقّعة. دفعوا
الجزية كي لا يُجنّدوا ويحملوا السلاح ويساقوا الى
المعارك. يمكنكم أن تعتبروا عددهم مئة وخمسين
من أولاد الذوات الذين لم يعد لديهم إلا الأسمال
البالية. يأتون ليحرسوا الخنازير ويشربوا ماء غسل أواني

السفرة ويتغذّوا بما يذوب من شحمهم ولحمهم. هناك مازح مزعج صادفته في طريقي واعترض عليّ بأنني أفرغت الأجواء من كل صيد ونبشت جميع جثث الأموات، اذ لم يسبق لأحد أن شعر بمثل هذا الهلع. لن أجتاز كوفنتري بصحبته، وهذا تصميمي النهائي. ثم ان هؤلاء الأغبياء يمشون وأرجلهم متباعدة كما لو كانوا يرسفون في قيود من حديد، والسبب يعود الى اني انتشلت معظمهم من السجون المظلمة حيث كانوا محكومين لآجال طويلة. ففي فرقتي ليس سوى قميص ونصف، ونصف القميص هذا مصنوع من قطعتين موصولتين معاً وملقتين على ضلوع أحد الحراس بدون أكمام. أما القميص فهو في الحقيقة مسروق من ضيف نزل سان ألبان أو من الرجل الأحمر الأنف الذي يدير نزل كوفنتري. لكن كل هذا لا يستحق الذكر، لأن هؤلاء المرتزقة سيجدون ملابس داخلية كثيرة منشورة على الأسيجة.

(يدخل الأمير هنري ويستمورلند).

الأمير هنري : ما لك منتفخ المقلتين هكذا، يا جاك؟ وماذا تفعل ها هنا في ورويك شاير؟ اني ألتمس عفوكم، يا عزيزي لورد ويستمورلند، ان كنت أعتقد أن سيادتكم لا تزال في شروز بري.

ويستمورلند : والله، يا سرّ جون، حان لي أن أكون هنا. وكذلك أنت أيضاً، بما أن جنودي يعسكرون في هذا المكان. أؤكد لك أن الملك يحتاج إلينا جميعاً، وعلينا أن نسير طوال اليوم لنوافيه.

فالستاف : لا ينشغل بالك عليّ، فأنا نشيط ومتيقّظ مثل الهرة التي تغافل لتسرق الجبنة. لكن قلّ لي، يا جاك، من يخصّ هؤلاء الرجال الذين يمشون خلفنا؟

فالستاف : يخصّونني، أنا، يا هنري.

الأمير هنري : لم أشاهد في حياتي رجالاً يُرثي لهم نظيرهم.

فالستاف : هم يصلحون فقط لطعنهم بالرماح أو لتمزّق أجسامهم قنابل المدافع. وهم أفضل من يملأون فراغ ساحة القتال. على كل حال، يا عزيزي، هم رجال برسم الموت، أجل برسم الموت كضحايا رخيصة لا يؤسف عليهم.

ويستمورلند : لكن، يا سرّ جون، يخيل إليّ أنهم مساكين وضعفاء للغاية، فضلاً عن أنهم في منتهى البؤس والشقاء.

فالستاف : لعمرى، لست أدري أين اكتسبوا فقرهم هذا. أمّا هزالهم، فلا دخل لي أنا فيه مطلقاً.

الأمير هنري : وأنا أصادق على قولك، إلّا إذا اعتبرت الهزال مكوّناً من سماكة ثلاثة أصابع من الدهن تكسو ضلوع صدورهم. على كل حال، لا بدّ لنا أن نستعجل، يا صديقي. لأن برسي قد وصل إلى السهل.

فالستاف : ماذا تقول؟ هل تسنى للملك أن يعسكر مع جنوده على مقربة منا.

ويستمورلند : أجل، يا سرّ جون. وأخشى أن نتأخر في موافاته الى هناك.

فالستاف : بالفعل، سيبدأ القتال، كما يبدأ تناول الطعام الأول بالنسبة الى الجنود الكسالى، والثاني بالنسبة الى المدعوين الذوّاقة.

(يبتعدون).

المشهد الثالث

في معسكر المتمردين قرب شروز بري

(يدخل هاتسبر وورسستر ودوكلاس وفرنون)

هاتسبر : سنقاتله هذا المساء.

ورسستر : هذا غير ممكن بتاتاً.

دوكلاس : اذاً، أنتم تفسحون له سبيل الفوز.

فرنون : كلا، ثم كلا.

هاتسبر (لفرنون) : كيف تقول هذا؟ أولاً تعلم أنه ينتظر وصول المدد؟

فرنون : نحن أيضاً نترقب مَرَدَنَا.

هاتسبر : إغاثته مؤكّدة، بينما نجدتنا نحن مشكوك بأمرها.
ورسستر (لهاتسبر) : يا ابن عمي العزيز، إسمع نصيحتي ولا تتحرك
هذا المساء.

دوكلاس : رأيك غير ملائم لأنه وليد الخوف والتردد.
فرنون : لا ترشقني بنبال الاستهتار وعدم المبالاة، يا دوكلاس.
بذمتي، أنا مستعد لإثبات قولي بالمغامرة حتى بحياتي،
عندما تكون الشهامة دافعي. فاني نظيرك، يا مولاي،
لا أصغي الى أية نصيحة يسديها اليّ اسكتلندي، وان
كنت فريسة الوجوم والفرغ.

دوكلاس : أجل، لا سيما هذا المساء.
فرنون : انا موافق.
هاتسبر : قلت، هذا المساء بالذات.

فرنون : هيا بنا اذاً. هذا لا يمكن أن يتمّ. أنا أستغرب جداً
كيف يستطيع رجل مثلك عالي المكانة واسع السلطة
أن لا يلاحظ العقبات التي تعيق هجومنا وربما تفشله.
لأن خيالة ابن عمي فرنون لم تصل بعد، وفرسان
عمك ورسستر لن يصلوا إلّا عصر اليوم فقط. والآن
أرى حماسه واندفاعه مشلولين ونشاطه على وشك
الانهيار من شدة التعب والارهاق وليس هناك من
حصان لم يفقد نصف قواه في هذه الأثناء.

هاتسبر : لا يغرب عن بالك ان فرسان الأعداء ليسوا في حالة

أفضل منها وهم بصورة عامّة منهوكو العزيمة. وهكذا
يسعنا أن نغتني هذه الفرصة السانحة لاقتحامهم.
: عدد رجال الملك يفوق عدد رجالنا. فأرجوك، يا
ابن عمي، بحق السماء، أن تنتظر قليلاً حتى يصل
الينا كل ما نترقبه من العون.

ورسستر

(تعلن الموسيقى قدوم أحد أعضاء المجلس. يدخل سرّ والتر
بلونت).

: أنا آتيكم بعروض مغرية من قبل الملك. فأرجوكم
أن تتفضّلوا وتصغوا اليّ.

بلونت

: أهلاً بك، يا سرّ والتر بلونت. أملنا أن تكون من
مؤيدينا. لأن في ما بيننا من يميلون الينا كثيراً، ولا
يقدرّون جدارتك حق قدرها. ونظراً الى سمعتك الطيبة
يوقنون بأنك لن تنضمّ الى صفوفنا بل بالعكس تساند
أعدائنا.

هاتسبر

: لا سمح الله أن أكون كذلك، وقد ابتعدت عن مقتضى
واجبي الحقيقي. أنتم بطبيعة الحال انقلبتم على شرعية
جلالته. واليكم رسالتي : لقد أوفدني الملك لمعرفة
طبيعة وضعكم وسبب اتّخاذكم، في جو السلام العام،
موقفكم العدائي غير المشكور، وأعطيتم لشعبه الموالي
مثلاً سيئاً في الشراسة والجسارة. فان كان الملك
قد غمطكم حقكم في مجالات شتى، أراه الآن يلحّ

بلونت

عليكم لتبيين مطالبكم، على أن تُلبّي فوراً جميعها
بشكل يرضيكم ويرفع الغبن عنكم، وهو مستعد لأن
يسامحكم أنتم ومن تمرّدوا عليه بناءً على تحريضكم.
: الملك طيب القلب، وهو يعرف أيضاً متى يَعد ومتى
يُفي بوعوده. ولقد ساهمنا أنا وأبي وعمّي، في دعمه
لإِعتلاء العرش الذي يتربّع عليه الآن، وهو يكاد يبلغ
السادسة والعشرين من العمر، قبل أن يتّضح لرعاياه
ما يستطيع أن يؤمنه لهم من الحقوق، إذ كان لا
يزال فتى متشرداً بائساً غير معروف، يتجول في أنحاء
البلاد على غير هدى. فاستقبله والدي عند الشاطئ.
وفيما كان يقسم له بالله، ويؤكد له انه لم يأتِ إلّا
ليصبح دوق لنكاستر ويطالب بميراثه ويلتمس السلام
والأمان، رقّ له قلب والدي لما رآه فيه من البراءة
والمطالبة الصادقة. فأقسم له أبي بدوره، أن يساعده،
ووفى بوعدده. وحالما شاهد لوردات المملكة وباروناتها
أن نورثمبرلند يريد انصافه، جاء الكبار والصغار لتحيّته،
وخلعوا قبعاتهم وطوّوا ركابهم أمامه وبادروا الى لقائه
بعد ذلك في الضواحي والمدن والقرى ورافقوه فوق
الجسور وواكبوه في الشوارع وقدموا له هداياهم
وأقسموا يمين الولاء لشخصه وأوفدوا اليه أولادهم
كحجّاب وربطوا مصيرهم بحسن طالعهِ. ومن جهته،
حالما أبصر نموّ عظمتِهِ وسموّ شأنه، ما كان منه

إلا أن إزداد اعتباره واحترامه بسبب الوعود التي أغدقها عليه والذي حين كان الفتى مغامراً مغموراً يهيم على شاطئ رافنسبورك. وها هو الآن يتشامخ عليه ويلمح له بأنه سيبادر الى تصحيح بعض البيانات والقرارات المجحفة التي تعرقل سير أمور المجتمع ويودّ معالجة بعض التجاوزات متظاهراً بالعطف على أبناء الوطن والرغبة في انقاذهم مما يعانونه من ويلات. وبناءً على هذا الرياء وهذا العدل المزيّف، جمع حوله القلوب واكتسب محبة من ينوي ان يغدر بهم. وذهب الى أبعد من ذلك، فأقصى عن جوار الملك كل المخلصين له، أثناء غياب جلالته ممن أوكل اليهم ادارة شؤون الدولة نيابةً عنه، حينما ذهب ليشرف على سير المعارك الدائرة في إيرلندا.

بلونت : أنا لم آتِ الى هنا لسماع هذه القصص.

هاتسبر : أمّا أنا فاستنتج ما جرى. إذ إنه بعد مدة وجيزة سعي الى خلع الملك، وما عتّم ان أمر بإعدامه. وسرعان ما فرض الضرائب الباهظة على كافة الشعب. والأنكى أنه أصرّ على ابقاء ابن عمه مارش سجيناً في مقاطعة وايلس، كي لا يصبح ملكاً، ثم اطلق سراحه بعد أن قبض فدية لا بأس بها. ولم يتورّع عن التنديد بي على أثر كل انتصاراتي ونصب الشراك للايقاع

بي بالحيلة، وطرده عمي من المجلس وأبعد أبي عن
البلاط بحقد وازدراء، ونقض حلفاناته واحداً تلو
الآخر، واضطربنا الى البحث عن خلاصنا بحمل السلاح
والانقلاب على سلطته التي شككنا بدوامها نظراً الى
مدى ما أضعفها من سوء استعماله اياها في شتى
أبواب الظلم والغدر.

بلونت : هل تريد أن أنقل هذا الحديث الى الملك؟
هاتسبر : ليس بهذه التعابير عينها، يا سر والتر. لأننا سنتفاوض
واياك في هذا الموضوع الشائك. يمكنك أن تذهب
الى الملك وتطلب منه أن يقدم لنا برهاناً يضمن لنا
عودة رسولنا. وغداً في الصباح الباكر سينقل عمي
اليه ما ننوي عمله. فالوداع.

بلونت : أتمنى أن تقبلوا بهذا العرض الودّي المنصف.

هاتسبر : قد نقبله.

بلونت : إن شاء الله.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في مقرّ رئيس أساقفة يورك

(يدخل رئيس أساقفة يورك وأحد الوجهاء)

رئيس الأساقفة (يسلم الوجهه أوراقاً) : هلمّا، يا سرّ ميكائيل الكريم،
إذهب على جناح السرعة لتسليم هذه العجالة الى لورد
مارشال، وهذه لابن عمي إسكروب، وباقي الرسائل
لأصحابها. ليتك تعلم كم هي هامّة، كي تستعجل
على قدر المستطاع في تأدية مهمّتك.

الوجهه : اني استشفّ مضمونها، يا مولاي الفاضل.

رئيس الأساقفة : هذا غير مستبعد. فغداً، يا سرّ ميكائيل، هو يوم
يتقرر فيه مصير عشرة آلاف مقاتل. إذ ان الملك
سيكون في شروز بري على رأس جيش لجب جنّده
على عجل لمجابهة لورد هاري. وأنا أخشى، يا سرّ
ميكائيل، بسبب مرض نورثمبرلند الذي كان عدد رجاله
ضخماً، وبسبب غياب أوين كلانداور الذي يتّكل على
قواته، وقد سرت بعض الشائعات ومنعته من المجيء،
انا أخشى أن يكون جيش برسي ضعيفاً الى حدّ ان
لا يستطيع مساندة شنّ القتال حالاً على الملك.
الوجهه : لا داعي للخوف أبداً، أيها اللورد الكريم، ما دام
دوكلاس ولورد مورتيمور كلاهما هنا.

رئيس الأساقفة : كلاً، مورتيمور ليس هنا.
الوجيه : لكن مرّداك هنا، وكذلك فرنون ولورد هاري برسي،
وأيضاً مولاي ورسستر، مع نخبة من المحاربين
البواسل والوجهاء الأكارم.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لكن الملك من ناحية قد جمع نخبة
عليّة القوم بأسرهم : أي أمير وايلس ولورد جون
لنكاستر والنبيل ويستمورلند والمحارب بلونت وغيرهم
من المقاتلين الأشداء ورفاقهم، وكلّهم رجال امتازوا
بسمعتهم الطيبة وخبرتهم العسكرية الواسعة.

الوجيه : لا شك، يا مولاي، بأنهم لن يلاقوا أخصاماً ألّداء
يوازنوهم بالمهارة وشدة البأس.

رئيس الأساقفة : أرجو ذلك من كل قلبي. والأجدر بنا أن لا ننام
متكئين فقط على مقدرتنا. لذلك، بغية أن نتجنّب
أسوأ الحالات، يا سرّ ميكائيل، علينا أن نستعجل
الأمر، لأن لورد برسي، اذا لم يتمكّن من الوصول
الى مبتغاه قبل أن يستغني الملك عن رجاله ويصرفهم،
يودّ أن يزورك معتبراً ذاته أنه ينتمي الى تحالفنا. وليس
من الحكمة أن نستنفر قوّاتنا لنحمي أنفسنا من أذاه.
بالنتيجة، لا بد لنا من العجلة. ويتحتم عليّ أيضاً
أن أذهب لأكتب الى بعض الأصدقاء استنجد بهم.
وبناءً على ذلك، أودّعك، يا سرّ ميكائيل.
(يفترقان).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في معسكر الملك بقرب شروُز بري،
وقد طلعت عليه أنوار الفجر

(يدخل الملك هنري، والأمير هنري، والأمير جون لنكاستر وسرُ والتر بلونت
وسرُ جون فالستاف)

الملك هنري: ما لهذه الشمس المشرقة على تلالنا، محمرة هكذا
كأنها دامية، والطبيعة تبدو شاحبة على نورها الباهت؟

الأمير هنري: ريح الشمال تهب وتصفر كالقوقال الحزين وسط هذه
الكآبة الرهيبة. وهي بتحريكها أوراق الشجر بعنف
تُسمعنا حفيفاً مخنوقاً كأن العاصفة تنوح وتُعول في
هذا النهار المكفهر الغاضب.

الملك هنري: أجل، كأن زمجرة الأنواء تنتحب بسبب هزيمة

المنكسرين في المعركة، لأن الأيام لا تعبس أبداً في
وجه المنتصرين.

(تصدق الموسيقى. يدخل ورسستر وفرنون).

الملك هنري: أهذا أنت، يا لورد ورسستر؟ من المؤسف أن نلتقي
أنا وأنت في مثل هذه الأحوال المقلقة. لقد خيبت
آمالنا وبددت ثقتنا فيك، وأجبرتنا على التنكر للسلام
فيما بيننا وعلى حبس أجسامنا المسنة في دروع فولاذية
ثقيلة. وهذا أمر غير مستحب، كما تعلم جيداً، يا
مولاي. ما هو جوابك على ذلك؟ أولاً تريد الآن
أن تحلّ عقدة هذه الحرب البغيضة، لنسلك معاً
يداً بيد درب التفاهم والوئام ونكمل مسيرتنا السلمية
الخيرة كما فعلنا في السابق رداً طويلاً من الزمن؟
أولاً تريد أن تجوب معي بسرور رحاب الآفاق النيرة
بعيداً عن ظلمة العدا والبغضاء وأن نلتزم الهدوء
والبهجة في مستقبل الأيام؟

ورسستر : إصغ إليّ، يا مولاي. أنا من جهتي يسرني أن أقضي
ما بقي من عمري في أمان وسعادة ورخاء، لأنني
من طبعي لا أحبّ المشاكسة والتفرقة الوخيمة العاقبة.

الملك هنري: أعرف تمام المعرفة أنك لم تبحث يوماً عن الخلاف.
ولكن كيف بربك وصلنا إليه.

فالسّتاڤ : كان التمرّد في طريقه الينا عندما تعثّرنا وسقطنا في مطباته.

الأمير هنري : سقياً للسلم، وما أحلى زمن الوئام.
ورسستر : لقد استغربت كيف استرعت انظار أغلب أفراد بلاطي، بينما أسمح لنفسني بأن أعلمك، اني أول من حافظ على مودة أصدقائي. فلأجلك قد كسرت عصاي أثناء تولّي منصبني في عهد رتشرّد. وسعيت ليلاً ونهاراً الى موافاتك ومساندتك، وأنت لم تكن في وضع أقوى ولا أنجح مني. والفضل لي ولأخي ولولدي في عودتك الى ديارك سالماً، وقد جابهنا كل المخاطر بشجاعة في تلك الظروف الصعبة. لذا أقسمت لنا وعاهدتنا في دنكاستر على أن لا تفكّر يوماً في مقاومة سلطتي وأن لا تطالب إلّا بما يحقّ لك من إرث جون دي غان، أي دوقيّة لنكاستر. لذلك وعدتك بكل مساعدتي عند الحاجة. وسرعان ما أمطر سحاب الحظ غيظه عليك نعماً وازدهاراً. غير أن مساندتي وغياب الملك، وكذلك التجاوزات وفوضى تلك الحقبة العسيرة والآلام التي عاينناها والرياح المعاكسة التي احتجزت الملك أثناء حربه التعيسة في ايرلندا زمناً طويلاً هناك، حتى ظن الجميع في انكلترا أنه مات. فبادرت أنت الى استغلال هذه الظروف كأنها حسنات جاءت تدعم مأربك. واغتنمت الفرصة لجعل

الأغلبية ترجوك كي تستلم زمام السلطة العليا. لكنك نسيت العهد الذي قطعتَه لي على نفسك في دنكاستر. وبعد أن ساندتك أنا في هذه القضية عاملتني كطفل عاقَّ عضَّ مرضعه، وولد غبيّ سطا على عشٍ يأوي فراخ عصفور وادع. أجل ساعدتك، ولمّا اشتد ساعدك رميت ثقتي بك في المهالك. فخشيت أنا أن أُدفن حياً تحت حطام مودتي وأمانتي. وراودتني فكرة الهرب لأنجو بنفسي من غدرك وآمن مما قد يلحق بي من ظلمك، لكنني عدلت عن هذا النهج المعوجّ، وفضّلت تنظيم المقاومة مستفيداً من الأسلحة التي أعددتها أنت لمحاربة مصالحك بطرقك الملتوية الجائرة وأساليبك الجائرة البطّاشة، وتعدّياتك الوحشية فدست بشراسةٍ جميع المقدّسات التي حاولت أن تتذرّع بها في شبابك لبلوغ أهدافك.

الملك هنري: كل هذه الأمور توّسلتها وأعلنتها وتمسّكت بها ونشرتها في المعابد لكي تلبس عصيانك ثوب الفضيلة الزاهي وتبهر من تنطلي عليه المظاهر الخدّاعة والحيل المبرّقة بالبراءة وحُسن النية. فاجتذبت اليك أفواجا من المستائين الحاقدين وألّبتهم على خصمك وشجّعتهم على تأييد مخططك الجهنمي فانقلبوا معك على السلطة الشرعية، وساعدتك هذه الفوضى على التغلّب

والانتصار في نهاية الأمر، نظراً الى ما اعتمدته في
تصرفك الشاذ من أساليب الغطرسة ووسائل التحطيم
والتهديم.

الأمير هنري : عديدون بين أفراد جيشي هم الذين سيدفعون غالياً
ثمن لقائنا هذا اذا اتفق لهم أن يشتبكوا في قتال
مستमित. قل لابن أخيك اني أنا أمير وايلس أنضم
الى معظم الناس للاشادة بشخص هنري برسي. وأقسم
بأعز ما لديّ اني أضع المصلحة الآنية جانباً لأتعاون
واياه بصورة أنشط وأشجع وأجرأ للخلاص من محنتي
الحاضرة بأعمال نبيلة ترفع الرأس. أما من جهتي فيجب
عليّ أن أقول لك كم أنا خجول من قلة تمسّكي
بمبادئ الفروسية الأبيّة. وهذا هو رأي أغلب أتباعي
في ما يشجعونني عليه من أعمالي وتوقعاتي. مع ذلك
أعلن أمام صاحب الجلالة ابي اني موافق على أن
تستفيد أكثر مني من شهرته وأمجاده، وأتعهد لتفادي
سفك دماء الطرفين، أن أحاول التغلب عليه في قتال
إفرادي.

الملك هنري : وأنا لن أتردد، يا أمير وايلس، أن أغامر في محاربة
أعرافك مهما حالت دون انسجامنا دواعي الاشتباك
معاً في معركة مشتركة. لا، يا ورسستر الكريم، لا.
أنا أحبّ شعبي محبة صادقة فائقة، حتى اني أكنّ

مودّة خاصّة لمن ناصرُوا ابن أخيك على مناوأتي.
وإذا ارتضوا ما أعرضه عليهم من حلمي وسماحتي،
وأنا أعنيهم جميعاً، وبنوع خاص هو وأهمّ أتباعه،
ستصبحون أصدقائي مجدّداً، وأظن أنا خلكم الوفي
على الدوام. قلّ هذا لابن أخيك واستحصل لي منه
على ردّه الذي أرجو أن يكون ايجابياً وودياً. وإذا
لم يوافق على ذلك، فلن أحجم عن توبيخه ومعاقبته.
وبناء على اقتراحي هذا، أسألك أن ترحل لأنني لا
أريد أن أرهق نفسي بمفاوضات غير مجدية. أنا أعرف
جيداً ما في عرضي من إغراء لا يقاوم، وآمل أن
يتقبّله بكل حكمة وتبصّر.

(يخرج ورسستر وفرنون).

الأمير هنري : أؤكد لك وأقسم بحياتي أن عرضك غير مقبول لديه.
لأن دوكلاس وهاتسبر مجتمعين يمكنهما أن يقاوما
بالسلاح قوى الدنيا بأكملها.

الملك هنري : الى العمل اذاً، وعلى كل رئيس أن يلزم مكانه، لأننا
بموجب ردّهم السلبي سننقضّ عليهم، والله يعيننا على
صيانة قضيتنا العادلة.

(يخرج الملك وبلونت والأمير جون).

فالستاف : يا هال، اذا رأيتني أغامر في خوض هذه المعركة،

آمل أن تساعدني شخصياً لأنني أعتبر هذا منك برهاناً
قاطعاً على ما تحفظه لي من الصداقة والمودة.
الأمير هنري : يلزمك جبار للقيام بما تطلبه مني. أرجوك أن تبدأ
بتلاوة صلاتك إستعداداً للرقاد. الوداع.
فالستاف : أمني وطيد، وقد حان وقت النوم، أن تنقضي كل
المشاكل بسلام.
الأمير هنري : يبدو عليك أنك استجبت دعوة ربك لتضحّي بنفسك.
(يخرج).

فالستاف (وحده) : أجلي لم يُقرّر بعد كي يحين في موعد قريب.
وأنا أرفض أن أردّ أمانة ربّي قبل زمن استحقاقها.
لماذا اسارع الى التصدّي لأمر لا يعنيني؟ هذه مسألة
غير هامّة. فإنّ شهادتي تأبى عليّ أن أستبق الأحداث.
لكن اذا دعاني الواجب للانتقال الى العالم الآخر لن
أتأخر عن التلبية. غير اني أتساءل عمّا اذا كانت المروءة
تستطيع أن تعوّض عليّ يداً أو رجلاً في حال فقدانها،
أو تسكّن لي ألم جرح أو علة ما؟ كلا. وهل تتعاطي
الشهامة أعمال الجراحة التي تجهلها؟ كلا، ثم كلا.
هي مجرد كلمة. وماذا تعني هذه الكلمة؟ انها تحوي
نفساً حيّاً فيه كل سحر الحياة وروعها. ومن يمتلك
هذه الشهامة الأييّة؟ هل يشعر بها من أسلم روحه
في أي يوم عادي؟ كلا. هل يسمع الجميع نداءها؟

كلا. هل القضية اذاً شعور غير حقيقي؟ أجل لدى
الأموات الذين فقدوا كل حركة. ولكن، ألا يتسنى
للسهم أن يعيش بين الأموات؟ كلا. لماذا؟ لأن النميمة
لا تتيح له ذلك. وهكذا أنا أيضاً لا أريد ذلك. فهذه
الشهامة شعار بسيط هو خلاصة مبادئ ومشاكلي.
(يخرج).

المشهد الثاني

في معسكر المتمردين

(يدخل ورسستر وفرنون)

ورسستر : لا، لا، يجب أن لا يعرف سرّ رتشارد ان ابن أخي
مطلع على العرض السخي الذي قدّمه الملك لتحقيق
الوفاق بين مختلف الفرقاء المتناحرين.

ورسستر : في هذه الحالة سنهلك كلنا لا محالة. اذ لا يعقل
أن لا يفي الملك بوعده، وان لا يعطف علينا ويشمل
برعايته. سيظن بنا سوءاً وسيجد دائماً حجة وفرص
لمعاقبتنا على هذا التمرد وعلى غيره من الأخطاء.
فهناك شكوك تحوم حولنا ومن الصعب الأغضاء عنها.

لأن الخيانة ليست مدعاة ثقة ما دام الشعب الغادر
مهما رُوض ودُجّن لا بد له من الاحتفاظ بخبث أجداده
الماكرين. فان بدت علينا امارات الحزن أو الفرح
ستأول دائماً شراً. وسيكون مصيرهم كبقر الزريبة
يزداد اقترابها من المسلخ كلما حسنت معاملتها وزاد
وزنها. ان الضرر الذي سببه ابن أخي، من السهل
غض الطرف عنه ونسيانه. وعذره هو نزق شبابه ودم
الحماس الذي يغلي في عروقه ولقبه المميّز هاتسبر
أي المتهوّر الذي تسيطر عليه أهوائه الفاسدة. وكل
أخطائه وذنوبه ستُنصبّ عواقبها على رأسي ورأس
والده. نحن ربّناه وتهاونّا في تقويم اعوجاجاته وبما
ان انحطاطه مستمرّ في محيطنا وهو من مسؤولياتنا،
علينا نحن علّة كل هذه المعضلات أن ندفع ثمن
تساهلنا. لذلك، يا ابن عمي العزيز، يتحتم على هنري
أن يجهل عرض الملك مهما كلف الأمر.

فرنون : قلّ ما شئت، وأنا أكرّر وجهة نظرك وأدعمها. ها
هوذا ابن أخي قادم إلينا.

(يدخل هاتسبر ودوكلاس، يتبعه ضباط وجنود).

هاتسبر : لقد عاد عمي. فليطلق سراح مولاي ويستمورلند...
ما وراءك من الأخبار يا عمّاه؟
ورسستر : سيهاجمك جنود الملك بدون إمهال.

- دوكلاس : ارسل اليه تحدياتي بواسطة لورد ويستمورلند.
- هاتسبر : اذهب، يا لورد دوكلاس، وكلفه بايصال هذا التحدي.
- دوكلاس : لعمرى، انا ذاهب بكل طيبة خاطر.
- ورسستر : لا يغرب عن بالك ان الملك ليس في صدره ذرة من الحلم والانسانية.
- هاتسبر : وهل أنت، لا سمح الله، طلبت منه أن يكون حليماً؟
- ورسستر : لقد خاطبته برقة عن أخطائنا وعن وعوده التي لم يفر بها. وللتعويض عن موقفه الذي يستحق اللوم، ندّد الآن بما أقسم سابقاً على القيام به. وهو يعتبرنا متمرّدين وخونة، وقد عزم على استلال سيفه ليصلح ما يصمنا به من نقائص.
- (يدخل دوكلاس).
- دوكلاس : هبّوا الى السلاح أيها الذوات. لأنني وجّهت تحدياً عنيف اللهجة الى كرامة الملك هنري. وقد أبلغته اياه بواسطة ويستمورلند الذي كان رهينته. وهذا من شأنه أن يعجّل هجومه علينا في أقرب وقت.
- ورسستر : أمير وايلس، على ما بلغنا، يتقدم والده في اتجاهنا وقد تحدّك لمجابهته في قتال فردي.
- هاتسبر : كم أتمنى أن تنهال المشاكل على رأسي، وأن نكون أنا وهنري مونماوث من تقطع عليهم الأنفاس

وتدهشهم بفروسيّتك. ألا قل لي كيف نظّم أموره؟
هل لا يزال غير مبالٍ؟

فرنون

: لا، وربّي. لم أسمع في حياتي تحدّياً متواضعاً أكثر
من هذا، كأنّ أخاً يحرض أخاه برفق وكياسة أثناء
عرض ألعاب مسلّية، بعد أن كال لك سيلاً من المديح،
وقد نمّق ثناءه ببلاغة خطابية. فعُدّ مآثرك في وصف
شيّق ورفعك فوق كل الشبهات وأضاف أن هذا الاطراء
لا يفي بما تتمتع به حقيقةً من المزايا الحميدة
والخصال الفريدة. ثمّ بنبل يليق بأمر أصيل، لم يتأخّر
عن انتقاد ذاته، وندّد بشبابه المتهور بنعومة نادرة بدا
من خلالها كأنه يملك حاسة مزدوجة طائشة ورصينة
معاً، كأنه أستاذ وتلميذ في آن واحد. هنا توقّف
عن الكلام، ليستجمع شتات أفكاره. لكنني أستطيع
أن أوكد لك أمام الجميع، إن تخطّى أحقاد هذا النهار،
أنّ انكلترا لن تشهد أبداً أملاً أحلى وأحبّ من رحابة
صدره هذه إذ قلّ أن لمسها أحد من قبل بمثل هذه
العدوبة والوداعة.

هاتسبر

: أعتقد، يا ابن عمي، أنك تتعشق الاستهتارات
المكشوفة. فلم أسمع عن أمير تصرّف بمثل هذا التهلك
الأحمق غير مبالٍ بكل العواقب الوخيمة. ولكن مهما
كان سلوكه غريباً، أنا أصرّ هذا المساء على ضمّه
إلى صدري كجندي وأعانقه بلهفة وأغمره بلطفي

وعطفي. والآن الى السلاح، هيا الى السلاح، أيها الرفاق والجنود والأصدقاء. ليكن رائدنا واجب الولاء وهمة الشباب. واعدروني لأنني لست مفوّهاً لأخطب فيكم ببلاغة وفصاحة تبين لكم ما أكنّه مع ذلك من حماس غير محدود.

(يدخل رسول).

الرسول

: يا مولاي، هذه رسالة موجهة اليك.

هاتسبر

: لا أستطيع أن أقرأها الآن. الحياة قصيرة، يا سادة، لكن اذا استُعملت لحظاتها الوجيزة بعجب ودناءة، بدت أطول بكثير مما هي فعلاً. مع ذلك اذا ربطت الحياة بعقارب الساعة، لا تدوم مسيرتها أكثر من ستين دقيقة. واذا عشنا فنحن نعيش لنمشي ونُجابه الملوك، واذا متنا يكون أجلانا قد حان، فنقضي نحبنا بارتياح لأن الأمراء أيضاً عرضة للفناء مثل سواهم. أمّا مصيرنا، فعندما نشهر السلاح لأجل قضية شرعية فنهايتها لا بد من أن تكون عادلة.

(يدخل رسول).

الرسول

: يا مولاي، عليك أن تكون على أتم الاستعداد، لأن الملك يتقدم بسرعة.

هاتسبر

: أشكره على مقاطعته حديثي، لأن بلاغتي ليست

بفصاحة خطيب مفوّه. لدي كلمة أخيرة أقولها : يجب على كل واحد منّا أن يحسن التصرف، بقدر إمكانه. والآن ها أنا أشهر سيفي مصمّماً على تخضيب نصلته بالدم الأحمر الحامي الذي تضعه الصدفة في متناول يدي، طوال هذا النهار الخطير. فاعتصم بالأمل، يا برسي، والى الأمام. دُع كل أدوات الحرب تدوي أصواتها الرنانة، ولننطلق كلّنا على وقع هذا النغم الموسيقي. وأنا أراهن أن السماء والأرض معاً لن تتيحا لعدد كبير منا أن يقوم مرة ثانية بما يستطيع أن يأتيه من البطولة في هذه الساعة الرهيبة.

(تنفخ الأبواق. ويتعانق الجميع ثم يمضون).

المشهد الثالث

وسط ساحة المعركة في شروز بري

(تُشاهد تحرّكات جنود ومناوشات. تُسمع موسيقى الهجوم. ثم يدخل دوكلاس وبلونت، كل منهما من جهة)

بلونت : ما اسمك، يا من تسدّ عليّ سُبُل التحرك في هذه المعركة؟ أي شرف تترقّب نيّله على يدي.

دوكلاس : أعلم ان اسمي دوكلاس، وأنا أقصد أن أضايقك لأنني أعرف أنك الملك.

بلونت : هذه هي الحقيقة بعينها.

دوكلاس : اليوم لورد ستافورد دفع غالياً شبهه بك، اذ بدلاً منك، أيها الملك هنري، اخترق حسامي صدره وأزهق روحه. وها هو سيفي ينوي أن يلحقك به ويخمد أنفاسك أنت أيضاً، اذا لم تستسلم اليّ كأسييري.

بلونت : أنا لم أولد لكي استسلم، أيها الاسكتلندي المتجبر، ولن تلبث أن تكون ضحية انتقامي لمقتل لورد ستافورد.

(يشتبكان ويسقط بلونت قتيلاً).

(يدخل هاتسبر).

هاتسبر : يا دوكلاس، لو كنت قاتلت هكذا في هولمدن لما تمكنت من قتل اسكتلندي واحد.

دوكلاس : تمّ تفوّقنا، وأصبح انتصارنا كاملاً. وها هو الملك ملقى على الأرض جثمة هامدة.

هاتسبر : أين هو؟

دوكلاس : هنا.

هاتسبر : هذا الرجل هو دوكلاس، وأنا أعرف جيداً محياه.

فلقد كان فارساً مغواراً يدعى بلونت. وكان زيّه يماثل
الملك تماماً.

دوكلاس (ينظر الى الجثة): عملك ضرب من الجنون، ذهبت أنت
ضحيتك. فلقد كلفك غالياً انتحالك اسماً مستعاراً.
لماذا ادّعت أمامي انك الملك؟

هاتسبر : كثيرون هم الذين يرتدون ملابس كثيابه.
دوكلاس : بحقّ سيفي، سأمزق كل ما يشبه ملابسك، وسأقطع
إرباً إرباً كل من يرتدي الثياب التي تشبهها حتى أجد
الملك الحقيقي.

هاتسبر : هيا، الى الأمام. جنودنا يشتركون في المعركة بكل
بسالة كما يجب عليهم أن يقاتلوا.

(يخرجان).

(تصيح الموسيقى ثانية. يدخل فالستاف).

فالستاف : آسف لعدم تصفيتي حسابي في لندن. وأخشى أن
أسدّد هذا الحساب حيث أنا الآن. فهنا لا بد من
أن تتم التصفية طبعاً على حساب شخصه هذه المرة.
(ينحني على جثمان بلونت). مهلاً، من أنت؟ لقد نلت
شرفاً كبيراً هكذا، يا سرّ والتر بلونت. ما هذه
الحماسة... دمي يغلي كرصاص ذائب وهو ثقيل مثله.
وقاني الله من الرصاص. أنا لست بحاجة الى الهجوم
على أيّ كان... لقد قدّدت اغبيائي الى مكان لا قوا

فيه مصرعهم، ومن بين مئة وخمسين كانوا بمعيتي
لم يبقَ سوى ثلاثة أحياء، لم يعودوا صالحين لغير
التسوّل طوال باقي حياتهم، عند مخارج المدينة...
من القادم الى هنا؟

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : ماذا جرى؟ هل أنت هنا ولا تأتي بحركة؟ أعزني
سيفك. لأن عدداً كبيراً من الوجهاء مجندلون أمواتاً
بلا حراك تحت سنابك خيل العدو، ظلوا هنا هكذا
بدون أن يثار لهم أحد. أرجوك أن تعيرني سيفك.
فالستاف : أرجوك، يا هال، أن تدعني أتنفس الصعداء قليلاً. لن
يتمكن التركي غوريغوريوس أبداً من إظهار مثل هذه
الشجاعة التي أبداها اليوم. لقد صفيت حسابي مع
برسي، وأضحى مصيره معلوماً.

الأمير هنري : أجل بات معلوماً، ما دام يحيا لكي يقتل. أرجوك
أن تعيرني سيفك.

فالستاف : لا، لا. برّبي، يا هال، اذا كان برسي لا يزال على
قيد الحياة لن تحظى بسيفي، بل أعطيك غدارتي إن
شئت أن تقتله.

الأمير هنري : هاتها. ألا تزال في قرايها؟

فالستاف : أجل، يا هال. وهي بعد حامية، حامية جداً، وفيها
فعالية تقوى على تدمير مدينة برمتها.

الأمير هنري (يسحب قنينة خمرة) : آه منك. هل هذا وقت المزاح والمداعبة؟

(يرمي بالقنينة ويخرج).

فالستاف : هيا، اذا كان برسي لا يزال حياً سأخترق صدره بسيفي، إن وجدته في طريقي. هذا مفهوم. وإلا اذا انا اعترضت سبيله، أودّ أن يُرديني جثمة هامدة. لأنني لا أحب المجد الباطل المتجهم الذي أحرزه هنا سرّ والتر. صونوا حياتي، فاذا استطعت أن أحافظ عليها كان به، وإلا سأنال المجد صدفةً بدون أن أبحث عنه، وينقضي الأمر على أهون سبيل.

(يخرج).

المشهد الرابع

في مكان آخر من ساحة المعركة

(تُسمع موسيقى التحذير. ويتحرك الجنود. ثم يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون ويستمرولند).

الملك هنري: أرجوك، يا هاري، أن تنسحب، لأن دمك ينزف بوفرة. رافقه يا لورد جون لنكاستر.

الأمير جون : لا، يا مولاي، ليس قبل أن يسيل دمي أنا أيضاً.
الأمير هنري : ألتمس من جلالتك أن تعود الى المقدمة، خشية أن
يبعث انسحابك الهلع في نفوس اصحابك.
الملك هنري : سأفعل كما تشير عليّ... يا لورد ويستمورلند، رافقه
الى خيمته.

ويستمورلند : هيا بنا، يا مولاي، لأوصلك الى خيمتك.
الأمير هنري : توصلني أنا، يا مولاي؟ أنا لست بحاجة الى المساعدة.
لا سمح الله، ان ينتشل خدش بسيط أمير وأيلس من
ساحة المعركة هذه، حيث تدوس الأرجل كل نبيل
مضرج بدمه، وحيث ينتصر سلاح المتمردين في مثل
هذه المذبحة الوحشية.

الأمير جون : لقد طال زمن راحتنا. تعال، يا ابن عمي ويستمورلند.
هنا يجب علينا تأدية واجبنا المقدس. بالله عليك، تعال.
(يخرج الأمير جون ويستمورلند).

الأمير هنري : لقد خدعتني، بحق السماء، يا لنكاستر. لم أكن أظنك
أبداً تتمتع بمثل هذه البطولة. ولقد أحبيتك حتى اليوم
كأخ، يا جون. ولكنك الآن أصبحت أعزّ عليّ من
نفسي.

الملك هنري : رأيته عن كثب يقارع برسي بصلابة نادرة لم أكن
أترقبها من محارب مبتدئ نظيره.

الأمير هنري : حقاً، هذا الولد يبعث في نفوسنا الحماس والاندفاع.

(يخرج.)

(تسمع موسيقى التحذير. يدخل دوكلاس.)

دوكلاس : هل هذا ملك جديد؟ أرى الملوك ينبتون كرؤوس
التنين السبعة. انا دوكلاس أجزّ الشؤم على جميع من
يحملون هذه الشارات. من أنت، يا من تنزّي كشخص
الملك بالذات؟

الملك هنري : انا الملك الأصيل. آسف جداً، يا دوكلاس من كل
قلبي لكونك صادفت مراراً شبيه الملك، ولم تلتق
أبداً بالملك الحقيقي شخصياً قبل الآن. ولداي الأثنان
يبحثان عنك وعن برسي في ساحة القتال. لكن بما
أنك لقيتني هنا صدفةً سأمتحنك لذا أطلب منك أن
تستعد للدفاع عن نفسك.

دوكلاس : أخشى أن تكون أيضاً هنري آخر مزيّفاً. مع أنني أجد
فيك شخصية الملك بالذات. غير أنني، كائناً من كنت،
أوقن بأنك أصبحت طريدتي وهكذا تظل تحت
سيطرتي.

(يتقاتلان. وحين يمسي الملك في خطر، يدخل الأمير هنري.)

الأمير هنري : ارفع رأسك، أيها الأسكتلندي الزميم، أو تتعرّض
صراحةً الى خطر عدم رفعه ثانية. لأن أرواح الأعزاء
شرلي وستافورد وبلونت لا تزال تستصرخ حدّ سيفي

البّار. أنا أمير وائلس أهّدّدك. واعلم اني لم أعدُ بأمر
إلّا نفّذته بدون إمّهال. (يتقاتلان، يهرب دوكلّاس، ويخاطب
الملك) : تشجّع يا مولاي. كيف حالك الآن؟ لقد
أرسل سرّ نقولّاس كاوسّي في طلب النجدة، وكذلك
كلّيفتون. وها أنا مسرع للانضمام الى هذا الأخير
على الفور.

الملك هنري : قف واسترجع أنفاسك لحظةً. ها قد استعدت سمعتك
الطّيبة التي فقدتها، وبرهنت على أنك تهتمّ بحياتي
ومكانتي، فبادرت الى اغاثتي.

الأمير هنري : شكراً لك، أيتها السماء. كم أغاظني الذين ادّعوا اني
لا أحرص إلّا على وجودي. فلو كان ذلك صحيحاً
لتركت يد دوكلّاس البطّاشة تطالك بكل ما يضمّره
لك صاحبها من حقد وكرهية. وكان هو عَجّل على
ترحيلك من هذه الدنيا، ووفّر على ابنك عناء خيانة
فظيعة لبلوغ هذه النتيجة.

الملك هنري : اسرع يا كلّيفتون، وأنا أبادر الى اغاثة سرّ نقولّاس
كاوسّي.

(يدخل هاتسبر).

هاتسبر : ان لم أكن مخطئاً، أنت هنري مونموث.
الأمير هنري : أنت تكلمني كما لو كنت مزمعاً أن انكر إسمي.
هاتسبر : انا اسمي هنري برسي.

الأمير هنري : في هذه الحالة أرى أمامي متمرداً شجاعاً يحمل اسماً
كإسمي، أنا أمير وايلس. ولا أظن، يا برسي، انك
تريد أن تنتزع مني هذا الفخر. إذ ان كوكبين لا
يسعهما أن يتزاحما في دائرة واحدة وانكلترا لا تتسع
لحكم مزدوج يسيطر عليه اثنان يحملان اسماً واحداً :
هاري برسي وهاري أمير وايلس.

هاتسبر : أجل، هي في الحقيقة لا تتسع لكلينا. لأن هاري
قد صفى حسابه مع خصمه. وان شاء الله ستكون
سمعتك القتالية أولى بكثير من سمعتي أنا.

الأمير هنري : سأجعلها أعظم منها قبل أن أغادرك في هذا المكان.
لأنني عازم على جمع كل امجادك وجعلها عقداً أزین
بها عنقي.

هاتسبر : لم أعد أتحمل عنجهياتك أكثر مما فعلت.

(يتقاتلان).

(يدخل فالستاف).

فالستاف : جوابك شديد في محله، يا هال. لكن أصمت، يا
هال. لأنك لن تلاقي هنا لعب أولاد. وسأريك كيف
تكون مقارعة السيوف.

(يدخل دوكلاس ويقاتل فالستاف الذي يسقط الى الأرض كأنه
مات، ثم يتعد. يجرح هاتسبر ويسقط الى الأرض هو أيضاً).

هاتسبر

: لقد حرمتني شبابي، يا هاري. وما يغيظني ليس فقداني حياتي الفانية، بقدر فقداني الألقاب التي انتزعتها مني. فقد شئت أفكاري أكثر من كل الضربات التي أنزلها بي سيفك الفتاك. غير ان الفكر يظل أسير الحياة، والحياة عبدة الزمن، والزمن يسيطر على الكون الذي لا بد له من التوقف بعد حين... ربما يصبح بإمكانني يوماً أن أتنبأ، لو كانت يد الموت القاسية الباردة لا تكمّ فمي في ذلك الزمان. لا، يا برسي، أنت لست سوى تراب، ولا تصلح أن تكون طعاماً... (يلفظ أنفاسه).

الأمير هنري : إلّا للزود، يا برسي الشجاع... الوداع، يا صاحب القلب الكبير. أنت طمّاع مجبول بالغرور، وها قد انكشيت أخيراً على ذاتك لترقد في حفرة ضيقة. عندما كان جسدك يأوي نفسك، كانت المملكة برحابتها لا تتسع لك. اما الآن فها أنت تكتفي بمساحة قدمين فقط من أقدر تراب الأرض... والأرض التي تحملك في هذه اللحظة المشؤومة وأنت ميت لا تحمل بسهولة انساناً جباراً وقحاً مثلك وأنت حيّ. (ينحني على الجثة). لو كنت لا تزال تتأثر بالمديح لما وجّهت اليك كلاماً هكذا عزيزاً ينمّ عن التقدير والاحترام. لكن اسمح لي بأن أتكرم عليك بتغطية

وجهك المشوّه. فإن ممارسة هذه الطقوس العاطفية النبيلة تزيدني شرفاً على شرف. الوداع. أوصيك بأن لا تصطحب الى السماء سوى الشاء والمديح. أمّا دناءتك فدعها ترقد معك في ظلمة القبر مثواك الأخير، ولا تذكرها على بلاط ضريحك (يشاهد فالستاف ممّداً على الأرض). من هذا؟ أهو خلّ قديم؟ أولم يستطيع كل هذا اللحم أن يحافظ على بعض حيويّته؟ مسكين جاك، الوداع. ما أصعب فراقك عليّ. سأفتقدك كثيراً وإن غرقت في خضمّ من الاستهتارات. ففي هذه الاشتباكات الدامية، لم يحرمني الموت شخصاً أعزّ منك. سأحنّط جثمانك قريباً. وحتى ذلك الحين، إبقَ مسجّى تسبح في دمك الى جانب النبيل برسي.

(يخرج).

فالستاف (ينهض ببطء): تحتطني أنت؟ اذا حنّطتني اليوم سأسمح لك بأن تملّحني وتأكلني غداً... يا إلهي، كم كنت مصيباً عندما تظاهرت باني ميت، وإلاّ كان هذا التّنين الاسكتلندي دفعني غالياً ثمن مراوغتي. هل تظاهرت بالموت حقاً؟ انا مخطئ، لأنني لم أظاهر بأية حالة مصطنعة، بل الموت تظاهر في حالتي المريية. لأنني لست سوى شبه رجل عندما لا تكون فيّ حياة الرجال. بالعكس، أنا أعتبر ان تظاهري بالموت عندما لا أزال

على قيد الحياة ليس تظاهراً، بل هو نموذج حقيقي
وكامل للحياة. لأن أول معالم الشجاعة هو الحرص
والحذر. وبفضل هذه الحيلة البارعة أنقذت حياتي.
والله، أنا خائف من هذا الغادر برسي حتى إن كان
بالفعل ميتاً. وإذا كان هو أيضاً يتظاهر بأنه ميت،
وأزمع أن ينهض؟... لعنة ابليس عليه أنا أخشى أن
يكون أحد هذين المتظاهرين بالموت ليس سوى دجال
محتال أدهى مني. لذي أريد أن أثبت مصيره الحقيقي.
وأقسم بعدئذ أنني فعلاً قتلته. لكن لماذا لا يتمكن
من النهوض كما فعلت أنا؟ ليس إلا الشاهد العيان
يتسنى له أن يكذب قولي، اللهم إلا إذا رأى ما أعمل
في هذه اللحظة. (يطعن برسي بخنجره). وهذا الجرح
في فخذك يُجهز عليك، فهل تقوى بعده على المجيء
بصحبتني؟

(يحمل الجثة على ظهره).

(يدخل الأمير هنري ثانية، وكذلك الأمير جون).

الأمير هنري : هيا بنا، يا أخي جون. يكفي اليوم ما برهنت عنه
بسيفك من بسالة لم يسبق لها مثيل.

الأمير جون : لكن مهلاً. من عندنا هنا؟ ألم تخبرني بأن هذا الرجل
البدين قد مات؟

الأمير هنري : فعلاً، رأيته جثة هامدة بلا حراك مضرجة بالدم، ملقاة

على الأرض. هل أنت حيّ، أم أنت شبح يخدع
أنظارنا؟ أرجوك أن تتكلم، لأننا بتنا لا نصدّق عيوننا
ولا نصدق آذاننا. أنت حتماً لست كما يبدو عليك.
فالستاف : كلا، هذا أكيد. أنا لست انساناً مزدوجاً. وبما اني
لست جون فالستاف، اذاً أنا رجل غبيّ. (يرمي الجسم
أرضاً). هذا هو برسي. اذا كان أبوك ينوي منحني
شرفاً جديداً، فليكن. وإلاّ، عليه أن يقتل هو بذاته
برسي القادم. لأنني أنا عازم على أن أكون دوقاً أو
كونتاً بكل تأكيد.

الأمير هنري : لكنني أنا الذي قتلت برسي، وقد رأيتك أنت بالذات
ميتاً.

فالستاف : أنت... يا الهي، يا الهي، ماذا أسمع؟ هذا العالم غائص
في مستنقع من الكذب والنفاق. انا لا أنكر أنني كنت
مطروحاً أرضاً أتفّس بصعوبة، وكذلك هو أيضاً.
لكننا نهضنا كلانا في اللحظة عينها، فتقاتلنا حوالي
ساعة من الزمن حسب ساعة شروز بري الكبيرة.
اذا شئت أن تصدّقني، كان ذلك رائعاً. وإلاّ، على
من يريد أن يكافئ القيم أن يجيب بصدق حسب
ما يراه حقاً. اني أتشبّث بتأكيدي حتى الممات أنني
أحدثت في فخذ هذا الجرح البليغ. فإذا ظلّ هذا
الرجل حياً ونفى ذلك، سأجبر جسمه على ابتلاع
جزء جديد من سيفي.

الأمير جون : هذه أغرب قصة سمعتها في حياتي.
الأمير هنري : وهذا أيضاً أشجع فتى رأيته بأُمّ عيني، يا أخي جون.
هيا، احمل بفخر أمتعتك على ظهرك ولنيسر. من جهتي
أنا، إن كان الكذب يفيدك سأنمّقه بأحلى ما استطيعه
من ألفاظ. (تسمع موسيقى الانسحاب). نفخ بوق
الانسحاب، وهذا اليوم هو يومنا. تعال، يا أخي نذهب
معاً الى آخر ساحة المعركة كي نرى مَنْ مِنْ رفاقنا
لا يزال على قيد الحياة ومن منهم قضى نحبه.
(يخرج الأمير هنري والأمير جون).

فالستاف : سأتبعهما بحجّة اني أريد أخذ مكافأتي. فمن يجزييني
خيراً يكافئه الله على جوده وكرمه. واذا أصبحت من
كبار العالم، فهذا دليل على اني بتُّ أميل الى التصاغر.
لأنني سأضطر الى اختصار أمور كثيرة، وأبطل شرب
الخمرة وأعيش حياة لائقة نظيفة كما يجب أن يفعل
كل سيد نبيل.

(يخرج وهو يحمل جثة هاتسبر).

المشهد الخامس

في خيمة الملك

(تُنفخ الأبواق. يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون ويستمورلند وغيرهم من اللوردات، يتبعهم ورسستر وفرنون كأسيرين).

الملك هنري: هكذا سُحق التمرد ولقي العُصاة عقابهم. أيها الجاحد ورسستر. ألم أعدك بعفو وحلم وعطف يشمل الجميع؟ لكنك قلبت معنى عرضي رأساً على عقب وأساءت استغلال ثقة ابن أخيك فيك. ها قد قُتل اليوم ثلاثة فرسان في صفوفنا وكونت نبيل وكثيرون غيرهم في هذه الساعة، لأنك لم تنقل باخلاص وولاء، من جيشٍ الى جيش، رسالتي الصريحة الصادقة.

ورسستر: ان ما أقدمت عليه قد أوحى به اليّ ما يقتضيه صون كرامتي. وأنا مستعد لقبول مصيري المحتوم بملء الرضى.

الملك هنري: خذوا ورسستر ونفذوا فيه حكم الاعدام، وكذلك فرنون. اما سائر المذنبين، فسنترّث قليلاً لنرى كيف نعاقبهم. (يخرج ورسستر وفرنون محاطين بالحراس). ما هي أحوال ساحة المعركة الآن؟

الأمير هنري: الاسكتلندي النبيل لورد دوكلاس، عندما شاهد أن الحظ قلب له ظهر المجنّ، حين قتل النبيل برسي وباقي الرجال المسلّحين هربوا وتشتّتوا، لاذ هو أيضاً

بالفرار مع من ظلّ سالماً. فما لبث ان سقط من
أعلى الهضبة ورضّ جسمه. فأسره الرجال الذين
طاردوه. وها هو دوكلاس سجين في خيمتي. فألتمس
من جلالتك أن تسمح لي بإبقائه تحت تصرّفي.

الملك هنري: بكل طيبة خاطر.

الأمير هنري: هذا الرجل هو لك، يا أخي جون لنكاستر. تصرّف
به كما يحلو لك. إذهب وقابل دوكلاس وردّ اليه
حريته الكاملة بدون أية فدية. لأن الدرس الذي ألقاه
اليوم علينا في المروءة والإباء نقبله بامتنان، ولو أتى
من شخص نعتبره من ألدّ أخصامنا.

الملك هنري: هكذا لم يبق علينا سوى أن نتقاسم مهمّاتنا. فأنت
يا ابني جون، وأنت يا ابن عمي ويستمورلند، ستذهبا
الى يورك على جناح السرعة لمقابلة نورثمبرلند والحب
إسكروب لأنهما كما علمت قد إعتصما بقوة السلاح
وأنا وأنت، يا ولدي هاري، سننّجه الى مقاطعة وايلس
لمحاربة كلانداور والكونت مارش. وبهذه الانجازات
يفقد التمرد فاعليته في هذه الجهات التي حلّت بها
الخسائر الفادحة لليوم الثاني على التوالي. وبما ان
تدابيرنا سجّلت بداية موفّقة، علينا أن نتابع سعينا حتى
نستعيد جميع أراضينا وحقوقنا كاملة.
(يخرجون).

تمّ الجزء الأول من مسرحية هنري الرابع

هنري الرابع

الجزء الثاني

أشخاص المسرحية

الشائعة : بمثابة مقدمة.

الملك هنري الرابع.

الأمير هنري : ابنه، فيما بعد هنري الخامس

الأمير جون لنكاستر
همفري كلوسستر
توماس كلارانس
نورثمبرلند

إسكروب، رئيس اساقفة يورك

لورد موبري
لورد هاستينغس
لورد باردولف
ترافير
مورتن
كولفيل

ورويك
ويستمورلند
سوراي
كوار
هركور
اللورد كبير القضاة

	بوينز
	فالسٹاف
ظرفاء منوعين	باردولف
	بيستولي
	بيتو
	غلام
من حكام الأقضية	شالو
	سيلانس
	دايفي
	كريف وبياج : خادمان
	موازي
جنود أقضية	أومبر
	فارو
	فابل
	فو
	غلمان حانة، وحجاب وخدم.
	زوجة نورثمبرلند.
	أرملة برسي.
	المضيقة كويكلي.
	دوروثي ترودرا.
	خاتمة.

تجري الأحداث في انكلترا.

مقدمة

(تدخل الشائعة مرتدية ثوباً عليه رسوم ألسنة ملونة)

الشائعة

: إفتحوا آذانكم. من منكم يريد أن يُصاب بالصمم عندما تتكلم الشائعة الصاخبة؟ فأنا من الشرق الى الغرب أركب الريح كحصان أصيل، لأذيع بدون انقطاع ما يبدأه الناس من أعمال على هذه الكرة الأرضية. بواسطة ألسنتي تلعلع دائماً شتى الأوهام التي أترجمها الى جميع اللهجات لتبلغ كل الأسماع وتغدق عليها الأخبار المغلوطة. أتحدث عن السلام بينما العداة الخفي يمزق أطراف الدنيا خلف ابتسام الهدوء والطمأنينة الواجمة. ومن غيري انا الشائعة أجل من غيري يستعجل استنفار الرجال المسلّحين واستعدادات الدفاع؟ بينما يُفترض في الجيوش التي تحرّكها الكوارث ان تحمل بين جوانبها أهوال الحروب وطغيانها فالشائعة هي كالبوق الذي تُنفخ فيه شتى الظنون وكوامن الحسد ومحرضات

العدوان. وهي آلات يتلاعب بها مسخ رهيب متعدّد
الرؤوس توغر صدره أحقاد الشقاق وشكوك الجماعات
باستمرار. لكن، ما الذي يدفعني الى تشريح شخصيتي
المعروفة المساويء، وأنا بين أهلي وأصحابي؟ لماذا
انا الشائعة موجودة ها هنا؟ اني أسابق العاصفة. اما
الملك هنري الذي سحق في سهل شروز بري الدامي
شباب هاتسبر وفرقه، وأحمد نيران تمرّده الأرعن في
بحر من دماء مثيري الشغب والفتن. ولكن، لماذا
بدأت هكذا بإعلان الحقيقة؟ ووظيفتي هي نشر الشائعة
التي تذيب خبر موت هاري مونموث الذي صرعه
سيف النبيل الغاضب هاتسبر. فاضطر الملك حيال
غضب دوكلاس ان يُطأطأ رأسه ويهرول مسرعاً الى
قبره. هذا هو التقرير الذي نشرته في المدن والضواحي
بين ساحة المعركة الملكية في شروزبري وهذا السور
الحجري المهذّم المفتّت حيث تمارض والد نورثمبرلند
المسنّ. فوصل رسله وهم يلهثون، ولم ينقلوا من
الأخبار إلّا التي أبلغتهم أنا إيّاها. وكنائلي الشائعة لم
يأتوا إلّا بالترضيات الكاذبة الخدّاعة، وهي أقسى من
الحقيقة المُرّة كالحنظل.

(تخرج).

الفصل الأول

المشهد الأول

في واكوزث عند مدخل قصر نورثمبرلند

(البواب واقف في المدخل، يدخل لورد باردولف)

لورد باردولف : من يحرس هذا الباب؟ أين الكونت؟

البواب : من الآتي لأنبيء بقدمه؟

لورد باردولف : قل للكونت ان لورد باردولف ينتظر هنا.

البواب : مولاي يتنزه في الحديقة. فأرجو سيادتك أن تطرق

الباب ليرد عليك الكونت بذاته.

لورد باردولف : ها هوذا الكونت قد أقبل.

(يدخل نورثمبرلند).

نورثمبرلند : ما وراءك من الأخبار، يا لورد باردولف. ان كل لحظة

تأتينا نبأ جديد. الأوقات حرجة وقاسية حالياً.

والشقاق يبدو كحصان متخوم جموح يثور جنونه
فيقلب كل ما يجده حوله.

لورد باردولف : أيها الكونت النبيل، اني أجيئك بأخبار أكيدة من
شروزبري

نورثمبرلند : أمني أن تكون مطمئنة.

لورد باردولف : بقدر ما يتمناها القلب الطيب الرؤوف. فالملك قد
أصيب بجرح بليغ. وبانتصار ابنك، يا مولاي، سقط
الأمير هنري جثة هامدة. وبلونت الأب والابن هلكا
كلاهما على يد دوكلاس. والأمير الشاب جون،
وويستمورلند وستافورد هربوا من ساحة القتال. أمّا
الجبار سرّ جون أي خنزير هنري مونموث فهو أسير
ابنك. لم يمرّ بنا يوم نزاع حاسم. ظفرنا نحن فيه
مثل هذا اليوم الذي جاءنا بالنصر وغار المجد كيوم
فوز قيصر على أخصامه.

نورثمبرلند : ومن أين جمعت كل هذه الأنباء؟ هل شاهدت ساحة
القتال؟ هل أنت قادم من شروزبري؟

لورد باردولف : لقد صادفت شخصاً آتياً من هناك وهو وجيه عالي
النسب طيب السمعة فنقل اليّ من تلقاء نفسه جميع
هذه الأخبار وأكّد لي صحتها.

نورثمبرلند : ها هو خادمي ترافير الذي ارسلته يوم الثلاثاء الماضي
ليأتيني. بالأنباء.

لورد باردولف : لقد سبقته في طريقي إليك، وهو لا يعرف أكثر مما أفدتك عنه.

(يدخل ترافير).

ترافير : يا مولاي، طلب مني سرّ جون أمفر فيل أن أعود ادراجي بعد أن زودني بأخبار مفرحة. ولما كانت مطيته أسرع من حصاني فقد سبقني إليك. وإثر ابتعاده عني وصل فارس وجيه متعب، ووقف الى جانبي لكي يريح جواده المرهق، واستعلم مني عن طريق شستر وتلقيت منه أخباراً جديدة عن شروزبري. فأفادني بأن التمرد قد قمع، وأعلمني بأن الشاب هنري برسي لاقى مصرعه. وبعد إصابته أرخى العنان لحصانه وانحنى الى الأمام على متن مطيته وأعمل مهمازه في بطن الحيوان النشيط. ثم انطلق الفارس الذي صادفه بدون أن يطلع على نتيجة المعركة وراح ينهب الأرض نهباً مقبلاً إلينا. نورثمبرلند : بالله عليك، كرّر لي ما حدث. هل قال لك حقاً أن مهماز الشاب هنري قد غرّز في بطن حصانه، وأنه سقط جثة هامة، وإن العصيان قد قمع؟

لورد باردولف : اسمع، يا مولاي. اذا كان سيدي ابنك الشاب، لم يفز بالنصر، أوكد لك وأقسم بشرفي اني مستعد أن أتنازل عن لقب بارونيتي وأن أقدم عنقي لحبل المشنقة. دعنا من مواصلة هذا الحديث.

نورثمبرلند : وماذا يقصد هذا الوجيه الذي استوقف خادمي ترافير وزووده بتفاصيل هذه الأنباء المشؤومة؟

لورد باردولف : لأنه غبي سرق الحصان الذي يمتطيه وكلم خادمتك صدفةً، أجل صدفةً، وزووده بهذه المعلومات المغلوطة. ها هي أنباء جديدة ترد إلينا.

(يدخل مورتن).

نورثمبرلند : وهذا الرجل مثل أي نذير شؤم آخر، يحمل لنا خبر كارثة جديدة. هذا ما يدل عليه محياه المتجهّم. تكلم يا مورتن. هل أنت قادم من شروز بري؟

مورتن : أجل، يا مولاي النبيل. لقد نجوت من شروز بري حيث حصد الموت الزؤام الغادر عدداً كبيراً من جماعتنا.

نورثمبرلند : كيف حال ابني وأخي؟ ما لك ترتجف وقد إمتقع لون خديك اللذين يُفصّحان عن رسالتك بوضوح أكثر من شفّتيك. هكذا جاء الرجل المرهق المحطّم، وصورة المنية مرتسمة في عينيه، وهول الألم يسحق قلبه، وأماط اللثام أمام الملك بريام عن هول ما حل بمملكته في ظلام الليل الدامس، ليعلمه بأن نصف مدينة طروادة ذهب طعمة ألسنة اللهب المندلع. وكما ان بريام درى بما التهمته ألسنة النيران قبل أن يسمع كلام الرجل، وهكذا استخلصت انا نبأ موت ابني برسي قبل أن تعلنه الكلمات وهذا ما تودّ أن تقوله لي :

« ان ابنك فعل كذا وكذا، وأن أخاك عمل كذا وكذا، وهكذا قاتل النبيل دوكلاس ». أجل أردت أن تسرد على مسمعي تفاصيل رواية بطولتهما التي تتوق اذناي الى تلقيها. لكنك في الختام، وأنت تشيد بشجاعتهما بددت روعة المديح بتنهدك المؤلم قائلاً : ان أخي وابني وجميع رفاقهما قد أصبحوا في عالم الأموات. : لكن دوكلاس لا يزال على قيد الحياة، وكذلك أخوك. مورتن
أما مولاي ابنك...

نورثمبرلند : آه، لقد مات... لاحظ كم هي تعابير الظن سريعة الانتشار. ان من يخشى حدوث أمر، ويخاف أن يطلع عليه بصورة غريزية من عيون سواه، يوقن بأن ما يتخوف منه قد حصل. مع ذلك، أرجوك، يا مورتن، أن تُعلم الكونت بأن توقعاته خاطئة. هكذا يكون هذا الإفصاح في نظري كإهانة طفيفة، وأنا مستعد أًمنحك ثروة لقاء نكرانك اياها، كما أتمنى.

مورتن : أنت أكبر من أن أنفي أقوالك، يا مولاي. لأن توقعك صحيح وتخوفك في محله، خلافاً لما اشتهي أنا أيضاً نورثمبرلند : لكن كل هذه العبارات لا تثبت ان برسي قد مات. وها انا أقرأ تصريحاً غريباً يبرز في عينيك. أنت تهزّ رأسك وتعتبر من باب الاهانة أو الجرم ان تعلن الحقيقة كما هي. فلا تتردد في القول انه قُتل، لأن اعلان موته ليس إساءة، بل الإساءة هي تشويه سمعة الميت،

وليس محرماً أن نعلن وفاة من فارق الحياة، مهما كان الأمر شاقاً. مع ان أول من يفيد عن خبر مشؤوم هو غير مشكور، وصوته يخنّ كناقوس جنائزي يعلن فقدان شخص عزيز علينا.

لورد باردولف : لا يسعني أن أصدّق ان ولدك قد مات، يا مولاي.

مورتن : يعلم الله اني آسف جداً لاضطراري الى حملك على الاعتقاد بما وددت أن لا يجري أبداً. لكني أبصرت بأمّ عيني دمه ينزف، وهو منهوك القوى يلهث من الاعياء، لا يسعه أن يردّ ولو بضعفٍ على ضربات هاري مونموث. لقد شاهدت الأمير في ثورة غضبه يرمي الى الأرض برسي الشجاع الذي لم يعد يتمكن من النهوض حياً. بالاختصار، أثر على سير المعركة موت هذا القائد النشيط الذي ألهب حماس افراد جيشه. لأن صلابة عزيمته أصبحت قدوة رجاله، عندما صُرع هو انهارت معنوياتهم كأنها كتلة من الرصاص ثقيلة الوزن هوت من علوّ شاهق. وبما ان أثقل الأشياء تطير عندما تُلقى في الهواء بأسرع ما يمكن، هكذا بعد أن فقد جنودنا قائدهم هاتسبر سرعان ما تدهوروا في هوة القنوط وبادروا الى الهرب للنجاة بأنفسهم. في هذه الأثناء استطاع الأعداء أن يأسروا ورسّسوا بسهولة. وتضايق دوكلاس، هذا الاسكتلندي الدموي

الغاضب الذي قتل بسيفه البتار ثلاثة من أشباه الملك،
وتداعت بسالته ولحق بمن اداروا ظهورهم وفرّوا.
وفيما هو هارب تعثر من شدّة ارتبأكه وسقط على
الأرض فانقضّ أعداؤه عليه وأسروه. بالنتيجة انتصر
الملك وأرسل لمجابهتك، يا مولاي، فرقة من الرجال
بقيادة الشاب لنكاستر وويستمورلند. هذه هي الحقيقة
بكاملها.

نورثمبرلند : سأجد الوقت الكافي لندب سوء حظنا. لكن، لا ننسَ
ان في السمّ علاجاً يشفي. وهذه الأنباء تمرضني لو
كنت سليماً معافى. غير أنها في الحالة الحاضرة،
أعتقد أنها تشفيني من علّتي. وها أنا أشدّ عزيّمتي.
ونظير من جثمت المصائب على صدره فناءً تحت
وقر الحياة، أراني فجأة مجروفاً أمام عاصفة تذكي
رياحها جذوة تصميمي على المقاومة. واذا باعضائي
التي أضناها التعب والألم تستمدّ قوة ضاعفتها هذه
الكوارث. اليك عني اذاً، أيها العكّاز المكسور. من
الآن وصاعداً سأغلف يدي بقفاز من فولاذ لأضرب
بها أعدائي. اليك عني أيها الممرّض الجاهل الغبي،
فأنت ترُسّ هزيل غير صالح لحماية رأس أمير حفل
ماضيه بالانتصارات المجيدة. بعد الآن لن أخشى أبداً
أي سلاح يستهدف جبهتي. لأن قلبي قد طفق بالحق

الذي تغلي مراجله في صدري، ما دمت، أنا
نورثمبرلند، تحت رحمة الظروف القاسية المتقلّبة.
لتتكاتف الأرض والسما، ولتشدد عناصر الطبيعة
قبضتها على خونة هذا العالم الفاسد عسى هذا النظام
الجائر ينهار على رؤوس ابنائه أحفاد قايين جدّهم
الشقي الذي ارتكب أول جريمة قتل في هذا الكون
الغريب العجيب، عندما أزهرق روح أخيه الصالح هايل،
وقد أوغر الحسد والكراهة صدره عليه هوساً. هكذا
يتلقّى الناس عبرةً تهيب بالأرواح الشريرة أن تقلع
عن أعمال الهدم والقتل، ويسدل الستار على مأساة
البشر، فيبزغ فجر الخلاص بعد ظلام الليل المريع.

ترافير : مهلاً، يا مولاي، لأن هذه المشاعر العنيفة تحمل في
طيّاتها لك العذاب والهلاك.

لورد باردولف : عزيزي الكونت، لا تدع عواطفك تتغلب على
حكمتك.

مورتن : ان حياة جميع أنصارك متوقّفة على سلامة صحتك.
فاذا استسلمت الى هذه الانفعالات لن تنجو من الوقوع
في الإنحلال والانهيّار. وأرجوك أن لا تنسى ويلات
الحرب، أيها اللورد النبيل، وان لا تُغفل من حسابك
ما تحبل به الأيام من الصدف والمفاجآت، قبل أن
تهتف : هبوا الى التمرد، يا رفاق. لقد توقّعت طبعاً

في توزيع ضرباتك، ربما سقوط ولدك، وأنت تعلم ان تقدّمه وسط المخاطر يدينه من شفير الهاوية. كما تعلم أيضاً ان مغامرته تسبّب له السقوط أكثر من التعثر والكبوة. وأنت تعرف جيداً كذلك ان جسمه معرّض للجروح والقروح، وان اندفاعه لا بد من أن يجرّه الى اسوأ مصير. مع انك شجّعته، حين قلت له : اذهب. بدون أن تردّك عن موقفك هذا أية عقبة قد تقف حائلاً دون تنفيذ عزمك الصامد. فماذا جرى؟ وأية نتيجة أسفر عنها هذا القصد الجريء؟ لا شيء سوى ما كان حدوثه في حيّز الإمكان. لورد باردولف : جميعنا، نحن الذين أصابتنا هذه الكارثة الأليمة، نعلم اننا نتورط في مغامرة تتقاذفنا فوق أمواج بحر هائج، وان رهاننا كان قائماً على واحد من عشرة إمكانات، بأننا لن نبلغ وطرنا، ولن نحقق ما نتمناه من الفوز والانتصار. مع ذلك لم نحجم عن الإقدام غير المضمون، لأن الغاية التي كنّا نتوخّاها طغت على خوفنا من الخطر المرجّح. ورغم اننا أخفقنا، علينا أن نحیی آمالنا ونحاول مجدّداً تحقيق النجاح في هذه المغامرة بكل ما لدينا من قوّة، ونبذل الغالي والنفيس في سبيل بلوغ الغاية المنشودة.

مورتن : أجل، حان الوقت لبذل أقصى جهودنا. على كل حال، أيها اللورد النبيل، علمت من مصدر أوكد لك أنّه

أهل للثقة، بأن رئيس اساقفة يورك الكريم قد توفّق في تنظيم فرق عديدة وقيادتها، وهو رجل محترم يشدّ إليه رجاله المخلصين بوثاق مزدوج ديني ودنيوي . أما ولدك، يا مولاي، فلم يكن الى جانبه للاشتراك في القتال سوى الأجسام والأشباح وأشباه الرجال. لأن كلمة عصيان كانت تبعد نفوسهم عن العمل الذي تقوم به أبدانهم. ولم يحاربوا إلّا مرغمين كأنهم يتلعون دواءً مرّاً. لذلك كانت أسلحتهم فقط ملكنا بينما عزائمهم وأرواحهم كانت مجمدة بمجرد مقتهم لفظة تمرّد التي يكرهونها كأنها سمّ كامن في ماء مستنقع آسن. واليوم جعل هذا الأسقف من الثورة واجباً دينياً، وقد إشتهر بصدقه وأمانته وتقواه في مجالات شتى المبادئ والأفكار السامية، وهو قادر على اقتياد الأجسام والنفوس معاً. لذا بارك التمرد على أثر سفك دم الملك رتشرد المحبوب الذي سال على بلاط أرض بومفرات مستمداً من السماء حجته في نزاعه لنصرة قضيته. وقد أقنع الجميع بأنه يريد أن ينقذ هذه الأرض الدامية التي تن تحت جزمة الطاغية بولينبروك. فما كان من الكبار والصغار إلّا أن أيّدوه وساروا على خطاه.

نورثمبرلند : أنا على يقين بذلك. لكن ألمي الحالي، في الحقيقة،

قد محا ذلك من ذاكرتي. هيا ادخلوا معي، وليبدِ كل منكم رأيه حول أفضل الوسائل الآيلة الى تأمين خلاصنا والانتقام لكرامتنا. ولنبعث الرسل والتحارير ولنبادر الى كسب عطف الأصدقاء الذين لم يكونوا يوماً بمثل هذه الندره مثلما نحن اليوم في أقصى الحاجة الى عونهم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في أحد شوارع لندن

(يدخل سرّ حون فالستاف، يتبعه غلام شاب يحمل له سيفه وترسه)

فالستاف : بالله عليك، ماذا يقول المتتبع توجيهاتي؟
الغلام : لقد قال، يا مولاي، انها حكيمة سليمة. غير ان الشخص الذي اطلقها قد يكون هزيراً أكثر مما يمكن تصوّره.

فالستاف : أغلب الناس، ومن جميع الفئات، يفتخرون بمنأوتني. لكن دماغ هذه الكومة من الطين القذر الذي يُدعى الانسان لا يسعه أن يتخيّل أمراً يثير الضحك والسخرية

لم أبتكره أنا أو إبتكره غيري للهزة بي. انا لا أزدري
بنفسي، بل بسبب كل ما يصدر من هرج عن سائر
الناس... عندما أمشي أمامك أشعر باني كسمك
الترويت الذي يسيطر على كل صغاره. ولو ان الأمير
لم يضعك في خدمتي لتدفعني الى الأمام أثناء سيري،
لما كان لي عليه أي عتب. لكنك نظير نبتة بلاد
حارة تصلح لتزيين قبعتي أكثر من أن تكون خادمي
تسير ورائي. وهذه هي المرة الأولى التي أقنتي فيها
حلية افتخر بها. على كل حال هذا لا يهمني لأنني
لن أضعك في إطار من ذهب أو من فضة. غير اني
سأحتفظ بك ضمن علبة وأعيدك الى صاحبك الفتى
المغرور الذي لم ينبت بعد شعر لحيته. وأنا أفضل
أن أرى لحيتي تنبت في كفي على أن أراها تزيين
وجنتيه. مع ذلك، لا يتردد في التأكيد أن وجهه وجه
ملك. والله قادر على انهاء المسألة متى شاء، لأن
ذقنه لا تحوي شعرة واحدة أكثر من اللازم، وهي
في نظر الحلاق الخبير لا تساوي أكثر من ستة فلوس.
إلا أنه رغم ذلك ينتصب على رجليه كما لو كان
قد أصبح رجلاً ناضجاً عندما كان والده لا يزال
يافعاً. يسعه أن يفاخر على قدر استطاعته بما حباه
الله من وسامة. لكنني أؤكد لك انه ليس كذلك في
نظري... ماذا قال المعلم دبلدن في موضوع هذا

النسيج اللّماع لاستعماله في تبطين ردائي القصير
وسروالي العريض؟

الغلام : يقول، يا مولاي، ان عليك أن تدفع له أكثر مما
يفعل باردولف، وهو لا يقبل بأن يأخذ دراهمك أو
دراهمه، ولا يرتضي هذه الضمانة أبداً.

فالسّتاف : عليه أن يتقبّل لعنة هذا الشره، فيحرقه لسانه أكثر
مما حصل له حتى الآن. آه، يا ابن الزانية، أيها الدجّال
الحقير. أنت تخرج موقف أحد الوجهاء الكرام،
وتطلب بعدئذٍ ضماناً. هؤلاء الأشقياء الذين ينتعلون
أشنع الأحذية، لا يرتضون الآن أن يتنقلوا إلا بالجزمات
العالية وأن يتزّنروا بأحزمة مجهزة بعلاقات مفاتيح.
وعندما يطلب أحدهم خدمة شريفة يصبر على تأمير
ضمانة للقيام بها. إن وضع سمّ الموت في الفم لأسهل
من التلفّظ بكلمة ضماناً. بذمتي انا كفارس، كنت
أترقب منه أن يرسل لي اثنين وعشرين يرداً من النسيج
اللّماع وهذا طلب ضماناً يؤمّنّها لي، ويمكنه بعدئذٍ
أن ينام مرتاح البال، لأن ذلك دليل على النجاح
والازدهار، وقد برزت خفة زوجته من خلاله، وهو
لا يرى في الأمر سوءاً، مع انه يحمل بيده فانوسه
ليستنير به. لكن أين باردولف؟

الغلام : ذهب الى سميث فيلد ليشتري حصاناً لسيادتك.

فالستاف : أنا أشتريه عادةً من سوق بِجِوار « سان بول »، فلماذا ذهب الى سميث فليد ليشتريه؟ لو شئت أن أقترن بامرأة في مكان لا يستحق الذكر، لكنت حصلت على مطلوبي وتزوَّجت في هذه الأثناء.

(يدخل اللورد كبير القضاة ومعه موظف).

الغلام : يا مولاي، هذا هو السيد النبيل الذي اعتقل الأمير، لأنه ضربه بسبب قضية باردولف.

فالستاف : اتبعني حالاً، فأنا لا أريد أن أراه.

كبير القضاة (للموظف) : من الذي يسير هناك؟

الموظف : هذا فالستاف.

كبير القضاة : المتهم بالسرقة؟

الموظف : هو بعينه، يا مولاي. لكنه في هذه المدة الأخيرة

أدَّى خدمات جلّى في شروز بري. وعلى ما بلغني

أنه سيذهب الى اللورد جون لنكاستر مكلفاً بمهمة.

كبير القضاة : كيف سيذهب الى يورك؟ نادِه من فضلك.

الموظف (ينادي) : يا سرّ جون فالستاف.

فالستاف : يا غلام، قل له اني أصمّ لا أسمع.

الغلام (للموظف) : تكلم بصوت أعلى، لأن سيدي أطرش لا يسمع.

كبير القضاة : أجل، انا واثق بأنه يتظاهر بالصمم كي لا يسمع ما

لا يعجبه. هيا اذهب وجُرّه من يده. فلا بد لي من

أن أتحدث اليه.

الموظف : يا سرّ جون...
فالسّاف : ماذا تفعل، أيها الغبي، وأنت تستدعيه هكذا؟ أوليس
من حروب تدور رحاها حولنا؟ أوليس من أشغال
تستدعيننا؟ أولا يحتاج الملك الى رعاياه؟ أولا تقتضي
الثورة جنوداً لقمعها؟ وإن لم يكن من شرف في
الإلتحاق بطرف من الأطراف، ففي التسوّل قلة شرف
أكثر من خدمة الفريق الأسوأ وإن يكن على شفير
التدهور بإسم العصيان.

الموظف : أنت تخطئ في تقدير موقعي، يا سيدي.
فالسّاف : أيها السيد، هل سمعتني أقول عنك انك رجل شهم؟
لو استغنيت عن لقبى المزدوج كفارس ومحارب،
لكنت من أكبر الدجّالين.

الموظف : اذاً، أرجوك، يا سيدي، ان تضع جانباً لقبك المزدوج
هذا وأن تسمح لي بمصارحتك بأنك لا تقول الحقيقة
عندما تنعتني بالشهامة.

فالسّاف : أتريد مني أن آذن لك بإعلان ذلك؟ وأن أضع جانباً
ما هو جزء لا يتجزأ من شخصيتي؟ إن حصلت مني
على هذا السماح يمكنك عندئذٍ أن تشنقني. وإن
سمحت بذلك أنت لنفسك، يجدر بك أن تمضي
وتشنق ذاتك. اليك عني، أيها الكلب الأجرّب. هيا
اغرب عن وجهي، يا لعين.

الموظف : مولاي يريد أن يخاطبك، يا سيدي.

كبير القضاة : من فضلك، يا سرّ جون فالستاف، إسمح لي بأن أقول لك كلمة.

فالستاف : عزيزي اللورد... صبح الله سيادتك بالخير. يسرّني ان أراك، يا صاحب السيادة، خارج هذا المكان. فلقد سمعت بأنك مريض. وأرجو أن تكون الآن خارجاً من عيادة الطبيب. لأنك، وان توهمت انك لم تتخطّ بعد مرحلة الشباب، يبدو عليك انك بلغت حدود العمر الذي يبدأ الانسان فيه أن يتذوّق مرارة الأيام الصعبة. لذا ألتمس من سيادتك بكل احترام أن تعتني جدّياً بصحتك.

كبير القضاة : يا سرّ جون، لقد طلبت مقابلتك قبل رحيلك الى شروز بري.

فالستاف : أعذرني، يا مولاي. علمت أن صاحب الجلالة قد عاد من مقاطعة وايلس يساوره بعض القلق.

كبير القضاة : انا لا أتكلّم عن جلالته... أريد أن أقول انك لم تشأ أن تأتي لمقابلتي حين أرسلت في طلبك.

فالستاف : وأنا أيضاً علمت بأن سموّه قد أصابته نزلة دماغية مرّة ثانية.

كبير القضاة : أسأل الله أن يمنّ عليه بالشفاء التام. أرجوك أن تصغي اليّ.

فالستاف : أظن ان هذه النزلة هي من نوع السّبات العميق، أو

من الركود الدموي والفكري الذي يضعضع وعي صاحبه.

كبير القضاة : لماذا تقول لي ذلك؟ وماذا يهمني ما أصابه؟
فالستاف : ان من أسباب هذه النزلة المزيد من الألم أو من
الدرس الذي يفضي بالدماغ الى الاضطراب المتواصل.
فقد قرأت في كتاب الطبيب كاليان بعض التفاصيل
التي تؤدّي الى الصمم.

كبير القضاة : اظنك مصاباً بهذا المرض عينه. لأنك لا تسمع ما
أقوله لك.

فالستاف : حسناً، يا مولاي. ولكن، لا تتضايق اذا أعلمتك بأن
هذه العلة التي تحرمك السمع والانتباه لما يقال لك،
تقلقني كثيراً.

كبير القضاة : إن عاقبتك برفسة قدم في جنبك قد تشفى من عدم
السماع، ولن أرفض أن أكون طبيبك المداوي.

فالستاف : أنا أفقر من أيوب الصديق، يا مولاي. لكني لست
مريضاً أبداً. فيسعدك، يا صاحب السيادة، نظراً الى
فاقتي، أن تداويني بالسجن كعلاج ناجع. ولكن أنى
لي الصبر لتتبع تعليماتك والعمل بموجب وصفتك
الطبية؟ فالعلماء ينسبون الى هذه النقطة الهامة انها
تثير بعض تأنيب الضمير، إن لم يكن أقصى درجات
عذابه.

كبير القضاة : ارسلت في طلبك لمقابلتي، عندما بلغتني بحقك شكوى خطيرة.

فالستاف : وأنا بناءً على رأي مستشاري الخبير في قوانين هذه البلاد، إمتنعت عن المجيء الى سيادتك.

كبير القضاة : بالنتيجة، يا سرّ جون، أعتقد بأنك ارتكبت مخالفة جسيمة.

فالستاف : ان رجلاً نظيري لا يسعه أن يتصرّف على غير هذا النحو.

كبير القضاة : يبدو لي ان مواردك زهيدة جداً، وأنت تمعن في الاسراف.

فالستاف : كم أودّ أن أكون على غير هذا الحال. لماذا لا تكون مواردني وافرة وأن أكون أقلّ إسرافاً؟

كبير القضاة : لقد خدعت الأمير الشاب بتصرفك.

فالستاف : في الحقيقة، هو الأمير الشاب الذي ضلّلني. لأنني بالنسبة اليه كالأعمى الكبير البطن. بينما هو بالنسبة اليّ كأنه كلب الذي يدلّني على الطريق.

كبير القضاة : يعزّ عليّ أن أنكأ جرحاً كاد يندمل. فان خدمتك النهارية في شروزميري قد بيّضت فلك الليلي في كادسهيّل. وعليك اذاً أن تشكر زماننا المضطرب الذي ختم قضيتك هذه بصورة سلمية.

فالستاف : ماذا تقول، يا مولاي؟

كبير القضاة : بما ان المسألة انتهت بخير، لا تحرك ساكناً ولا توقظ الفتنة النائمة.

فالستاف : ايقاظ الفتنة يجرّ مشاكل مزعجة، كأنك تستفزّ ثعلباً مراوغاً.

كبير القضاة : أراك مثل شمعة قد احترق قسمها الأفضل.

فالستاف : بل كمشعل نفذ منه الشحم، يا مولاي. فبدون مبالغة انا أتمتع بصفات السيد الوقور.

كبير القضاة : ليس في وجهك شعرة واحدة بيضاء تدلّ على الكهولة لأتھمك بحب العظمة.

فالستاف : بل بحبّ الشحم واللحم والدهن الفائض.

كبير القضاة : أنت تتبع الأمير في كل مكان كأنك شيطانه المغري.

فالستاف : ليس هذا تماماً، يا مولاي. لأن شيطانه المغري خفيف

الظلّ. وأنا بالعكس، من يلقي علي نظرة واحدة، يقبلني

بدون أن يتفحصني. مع ذلك، من وجهة معيّنة، أعرف

نفسي اني لست عملة رائجة يرضى بها أيّ كان.

والفضيلة في هذه الأيام التجارية لا تُصنّف في المستوى

الرفيع. كما ان الشجاعة الحقّة تبدو حالياً كمدرّب

الدببة، وخفّة الروح تتلطّى في الحانات وتجهد قريحتها

لتأمين دفع الحسابات. وكل مواهب الانسان المفسودة

بفعل انحطاط أهل هذا العصر، لا تساوي شروى نكير.

أما أنت فمقامك أسمى، ولا تنظر الى أخلاقنا بعين

الاعتبار بسبب شبابنا فتحكم على فطنتنا وذكائنا

بحسب مزاجك وحاجتك. ونحن في ريعان الصبا،
لا بد من الاقرار بأننا لسنا دائماً عند حسن الظن بنا.
كبير القضاة : أراك تعتبر نفسك من زمرة الشباب، وكل ما فيك
يشير الى ان عمرك يضعك في مصافّ الشيوخ. ألم
تدمع عيناك؟ أولم تنشف بشرة يديك؟ أولم يشحب
لون خديك؟ أو ما وخط بياض الشيب لحيتك؟ أولم
تعجز قدماك عن حمل جسمك؟ أولم يتضخم كرشك
المنتفخ؟ أولم يرتجف صوتك المبحوح وينقطع نفسك
اللاهث؟ أولم تصبح ذقنك المزدوجة مترهلة؟ أولم
يخف ذكاؤك؟ أولم تدبل سائر مواهبك بسبب تقدّمك
في السنّ؟ وتريد فوق هذا كله أن تحسب ذاتك
انك لا تزال في ريعان الشباب؟ تبّاً لك، يا سرّ جون
من متجاهل متصاب.

فالسّتاف : يا مولاي، صدقني اني ولدتُ حول الساعة الثالثة بعد
الظهر، وشعر رأسي أبيض، وبطني منتفخ قليلاً. أمّا
صوتي فقد بُحّ من كثرة ما غنيت قصائد ومواويل.
لست بحاجة الى اعطائك براهين أخرى على احتفاظي
بكل مقومات صباي. في الواقع انا لم أبلغ سن الشيوخ
إلا بالمنطق والإدراك. ومن يودّ أن يغامر بالمراهنة
على الف مارك لقاء ما استطيع تأديته من انجازات
خارقة، ما عليه إلا أن يسلفني هذا المبلغ، وحذار
أن يندم. أمّا رأي الأمير فيّ، حسب ما أوهمك باستهتار

عن عجزى، فهو اعتبار أميرى، صدّقه أنت كأنه حقيقة منزلة نظراً الى حسن نيّتك وسلامة طويّتك. لقد أنبته انا على ذلك، والشبل الصغير أسف لانطلاء هذا التبجّح عليه. وأنا أدري الناس بما حصل، لأنه أراد أن ينعم بلبس الحرير فضايقته خشونة المسح، وشاء أن يملأ كيسه نقوداً، وإذا به يفرغه ليتجرّع برميلاً من الخمرة.

كبير القضاة : إني أسأل الله أن يرسل للأمير رفيقاً أفضل منك. فالستاف : بالعكس أنا أطلب منه تعالى أن يرسل لي كرفيق أميراً أفضل من هذا الذي لا يسعني أن أتخلص منه.

كبير القضاة : في الواقع، فصلّك الملك عن الأمير هنري، اذ علم بأنك ستتنضمّ الى اللورد جون لنكاستر لمجابهة رئيس الأساقفة وكونت نورثمبرلند.

فالستاف : أجل، أنا أشكر مخيلتك الطريفة الخصبة. لكنك أنت المفترض أن تلزم البيت لمغازلة ربّة السلام، عليك أن تضرع الى الله كي لا تلتقي جيوشنا وجيوشكم في يوم شديد الحرّ. لأنني لم آخذ معي سوى قميصين، إذ اني لا أعرق بصورة تفوق المألوف. ومهما كانت الأيام حارّة اذا تمسّكت بغير قنّيتي لا أودّ أن أمعن في السكر. ومع اني أتجنّب المشاكل أجدني شريكاً في كل عمل محفوف بالمخاطر، وإن كنت لا أتشبّث بأذيال الحياة الطويلة الأمد. لكن هذه الفكرة مسيطرة

على كافة أفراد شعبنا الانكليزي الذي حالما يلاقي
مصلحة مفيدة يسعى الى تعميمها على الجميع. أمّا
إذا أصررت على قولك اني رجل طاعن في السنّ،
فترتب عليك أن تؤمّن لي بعض الراحة. لذلك ألتمس
من الله أن يجعل ذكر اسمي أخفّ وطأة وأقلّ ترويعاً
في نظر أعدائنا. والأفضل عندي أن يأكل صداً الخمول
مفاصلي وأن لا يدركني الفناء عن طريق الحركة الدائمة
التي لا تدعني أستريح.

كبير القضاة : هيا أرني شهامتك ومروءتك. ولتذهب بسلام الى
حملتك المرتقبة.

فالستاف : أرجو سيادتك أن تمنحني الف ليرة لأتجهّز بها.
كبير القضاة : لن تنال مني فلساً واحداً. ما لك تستعجل لزيادة
ديونك؟ تمتّع بصحة تامة وسلّم لي على ابن عمي
ويستمرورلند.

(يخرج كبير القضاة والموظف).

فالستاف : اذا سايرت ومضيت، أستحقّ أن أجلّد بالسياط. فالمرء
لا يقوى على التفريق بين البخل والشيخوخة، أو الفصل
بين المجنون وفورة الشباب. لكن العجز يضايق في
الحالة الأولى، والنزق يحرض في الثانية. وكلا الشرّين
يجلبان اللعنة على من يركب أمواجهما. أيها الغلام...
الغلام : مولاي.

فالسّاف : كم بقي من النقود في كيسي.

الغلام : مبلغ أربعة عشر فلساً.

فالسّاف : لا أجد علاجاً لفراغ كيسي بصورة مستديمة،

والاستدانة لا تملأه بل ترهقه باستمرار فيظلّ خاوياً.

وهذه علّة ليس لي منها شفاء. هيّا، خذ هذه الرسالة

الى مولاي لنكاستر، وهذه الى الأمير، وهذه أيضاً

الى كونت ويستمورلند. أمّا هذه فسلمها يداً بيد

لصديقتي أرسول التي أقسم لها في كل أسبوع اني

سأقترن بها، وذلك منذ أن رأيت أول شعرة بيضاء

تظهر في لحيتي. هيّا، جدّ في السير، فأنت تعرف

أين تلتقي بي. (يخرج الغلام). تبّاً لهذا النشاف الذي

يشلّ عروقي. فمن حين الى آخر أشعر بأن إبهام

رجلي لم يعد قادراً على الانطواء. وماذا يهمني إن

أصبحت أعرج؟ فتلك حجة قاطعة تجنّبني الاشتراك

في القتال، ويظل راتبي ساري المفعول بصورة شرعية.

على الانسان الفطن أن يستفيد من كل بادرة تعترض

سبيله.

(يخرج).

المشهد الثالث

داخل قصر رئيس الأساقفة في يورك

(يدخل رئيس أساقفة يورك واللوردات هاستينكس وموبري وباردولف).

رئيس الأساقفة : هكذا عرفتم دواعينا، كما عرفتم مداخيلنا. والآن، يا أصدقائي النبلاء، أرجوكم أن تقولوا لي بكل صراحة ما رأيكم في توقعاتي وآمالي وأنت يا مولاي مارشال، ما قولك في هذا الموضوع؟

موبري : انا اوافق على لجوئنا الى حمل السلاح. غير أنني أحب أن أفهم بوضوح أكثر كيف نتوصل بمواردنا الحاضرة الى تأمين جبهة تتحلّى بالجرأة الكافية والصلابة اللازمة لمجابهة جيش الملك القوي؟

هاستينكس : اذا وُضعت قواتنا الحاليّة في خطوط الدفاع تبلغ خمسة وعشرين الف مقاتل من خيرة الرجال، فضلاً عن مدد لا يستهان به ننتظره من قبل نورثمبرلند العنيد الذي يغصّ قلبه بسيل من الكراهية والبغضاء.

لورد باردولف : المسألة، يا لورد هاستينكس، تفرض السؤال التالي : هل يستطيع الرجال الخمسة والعشرون ألفاً الجاهزون الآن، أن يقوموا بالحملة بدون مساعدة نورثمبرلند؟ هاستينكس : بمعونته، أجل يستطيعون.

لورد باردولف : هذا صحيح. فاذا وجدنا أنفسنا اننا بدون ضعفاء،

فرأى أن لا نتوغل في التقدّم بعيداً قبل أن يكون
المدد المرتقب قد أصبح في متناول يدنا. لأننا في
حال تورّطنا في المغامرة الدامية، علينا أن لا نعتمد
كثيراً على التمنيّات والآمال والافتراضات، وأن لا
نحسبها حقيقة أكيدة، وإلاّ وقعنا على مفاجآت مضيئة
خاتمتها مخزنة.

رئيس الأساقفة : الحق الى جانبك، يا لورد باردولف، لأن هذا
الواقع هو وضع الشاب هاتسبر في شروز بري.
لورد باردولف : فعلاً، يا مولاي. فقد إتكل كثيراً على آماله،
وظنّ خطأً أن الوعود حقيقة ملموسة، واعتبر المدد
الموعود به كأنه حاصل عليه. فخابت أمانيه وفشلت
جميع توقّعاته، وبمخيّلته الخصبة المهووسة قاد رجاله
الى الموت والهلاك لأنه ألقى بنفسه في الهاوية وهو
مغمض العينين.

هاستينكس : اسمح لي أن أقول لك ان حسابات الأمور الممكنة
والآمال الوطيدة ليس منها أي ضرر.

لورد باردولف : قد ينجم عنها بعض الأذى، اذا لم تكن موارد
الحرب الفوريّة والقوى الضرورية لتقدّم أي هجوم
موجودة إلا في حيّز الأمل نظير البراعم التي نراها
تبرز في أول الربيع فحتّى إن شاهدناها قد أثمرت،
يظلّ هناك هاجس خوف من أن يقضي عليها الجليد

المحتمل حصوله بغتةً. عندما نريد أن نبني صرحاً، ندرس أولاً طبيعة الأرض، ثم نرسم خريطته. وعندما نتبين صلاحية مقوّمات المبنى، نبدأ في حسابات تكاليف التشييد. فإذا وجدنا انها تتعدّى امكانياتنا، ماذا يسعنا أن نفعل؟ علينا أن نعيد رسم خريطتنا على أساس تخفيض التكاليف وإلاّ أحجمنا عن مباشرة البناء. هكذا في مشروعنا الهامّ الذي نُقدّم بموجبه تقريراً على هدم عرش الملك، وإقامة غيره، يتحتم علينا أن ندرس الأرض ونصمّم الخطة ونختار الأساسات المتينة ونستشير الخبراء ونتأكّد من كفاية مواردنا، لنوقن بما اذا كنّا قادرين أو لا على تحقيق مثل هذا الانجاز الضخم الذي ربما يفوق طاقتنا. وإلاّ كانت قوّاتنا أرقاماً على الورق فقط، وبدلاً من الاتكال على زنود الرجال، نتكل على أسماء أشخاص لا وجود لهم في الواقع، نظير من يرسم خريطة بيت يريد أن يشيّدَه رغم ان مصاريفه تتعدّى إمكانياته. وبعد أن يبني قسماً منه يجد نفسه مضطراً الى التوقف عن إكماله بسبب التكاليف الباهظة التي استنفدت مدّخره من المال قبل إتمامه. فيتعرّض مشروعه الى ما يُلحقه به المطر من تلف لا سيما أثناء قساوة برد الشتاء وثلوجه العاتية.

هاستينكس : لنفترض ان آمالنا مبنية ظاهراً على ما يرام، وفاجأتها

عوائق غير متوقعة لتشلّ مساعيها. لنفترض أيضاً أننا في وضع لا يجعلنا نترقب وصول أي جندي لمساندتنا. أعتقد مع ذلك ان لدينا قوَّات يمكننا أن نعتبرها معادلة لما في حوزة الملك.

لورد باردولف : ماذا تقول؟ أليس لدى الملك حوالى خمسة وعشرين ألف رجل؟

هاستينكس : أجل، ليس لديه عدد أكبر منه ليهاجمنا به، يا لورد باردولف، حتى ولا عدد يعادله. لأنه، كي يتمكّن من مواجهة الخطر الذي يتهدّده، عليه أن يقسم جيشه إلى ثلاثة أجنحة : الأولى لمجابهة الفرنسيين، والثاني لمقابلة كلانداور، والثالث يوجهه حتماً إلينا. مع العلم ان خزائنه الخالية لم تعد تحوي مالاً لينفق على دعمها رئيس الأساقفة : ما عليه إلّا أن يجمع كل قوَّاته المبعثرة هنا وهناك. ليسحقنا بثقلها، ولا داعي لأن نخشى ذلك مطلقاً. هاستينكس : واذا تصرف على هذا النحو يترك مؤخرته بدون حماية من أعدائه الفرنسيين والوايلسيين الذين يطاردونه. فلا موجب للخوف منه أبداً.

لورد باردولف : حسب الظواهر، من يقود قوَّاته لمهاجمتنا؟ هاستينكس : دوق لنكاستر وويستمورلند. وهو شخصياً مع هاري مونموث يزحفان على الوايلسيين. ولكن من سينوب عنه عندما سيجابه الفرنسيين؟ هذا ما لا يوجد لدينا أي دليل على توقّعه.

رئيس الأساقفة : الى الأمام اذًا. ولنعلن أسباب لجوئنا الى السلاح.
لأن الشعب بات ضحية إختياره هذا الملك. وهو نادى
على العطف الذي أحاطه به. وقد بنى صرح آماله
على رمال متحركة بدلاً من أن يوطدها على صخر
صلب. فما أغبى الشعب، وما أصعب الهتافات التي
رفعها الى عنان السماء عندما باركت انا بولينبروك.
لكن سرعان ما تبين للجميع انه ليس كما أملوا منه
أن يكون. والآن بعد أن قدّم لك ما تشتهي أيها
الأكول الشره، ازدردت الأطعمة حتى التخمّة، ورحت
تحاول أن تردّ ما حشوت به معدتك بدون وعي.
وهكذا، أيها الأحمق الجشع، لفظت من جوفك الواسع
خيرات الملك رتشرّد، وها أنت جائع تحاول ابتلاع
ما ردّته أحشاؤك، وتطلبه بنباحك المزعج، يا حقير.
قل لي من نولي ثقتنا في هذه الأيام العسيرة ليقودنا
الى شاطئ الخلاص؟ ان من تمنّوا موت رتشرّد حين
كان على قيد الحياة يندبونه اليوم قرب ضريحه. وأنت،
يا من ألقيت قبضة من التراب على رأسه المجيد،
بينما كان يتقدّم في شوارع لندن إبان الاحتفالات،
وهو يتنهد خلف بولينبروك المتشامخ الذي كانت أنظار
الناس شاخصة اليه بإعجاب ووجوم، ها أنت تصرخ
الآن : ردّي الينا، أيتها الأرض، ذاك الملك الرحوم،
وخذي هذا الطاغية المتغطرس. تبّاً لمخيّلات عبيد

الخنوع. آه، كم هو الماضي وكذلك المستقبل أفضل
من حاضرننا الذي لا يرجى منه أي خير.

موبري : هل تريد أن نمضي ونرافق جنودنا لنشارك معهم في
خوض المعركة؟

هاستينكس : نحن رجال هذه اللحظة الحرجة، وهذه اللحظة تدعونا
الى الذهاب لنلاقي مصيرنا الذي نرجو أن يكون
مجيذاً.

الفصل الثاني

المشهد الأول

في أحد شوارع لندن

(تدخل المضيضة ويتبعها كريف وخادمه ثم بياج).

المضيضة : ماذا فعلت، يا أستاذ كريف؟ هل سجّلت هذه الدعوى؟

كريف : أجل، سجّلتها.

المضيضة : أين مساعدك؟ هل هو موظف نشيط؟ هل يستطيع

إثبات وجوده؟

كريف (لخادمه) : أين بياج، أيها الأحمق؟

المضيضة : تقصد الأستاذ بياج الظريف؟

بياج (وهو يتقدّم) : ها أنذا.

كريف : يا بياج، علينا أن نوقف سرّ جون فالستاف.

المضيضة : لقد كلّفت الأستاذ بياج بإقامة الدعوى وإجراء اللازم.

بياج : قد ندفع ثمن هذا الأمر حياة أحدنا، لأن المذكور

لن يتردّد في اللجوء الى خنجره.

المضيضة : رحمتك اللهم. حذار منه. لأنه قد طعنني بمديته في
عقر داري بشكل ليس أوحش منه. في الحقيقة، هو
لا يحجم عن إرتكاب أي جرم عندما يشهر سلاحه.
اذ يطعن كأنه شيطان، ولا يتردد في جرح أي رجل
او امرأة أو ولد على السواء.

كريف : اذا استطعت أن أتخلص منه لن أهاب أبداً شراسته.
المضيضة : وأنا كذلك. ولن أتأخر عن مساعدتك في ذلك اذا
اقتضت الحاجة.

كريف : آه، لو استطعت أن أشل حركته بالتقاطه بين ذراعيّ.
المضيضة : غيابه يجرّ عليّ الخراب، لأنه مدين لي بمبلغ كبير.
عزيزي الأستاذ كريف، أمسك به جيداً. وأنت، يا
عزيزي الأستاذ بياج، لا تدعه يهرب. لأنه لا ينقطع
عن الذهاب الى المرحاض، مع احترامي شخصك
الكريم، بحجة انه مصاب بالإسهال. وهو مدعو الى
تناول طعام العشاء في حانة رأس الفهد، الواقعة في
شارع لومبارد، عند المعلم « لودو » تاجر الحرائر.
فأرجوك أن تطلب منه تبرير تغيّبه، بما ان شكواي
مسجلة وقضيتي يعرفها الجميع. معلوم ان مئة مارك
تشكل مبلغاً كبيراً بالنسبة الى امرأة مثلي فقيرة وحيدة
لا معيل لها. وقد طال انتظاري ساعة الفرج الى ما
لا طاقة لي على تحمّله. والتأجيل يلاحقني، ويلاحقني

باستمرار، من يوم الى يوم بدون انقطاع حتى أصبح من العار أن لا أفكر بذلك جدّياً. لأنني لا أجد شهامة في هذا التسويف والمماطلة. فأملّي أن لا يظنني أحد غيبة أستحقّ الاهانة والإذلال يكيّله لي انا المرأة الضعيفة، أول قادم الى بيتي. ها هوذا آتٍ وبرفقته المحتال باردولف صاحب الوجه المشؤوم. أرجوك، يا أستاذ يياج، أن تقوم بوظيفتك، وأنت كذلك يا أستاذ كريف. وألتمس من كليكما بالإحاح أن تجربا ما يلزم لصيانة حقوقي.

(يدخل جون فالستاف وغلّامه ثم باردولف).

فالستاف : أيها السامعون، من أضاع فرسه هنا؟ ماذا جرى؟
كريف : يا سرّ جون، أنا أوقفك بناءً على شكوى السيدة كويكلي.

فالستاف : ابتعد عني، أيها الخادم الحقير. أرجوك، يا باردولف، ان تقطع لي رأس هذا الشقي، وأن تُلقني بهذه العاهرة الى القناة.

المضيفة : تريد أن يلقي بي الى القناة؟ انا سأرمي بك الى القناة. حذار أن تأتي بحركة، أيها اللقيط البغيض، أيها القاتل، أيها المجرم، أيها الدجّال. هل تنوي أن تقتل من يخدم الله والملك؟ تبّاً لك من طاغية، يا جلّاد الرجال والنساء.

فالسّاف : أرجوك يا باردولف، ان تبعتها عني.
كريف : استخدم كل قوتك وشدة بأسك، وسترى...
المضيفة : يا أهل الخير، ساعدوني... ألا تريد؟ آه منك، أنت
لا تودّ... تباً لك من قاتل خسيس.
فالسّاف : ابتعدي عني، يا دودة قدرة، يا كلبة نجسة وإلا حطمت
رأسك العنيد.

(يدخل اللورد كبير القضاة وحاشيته).

كبير القضاة : من يقف هنا؟ احترموا أصحاب المقامات السامية وهذا
المكان المسالم.

المضيفة : يا مولاي اللورد، أرجوك أن تعطف عليّ، وأن تمدّ
لي يد المساعدة.

كبير القضاة : ما هذه الضجة التي تثيرها هنا، يا سرّ جون؟ هل
يليق بك أن تتصرف هكذا، يا صاحب المقام الرفيع،
أثناء تأديتك واجبك؟ كان من المفروض أن تسير
الآن على طريق يورك. (للحاجب) أتركه، يا صاح
لماذا أنت متمسك به؟

المضيفة : أيها اللورد الوقور، أنا أرملة مسكينة من ضاحية إيست
شيب، وقد أوقف هذا الرجل بناءً على طلبي.

كبير القضاة : بدون شك، لأن لك بدمته بعض المال.

المضيفة : المبلغ ليس بعض المال، بل كل ما أملك، يا مولاي.
فقد أخذ مني البيت وما فيه، وابتلع كل مقتناي وحشا

به كرشه الضخم. لكن لا بدّ من أن يردّ لي قسماً
منه على الأقل، أو أظلّ وراءك طوال الليل والنهار،
وأطاردك نظير وحش مفترس.

فالسّتاف : بل الأحرى أن أكون أنا هذا الوحش الضاري الذي
يفزعك نظراً الى ضخامة بدني.

كبير القضاة : ما معنى هذا الكلام، يا سرّ جون؟ تبتاً لك من رجل
غليظ ثقل الظل، لا سبيل الى تحمّل بلادتك وإهاناتك.
أولا تستحي من مضايقة هذه الأرملة المسكينة وحملها
على اللجوء الى مثل هذا الالحاح لاسترداد مالها؟

فالسّتاف (للمضيفة) : ما هو المبلغ الاجمالي المتوجّب لك عليّ؟

المضيفة : تبتاً لك ولمالك، يا حارس الجثث التتنة لأنك شخص

غير شريف. لقد أقسمت لي أغلظ الايمان وأنت جالس

في غرفتي حول مائدة مستديرة بقرب نار فحم يوم

الأربعاء من أسبوع العنصرة حين شقّ الأمير رأسك

اذ شبّهت والده بمنشد وندسور. أجل أقسمت لي

حين غسلت لك جرحك انك ستتزوجني وانك

ستجعلني شريكة حياتك. لا يسعك أن تنكر الآن

ذلك. أما دخلت زوجة اللحم آنذاك ودعتني السيدة

كويكللي؟ عندما جاءت تستعير مني زجاجة خلّ قائلة

أنها تجهّز صحن قرئدس وطلبت منها أن تسكب لك

قليلاً منه لتذوّقه. فحذّرتك أنا من ان الجريح اذا أكل

منه ينوبه بعض الضرر. وحالما نزلت ألم تقل لي
أن لا أدع الإلفة تسود بيني وبين من يعتبرونني قوادة؟
ثم ألم تقبلني وأنت تطلب مني أن آتيك بثلاثين شلناً؟
والآن أتحدّاك وأطلب منك أن تقسم لي على الكتاب
المقدّس، اذا واصلت إصرارك على نفي صحة كلامي
هذا.

فالسّاف : أنها مجنونة بلهاء، يا مولاي. اذ تذيع في كل أنحاء
المدينة أن ابنها يشبهك وان وضعيتها كانت ممتازة،
وأن الفقر دهورها الى هذه الهوة الكئيبة. أمّا هؤلاء
الموظفون المناحيس، فأرجوك أن تسمح لي بالقول
انهم أوغاد يثيرون في أعماق صدري مزيداً من الغيظ
والنفور كلما طرق سمعي ذكرهم البغيض.

كبير القضاة : يا سرّ جون، أنا أعرف جيداً أسلوبك في تشويه
الحقائق، وأعرف طريقتك في تأكيد الادعاءات التي
تخرج من فمك جزافاً. يبدو لي إنك تستغلّ سذاجة
هذه المرأة وسرعة تصديقها ما تسمعه لتصل الى
أهدافك السافلة وتنال مأربك من شخصها وكيس
نقودها.

المضيّفة : هذه هي كل أميتي، يا مولاي.
كبير القضاة : أرجوك أن تلزمي الهدوء، يا امرأة. وأنت عليك أن
تسدّد لها ما تطالبك به من مال، وأن تعوّض ما سبّته

لها من أضرار. يمكنك ان تدفع لها بالعملة الأسترلينية
وتتحمل القصاص المتوجب عليك عادةً في مثل هذه
الأحوال راضياً.

فالستاف : لن أمثل لأمرك بدون اعتراض. لقد وصفت صراحتي
الشريفة بالوقاحة، فهل يعقل أن يقدم الرجل الفاضل
خضوعه بدون أن ينبس ببنت شفة؟ كلا، يا مولاي.
وبما اني أحفظ لك أسمى الاعتبار، لن أخاطبك
متوسلاً، بل أصارحك بأني أودّ التخلص من هذه
الورطة، لأنني مدعو للالتحاق بخدمة الملك بأسرع
ما يمكن.

كبير القضاة : أنت تتكلم كأنك حرّ في عمل الشرّ على هواك.
أجبن بصورة تليق بأخلاقك العالية وترضي هذه المرأة
المسكينة المحقّة.

فالستاف : تعالي الى هنا، أيتها المضيضة.

(يأخذ المضيضة جانباً).
(يدخل كُوار).

كبير القضاة : ما وراءك من الأخبار، يا أستاذ كُوار ؟
كوار (يقدم ورقة لكبير القضاة) : يا مولاي، ان الملك وهنري أمير
وايلس مزمان أن يصل قريباً الى هنا. وهذه الورقة
تفصح لك عن الباقي.

(كبير القضاة يقرأ الورقة).

- فالسّاف (يخاطب المضيفة): أصرّح لك بكل صدق واخلص...
المضيفة : هذا ما كنت تؤكده لي سابقاً.
- فالسّاف : صدّقيني، لأنّي أخاطبك كرجل محترم وكفى.
- المضيفة : بحق الأرض المباركة التي أمشي عليها، سأضطر الى رهن فضّيتي وجدرانّيّاتي الموجودة في غرفة الطعام.
- فالسّاف : جلّ ما نحتاج اليه اليوم للشرب هي الكؤوس الزجاجية، اما حيطانك فلا يقتضيها جدرانّيّات كالتي تمثّل الابن الشاطر أو الصيد الألماني المرسومة بألوان غير مألوفة، وتساوي أكثر الف مرة من ستائر السرير التي ترك عليها الذباب آثاره القذرة، ولا تتعدّى قيمة عشر ليرات حسب أغلى تقدير. هيا سهّلي الأمور فلولا مزاجك السمج لما كان في كل انكلترا ف أفضل منك. اذهبي واغسلي وجهك واسحبي شكواك. لا بد لك من أن تغيّري لهجتك حيالي. أولاً تعرفيني بعد...؟ هيا هيا. أنا أعلم بأنك سلكت هذا السبيل متأثرة بترّهات سواك.
- المضيفة : أرجوك، يا سرّ جون، أن تصدّقني عندما أوكد لك ان عشرين نبيلاً لا يضاهونك في القيمة، وإلا اضطرت في الحقيقة الى رهن فضّيتي بصورة مستعجلة.
- فالسّاف : دعينا من هذا التفكير الهزيل، وإلا غيّرت رأيي فيك. وتكونين عندئذٍ قد تصرّفت بحماقة وغباء.

المضيفة : ستقبض الثمن عندما أرهن ثوبي. فأُملي أن تأتي لتناول
طعام العشاء معي، وستدفع فيما بعد.
فالستاف : من يعيش يرَ. (لباردولف) إذهب برفقتها، وأرْمِ الشباك.
المضيفة : هل تقبل بأن تتعشى معنا دوروثي تروودرا؟
فالستاف : لا مانع لديّ، نادِها.

(تخرج المضيفة ويتبعها باردولف والموظفون والغلام).

كبير القضاة : الآن بلغتني أخبار سارّة.
فالستاف : وما هي هذه الأنباء، يا عزيزي اللورد؟
كبير القضاة (لكوّار) : أين يُزْمَع الملك أن ينام هذه الليلة؟
كوّار : في باسْتَنْكُسْتوك، يا مولاي.
فالستاف : آمل، يا سيدي، أن تسير كل الأمور على ما يرام...
ما وراءك من الأخبار، يا صاح؟
كبير القضاة (لكوّار بدون أن ينظر الى فالستاف) : هل استرجع كافّة قوّاته؟
كوّار : لا، فقط ألف وخمسمئة رجل من المشاة وخمسمئة
من الفرسان، سينضمّون الى مولاي لنكاستر ليزحفوا
نحو نورثمبرلند ورئيس الأساقفة.
فالستاف (لكبير القضاة) : هل الملك عائد من منطقة وايلس، يا مولاي
اللورد النبيل؟

كبير القضاة (بدون أن ينظر الى فالستاف) : ستصلك مني رسالة بعد
ساعة من الزمان. هيّا رافقني، يا عزيزي الأستاذ كوّار.
فالستاف : مولاي...

كبير القضاة : ماذا جرى؟
فالستاف : (بدون أن ينظر الى القاضي) : الأستاذ كوار يدعوك الى
تناول طعام الغداء معه.
كوار : أنا هنا رهن إشارتك، يا مولاي. شكراً، يا سرّ جون.
كبير القضاة : أنت تقضي هنا مدة طويلة في البحث عن رجال
تجنّدهم في معظم الأنحاء التي تجوبها.
فالستاف (بدون أن ينظر الى القاضي) : هل تريد، يا أستاذ كوار، أن
تتناول معي طعام العشاء؟
كبير القضاة : أسأل الله أن ينير عقلك، لأنك حقاً غبي كبير.
(يخرجون).

المشهد الثاني

في شارع آخر من لندن

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : صدّقني، أنا منهوك القوى من شدة التعب.
بوينز : هل هذا ممكن؟ لا يسعني أن أصدّق أن الإرهاق
يمكن أن يحلّ بشخص رفيع المقام نظيرك.
الأمير هنري : لا أنكر أن هذا التصريح قد يسود صفحة مكائتي

السامية. هل يليق بي أن أتوق الآن الى تجرّع قليل
من الجعة؟

بوينز : طبعاً على الأمير أن لا يتذكّر هكذا أن في الوجود
ميلاً الى مثل هذا المسكر الخفيف.

الأمير هنري : أظن أن شهيتي ليست في مستوى أمير مثلي، لأنني
فعلاً أتذكّر وأشتهي احتساء قليل من هذا المشروب
البسيط. لكن مثل هذه الفكرة في الواقع تتعارض وسموّ
مقامي. فما أحقر أن أتذكّر اسمك وأن أتعرف غداً
الى محياك وأن ألاحظ كم من جوارب الحرير تقتني
وان هذا لونه رمادي وأن أتذكّر كم قميصاً لديك
للزينة والحفلات وللاستعمال العادي. لكن سواي في
هذا الموضوع يلم بمعلومات أوفر منّي. وعلى ما أرى
ينقصك بعض الملابس الفاخرة لكي يتحسن مظهرك.
والله يعلم إن كان أولادك في مستقبل الأيام سيترفهون
أكثر منك. غير أن القابلات القانونيات يصرّحن بأن
الذنب في ذلك ليس ذنب الأولاد. وهكذا يتكاثر
الناس وتكبر الأسر ويتعاضم شأنها.

بوينز : ما هذا الحديث التافه في مثل هذه الأحوال؟ قل لي
إن كان عدد من الأمراء الشبان يتكلمون هكذا،
ووالدهم مريض بقدر ما هو أبوك عليل في هذه الساعة؟
الأمير هنري : سأحدثك عن أمر واحد، يا بوينز.

بوينز : بشرط أن يكون هذا الأمر هاماً.
 الأمير هنري : سيكون دائماً هاماً بالنسبة الى ذهنك القليل التوقد.
 بوينز : هيا، قل لي، لأنني مستعد لتلقي ما تريد أن تخبرني به.
 الأمير هنري : اذاً سأبوح لك بأن الحزن لا يلائمني خاصة في هذا
 الظرف، لأن أبي مريض. مع ذلك يسعني أن أصرّح
 لك كرجل يعجبني تصرفك طبعاً إن لم أجد أحداً
 سواك أعتبره صديقي. فلربما ساورني بعض الأسف
 أحياناً.
 بوينز : الأسباب التي تتذرّع بها تستدعي مثل هذا الأسف
 العابر.
 الأمير هنري : أوكد لك بشرفي إن إغراءات الشيطان تثير في نفسك
 ونفس فالستاف كثيراً من الصلف والاستهتار. ومن
 يعيش ير. مع ذلك لا بدّ من اعلامك بأن قلبي يتفطر
 بسبب اعتلال صحة أبي. لكنني بصحبتك أنت الرفيق
 غير الصالح، بات لزاماً عليّ أن أمتنع عن الاستسلام
 للهّم والقلق.
 بوينز : ولأي سبب ؟
 الأمير هنري : ماذا تقول عني اذا بكيت؟
 بوينز : تكون في نظري أميراً منافقاً دجّالاً.
 الأمير هنري : وهذا هو رأي الجميع فيّ، لأنك فتى على أتم الاستعداد
 لتفكّر نظير سائر الناس. مع ان تفكير أي إنسان لا
 يشابه تفكيرك الخاص. وبالفعل، انا مخاتل في نظر

الجميع بالنسبة الى طريقة تفكيرهم. فهل أنت أيضاً
تفكر مثلهم؟

بوينز : لأنك تصرّفت دائماً كمتهتّك من جرّاء إرتباطك الوثيق
بفالستاف.

الأمير هنري : وبك أيضاً.

بوينز : بحق السماء، أنا سمعتي طيّبة، وأذناي تسمعان ما

يقال عني. وأقبح ما يمكن نعتي به هو اني ابن الأسرة

الثاني، واني فتى أعرف كيف استخدم يديّ ببراعة

في كافة اشغالي. وأعترف بأن أموري في هذا الباب

لا غبار عليها بتاتاً. أنظر، ها هوذا باردولف قادم.

الأمير هنري : أما الغلام الذي أرسلته الى فالستاف كهدية، وكان

شاباً رصيناً آنذاك، فلست أدري إذا كان المحتال

الكبير لم يجعل منه قرداً سمجاً.

(يدخل باردولف والغلام).

باردولف (للأمير) : حفظك الله، يا صاحب السموّ.

الأمير هنري : وحفظك أنت أيضاً، أيها النبيل باردولف.

باردولف (للغلام) : هيا أيها الأبله العاقل والغبي الساذج، لماذا

يحمّر وجهك هكذا الآن خجلاً؟ ما أجهلك في حمل

السلاح. هل هناك من مجال لإثارة موضوع تجرّع

ابريق يتّسع لأربعة مكاييل من الخمرة؟

الغلام : حالاً يا مولاي. فقد ناداني من خلال كوة الحانة

الحمراء. وهكذا لم أستطع تمييز ملامح وجهه. أخيراً
توصلت الى مشاهدة عينيه، وأعتقد أنه وسّع الثقبين
في قناع خادمة الحانة الجديد الذي استعمله وراح
يتطلع من خلالهما.

الأمير هنري : ألم يستفد هذا الصبي من الواقع؟
باردولف : اليك عني، يا ابن الزانية. إنك غبيّ أحمق.
الغلام : بل ابتعد أنت عني، يا حلم الدجّال المشؤوم.
الأمير هنري : أفدنا، يا غلام، ما هذا الحلم الذي تتكلم عنه؟
الغلام : يا مولاي، أبصرَ الدجّال في حلمه أنه أنقذني من
جمرة محرقة. لذلك أدعوه حلم الدجّال.
الأمير هنري (يعطي الغلام نقوداً) : هذا التفسير يستحق قطعة نقود.
فخذها يا غلام الحظ السعيد.

بوينز : أرجوك أن تصون هذه الوردة من الزبول. وها هيذا
سنة فلوس لتشتري ما تشتهي.
باردولف : اذا لم تتفقوا كلكم على شنقه، فلن تستقيم الأمور.
الأمير هنري : كيف حال معلمك، يا باردولف؟
باردولف : يا مولاي، لقد اعتاد العودة الى المدينة كي يظل تحت
رعايتك. هذه الرسالة موجّهة اليك.

بوينز : لقد حظيت انا باحترام فائق. فكيف حال معلمك سان
مرتان خلال هذا الصيف الحارّ؟
باردولف : جسمياً لا بأس به، يا سيدي.

بوينز : طبعاً، هو يحتاج عقلياً الى طبيب ماهر. لكن الأمر لا يهتمه كثيراً. ومهما كان مريضاً، لا خوف عليه من أن يموت قريباً.

الأمير هنري : أنا أعتقد ان هذا الجو يلائمني، كما هو حال كلبي الأليف، وهو من جهته يصبر على استخدام امتيازاته. بما أنه يكتب اليّ هذا الكلام.

(يسلم بوينز رسالة).

بوينز (يقراً) : « جون فالستاف، فارس... » لا بد من أن يعلم بذلك كل الناس، كلما سنحت له الظروف بذكر اسمه. تماماً نظير أنسباء الملك، هؤلاء الذين لا يسهون، كلما سالت نقطة دم من إصبعهم، عن الترديد : « ها هوذا دم ملكي ينزف منّا ». فلا يتأخر من يسمعهم، عن الاستفهام : « وكيف تمّ ذلك ؟ » اما الجواب فهو دائماً جاهز مثل الاحترام الذي يبديه من يود اقتراض بعض المال، وأردده أنا الفقير ابن عمّ الملك، يا سيدي.

الأمير هنري : ها ها، كثيرون يودّون أن يكونوا أقرباء، ولو أوصلوا نسبهم البعيد الى يافث بن نوح. لكن، ما هو محتوى هذا الرسالة؟

بوينز (يقراً) : « من الفارس سرّ جون فالستاف، الى ابن الملك، أقرب وريث لأبيه، هاري أمير وايلس، تحية

واحتراماً»، لعمرى، تبدو هذه الكتابة كأنها شهادة
نسب.

الأمير هنري : مهلاً مهلاً.

بوينز : « أنا أريد أن أُلد النبيل الروماني في إيجازه... » طبعاً

يقصد إيجاز النفس، واختصار التنفس... » جئت
الشمس رضاك، وأسأل السماء أن تباركك. ثم
أستأذنك بالانصراف. لا ترفع الكلفة بينك وبين بوينز
خشية أن يمعن في ابتزاز عطفك ورعايتك وهو يطمع
بامتياز الاقتران بشقيقته نيلي. لكن، كن يقظاً وحذراً
لا سيما في فترات تفكيرك وتأملك بما يجري حولك.
أودّعك، وأنا أتفحص أساليبك أثناء تدبير أمور
محيطك. التوقيع : جاك فالستاف بالنسبة الى المقرّبين
اليّ، جون بالنسبة الى أخوتي وأخواتي، وسرّ جون
بالنسبة على علاقاتي في أنحاء أوروبا. « ما رأيك، يا
مولاي، بأن أنقع هذه الرسالة في الخمرة وأن أسقيه
خلاصتها؟

الأمير هنري : هكذا تجبره على ابتلاع عشرين من كلماته... ولكن

هل تريد أن تعاملني هكذا، يا ادوارد؟ هل تودّ فعلاً
أن أقترن بشقيقتك؟

بوينز : أتمنى لأختك أن لا يكون حظها هكذا سيئاً، إذ اني

لم أبدِ مطلقاً مثل هذه الرغبة.

الأمير هنري : لا تأبه لهذا الكلام. فكم نداعب أمانينا كالمجانين.

وها هي أرواح العقلاء ترفرف فوق السحاب وتهزأ
بمشاريعنا... هل معلمك موجود هنا في لندن؟

باردولف : أجل، يا مولاي.

الأمير هنري : وأين ينوي أن يتعشى هذه الليلة؟ ألا يزال كالخنزير
البرّي المسنّ يأكل دائماً وهو يتمرّغ في أوحاله
اللزجة؟

باردولف : نعم، يا مولاي، في مقرّه القديم في إيست شيب.
الأمير هنري : ومن يصحبه هناك؟

الغلام : جماعة المستهترين القدماء، يا مولاي.

الأمير هنري : وهل بمعيته بعض النساء لمشاركته العشاء؟

الغلام : ولا واحدة، يا مولاي، ما عدا السيدة كويكلي المسنة
والسيدة دوروثي تروذرا.

الأمير هنري : ومن هي هذه النكرة المجهولة؟

الغلام : هي سيدة محترمة ونسبية معلمي، يا مولاي.

الأمير هنري : نسيته تماماً كما تنتسب عجلة الرعية الى ثور القرية...

ما رأيك أن نفاجئهم أثناء العشاء، يا ادوارد؟

بوينز : انا مستعد أن أتبعك كظلك، الى حيثما تذهب، يا
مولاي.

الأمير هنري : أوصيكما، أنت أيها الغلام، وأنت يا باردولف، بأن
لا تفوها بكلمة واحدة أمام معلمكما عن عودتي الى
المدينة. خذا هذا اكراماً لصمتكما.

(يناولهما بعض النقود).

باردولف : انا لن أفكّ عقدة لساني، فاطمئنّ يا مولاي.
الأمير هنري : الوداع اذاً. هيا اذهبا. (يخرج الغلام وباردولف). لا بد
من أن تكون دوروثي تروذرا هذه مطيئة عامّة.
بوينز : أوكد لك انها عامّة تماماً نظير طريق سان ألبان المؤدّي
الى لندن.

الأمير هنري : كيف يتسنّى لنا أن نشاهد فالستاف يتصرف هذه الليلة
على سجيّته بدون أن يرانا؟
بوينز : سنرتدي سترات ومازر من الجلد، وسنخدم المائدة
كالغلمان.

الأمير هنري : ومن وريث عرش، سأتحول الى خادم. ما هذا الانحدار
الفضيع ؟ هكذا كان مصير الاله المشتري. هو الأمير،
أمسى كالأجير. ما هذا التحوّل البذيء الذي سيكون
من نصيبي؟ على كل حال ستعوّض النتيجة عن هذا
الابتذال الذريّ، لأن النهاية الناجحة تبرّر الوسيلة
الوضيعة، يا ادوارد.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في واكوزث امام القصر

(يدخل نورثمبرلند وزوجته السيدة نورثمبلند ثم السيدة برسي)

نورثمبرلند : أرجوك، يا زوجتي الحبيبة، وأنت يا ابنتي العزيزة،
أن تفسح المجال لرغباتي الغريبة، ولا يتجهّم وجهكما
بسبب الأحوال الحاضرة ولا تفعلوا مثلي عندما تضايقان

برسي.

السيدة نورثمبرلند : انا منذ الآن أنوي أن لا أنبس بينت شفة. فافعل
ما تريد، ولتكن حكمتك دليلك في تصرفاتك.

نورثمبرلند : يؤسفني، يا زوجتي العزيزة، أن تتأثر شهامتي بالموقف
الذي أتخذه، ولا شيء يصونها مثل ذهابي حالاً لا قاتل.

السيدة برسي : مع ذلك، أرجوك، بحق السماء، أن لا تشترك في
هذه الحرب. بالماضي اضطررت مرةً الى نقض
وعودك، مع انك كنت متحفّظاً آنذاك أكثر ممّا أنت

عليه في الوقت الحاضر. وعندما ألقى صديقك برسي،
أي هنري حبيب قلبي، نظرة نحو الشمال ليرى
ما إذا كان والده يأتيه بالجنود لنجدته، أدرك أن لا
جدوى من انتظاره العقيم، وتنهّد من أعماق صدره.

من جعلك تصمّم في ذلك الحين على البقاء في بيتك
وعدم الذهاب؟ لقد ردعك فقدان إكليّين من غار

المجد، أحدهما لك والآخر لولدك. أما إكليلك، فأسأل السماء أن تعيده لك في أبهى روعته. لكن إكليله هو معلق بمجداك نظير الشمس في كبد القبة الزرقاء. وعلى هدي أنواره سأردّ فرسان انكلترا المتبعين اسمي السبل الى المعالي. وقد تجلّى كمرآة نقية ينعكس على صفحتها نبل الشبيبة أمل المستقبل، والجميع تبعوا خطاه، ولهجته القاسية التي أبرزتها الطبيعة الخشنة أضحت لغة كل الشجعان. لأن هؤلاء الذين كانت أصواتهم خافتة ومترنة تصحّحت وباتت نقيصتها صفة حميدة بمجرد التبشّ به. حتى غدت اللهجات والأنظمة والأذواق والملذات والعادات العسكرية وبمادى الأخلاق كلها تعكس كالمرآة صور النسخة والكتاب، كأنها قدوة الآخرين بدون استثناء. وكان هو، هذا الفذّ، هذا الانسان العجيب، المثال الذي تخلّيتم عنه. هو الذي لم يكن له مثل، لم تساندوه بشكل من الأشكال. بل تركتموه يواجه وحده شراسة الحرب بكل فظائعها وويلاتها. فاضطر بمفرده الى خوض ساحة القتال ومجابهة المقاتل الصاخب هاتسبر. وهكذا تخلّيتم عنه الى مصيره الأليم. لا، لا، يتحتم عليكم الآن ان تحكّموا ضميركم وتقوموا بواجبكم وتهبّوا الى مناصرته دون سواه. دعوا أخصامه لمصيرهم ولا تساندوا أحداً غيره. فالمارشال ورئيس

الأساقفة لا تنقصهما القوة. ولو كان الى جانب حبيبي
هاري نصف ما لديهم من رجال مسلحين، لتسنى
لي اليوم وأنا متشبّثة بمعانقة عزيزي هاتسبر، ان أتكلّم
عن ضريح مونموث.

نورثمبرلند : تبا لقلبك الشغوف، يا ابنتي اللطيفة. فأنتِ تنتزعين
مني بسالتي إذ تذكّريني بأخطائي القديمة. لكن مع
ذلك يجب عليّ أن أذهب وأجابه الأخطار، وسيمضي
هو الى مكان آخر يبحث عني، وسيجدني أقلّ استعداداً
مما يجب.

السيدة نورثمبرلند : يمكنك أن تهرب الى اسكتلندا حتى يلمس
النبلاء ومجلس العموم والمسلحون مدى قوّتهم عندما
يُقدمون على أول مواجهة.

السيدة برسي : اذا كتب لهم النجاح والتفوّق على الملك، يمكنك أن
تنضمّ اليهم، وتساند جبهة متينة كالفوذلا لتدعم
موقفهم. لكنني أتوسّل اليك واستحلفك بما تكنّه لي
من الحب أن تدعهم يحاولون أولاً. هكذا تصرّف
ابنك، وهكذا تركته انا يتدبّر أمره، وهكذا أصبحت
أرملة. ولن يمدّ الله في عمري لإرواء غليل أسفي
بدموع الحسرة والأسى فتزداد آلامي حتى يبلغ نحبي
عنان السماء، وأنا أندب حظ زوجي النبيل المتوفّي.
نورثمبرلند : هيا تعالي معي. لأن نفسي تشبه المدّ الذي بلغ ذروته

ووقف حائراً بين اتجاهين. أنا مستعد للذهاب طوعاً
الى رئيس الأساقفة. لكن ألفاً من الأسباب تقف حائلاً
في سبيلي لتمنعي عن الوصول اليه. لذلك قررت أن
أرحل الى اسكتلندا وأن أبقى هناك حتى تتيح لي
الظروف أن أعود الى هنا.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في حانة هُور بضاحية إيست شيب قرب لندن.

(يدخل غلامان يخدمان في الحانة).

الغلام الأول : ماذا تحمل، يا صاح؟ هل هذه إجابات غير ناضجة؟
وأنت تعرف جيداً أن سيدي جون لا يحبها كثيراً.

الغلام الثاني : بدمتي، صدقت. لقد وضع الأمير أمامه مرة صحن
إجاص غير ناضج وقال له : هذه خمس إجابات
إضافية. وخلع قبعته وزاد قائلاً : والآن أستاذن
بالانصراف هؤلاء الفرسان الستة، منهم الأصفر
والمستدير والرجعي والمجعد. فقد آلمهم هذا
الحديث، ولم يرغب عن بالهم أبداً ما سمعوه.

الغلام الأول : اذًا، عليك أن تغطّيها وتنقلها الى مكان آخر. واجتهد
أن تُبعد ضجة المدعو سُورُنُوا الى زاوية أخرى، لأن
السيدة تروذرا تريد أن تستمع الى قليل من الموسيقى.
عجّل، فالغرفة التي تناول المدعوّون فيها طعام العشاء
يسودها الحرّ الشديد، وهم على وشك أن يأتوا الى
هذا المكان.

الغلام الثاني : الأمير والمعلم بوينز سيحضران الى هنا بعد لحظة
وكل منهما يرتدي سترتنا ومئزرنا المصنوعين من
الجلد، بدون أن يدري سرّ جون بالأمر. هذا ما أسرّه
اليّ باردولف حين جاء الى هنا.

الغلام الأول : بدمتي هذه قصة مسليّة ومهزلة ممتازة.

الغلام الثاني : أنا ذاهب لأبحث عن سورُنُوا.

(يخرج).

(تدخل المضيّفة ودوروثي تروذرا).

المضيّفة : وربّي، يُخيّل اليّ، يا قلبي، انك في غاية الارتياح.
وخفقاتك تنبض كأنك تحظى بأحلى أمانيك، وأنت
تباهي كأنك وردة حمراء زاهية. لكنك تبدو كما
لو ارتشفت خمرة ممتازة تقطر نشوة قبل أن يمكننا
أن نسألك ما بك؟ وكيف الآن حالك؟

دوروثي : أنا أفضل حالاً مما كنت عليه منذ هنيهة.

المضيفة : بل على أحسن ما يرام. لأن القلب الطيب يساوي
ثقله ذهباً. ها هوذا جون قد أتى.

(يدخل فالستاف وهو يغني).

فالستاف : عندما يظهر أرثور في البلاط الملكي،
لا بدّ من السهر آناء الليل، لأنه كالفلكي،
كأن ملك الفضاء لا يتدمر ولا يشتكي.

(يخرج الغلام).

فالستاف (يوصل كلامه) : كيف حال السيدة دُمّية؟
المضيفة : جسمها الآن غير مرتاح لأنها تتقيأ، كما تعلم بسبب
حملها.

فالستاف : هكذا كل النساء في هذه المرحلة سواء، حين يجروُن
على تخطّي بعض الحدود، معظمهنّ يشعرُن بالأعراض
ذاتها.

دوروثي : تباً لك من بائس كسول. هل هذه هي كل الكرامة
التي تقدمها لي؟

فالستاف : كم تسمّنين من تعاشرين بالغذاء، أيتها السيدة دوروثي؟
دوروثي : هل أنا أسمّنهم؟ الذنب ذنب شراهم التي تنفخهم
وتمرضهم، وليس ذنبي أبداً.

فالستاف : اذا ساعد الطاهي على شحذ الشراة، فأنت يا دمية،
تساعدين العلل على مداهمة الأبدان. لذا تعلّمنا منك

أموراً كثيرة كما أخذنا عنك أفكاراً شتى. أولاً توافقين على استنتاجي هذا، يا صاحبة الفضيلة الهزيلة؟

دوروثي : أجل، ثم تأخذون، أيها الطامعون، سلاسلنا ومجوهراتنا أيضاً.

فالستاف (وهو يدمدم) : كذلك عقودكن ولآلئكن وأحجاركن الكريمة... لكي يُظهر الشجاع بسالته، عليه أن يتقدّم بخطى ثابتة، ويسير غير هيّاب على الوعر، ورمحه مسدّد ببراعة. وحين يحتاج الى الجراح، عليه أن لا يخشى مبضعه، وعندما يغامر في الهجوم، أن يتوجّه بجسارة الى هدفه ولا يخطئه.

دوروثي : اذهب واشنق نفسك، أيها الوقح الخسيس.

المضيضة : عدنا الى عاداتنا القديمة. فأنتما لا تلتقيان بدون أن تختلفا في الرأي. لأنك، وربّي، أكثر خشونة من مسلات قنفذ خائف. ولا تستطيعان كلاكما أن يتحمّل أحدهما الآخر. (لدوروثي). على كل واحد منكما أن يتحمّل رفيقه، وعليك أنتِ بنوع خاص أن تتحفّظي لأنك المركب الأضعف، كما يقال.

دوروثي : وهل يقوى المركب الضعيف الخفيف على حمل خزان ضخّم ملآن كهذا؟ وعليه حمولة من الخمرة الجيدة، وأنت لم تشاهد في حياتك مركباً محمّلاً بأثقال هائلة؟

هيا لننظر لأصدقاء، يا جاك، لأنك ستذهب الى الحرب،
فان رأيتك أو لا، لا يهمني أمرك مطلقاً.

(يدخل الغلام).

الغلام (لفالستاف): يا سيدي، القائد بيستولي هو تحت ويريد أن
يكلمك.

دوروثي : ليذهب هذا المشاغب الى الجحيم. لا أريد أن يدخل
الى هنا. فهو أحقر صعلوك عرفته، ولا أرذل منه في
كل انكثرا.

المضيفة : اذا كان مشاغباً مشاجراً لا تدعه يدخل الى بيتي،
على كل حال. لا، لا. لا بد لي من أن أعيش بين
جيراني. ولا أريد أن أرى المشاجرين المزعجين. فان
سمعتي طيبة وصيتي حسن بين الناس المحترمين. أغلق
الباب، ولا داعي لوجود المشاغبين في هذا المكان
الهادئ النظيف. أنا لم أعش حتى اليوم لكي أحتك
بالمشاجرين. أرجوك أن تغلق الباب جيداً.

فالستاف : إسمعي، أيتها المضيفة...

المضيفة : أرجوك أن تطمئن بالاً، يا سرّ جون، فلن يدخل الى
هنا أحد من المشاغبين.

فالستاف : هذا هو قائدي.

المضيفة : لا تكلمني، يا سرّ جون في هذا الموضوع. ان قائذك
المشاجر لن يتخطى عتبة بيتي. كنت من كم يوم

بصحبة الأستاذ « آتِك » النائب في المجلس، فقال لي نهار الأربعاء على أبعد تقدير : يا جارتى كويكلى، استقبلي المدنيين فقط دون سواهم، لأن سمعتك ليست على ما يرام. وأنا أعلم لماذا قال لي هذا... أنت مع ذلك امرأة شريفة ومحترمة. وبالتالي عليك أن تأخذي حذرک من الضيوف الذين تستقبلينهم. وإياك أن تقبلي في دارك أشخاصاً مشاغبين. لا تتركي أحداً منهم يطاءً عتبتك. ليتك سمعت ما كرّره لي مراراً عديدة من هذا القبيل. ولذا أنا لا أريد أن يزورني أي مشاغب.

فالسّاف : هذا ليس من المشاجرين، يا أيتها المضيّفة. انه مختلس لا ينجم عنه أي أذى. ويمكنك أن تداعبيه كأنه أرنب صغير، ولا يسعه أن يشاكس دجاجة مسكينة. لا، لا يمكنني أن أفكر في هذه الفئة من البشر.

دوروثي : هذا صحيح، أيتها المضيّفة.
المضيّفة : أليس كذلك؟ بشرفي، أنا ارتعش كورق الخريف ولا أطيق مشاهدة المشاغبين.

(يدخل بيستولي وباردولف والغلام).

بيستولي : حفظك الله، يا سرّ جون.
فالسّاف : أهلاً بك ومرحباً، أيها القائد بيستولي. تفضّل إشرب هذه الكأس من الخمرة على حساب مضيّفتنا.

بيستولي : يا سرّ جون، يسرني أن أشرب كأسين على حسابها.
فالستاف : هي لا تحبّ التجاوزات، يا مولاي. فلا تحاول
إغاظتها.

المضيفة : لا، أنا غير موافقة على اعمالكم ولا على شربكم.
ولن ابتلع ما لا يعجبني. ولن أساير طبعاً أي رجل
يسعى إلى إغرائي.

بيستولي : إذا سألّ جهودي اليك، يا سيدتي دوروثي.
دوروثي : لا تحاول استدراجي. فأنا أكرهك، أيها الغبي الأحمق.
اليك عني أيها التتن، أنا لست من نصيب أحد سوى
معلمك.

بيستولي : أنا أعرفك، يا سيدتي دوروثي.
دوروثي : ابتعد عني أيها الشقي الماكر، أيها اللص المحتال.
ان قدّمت لك هذه الكأس من الخمرة لن أتردّد في
تسديد هذا السكين الى صدرك الحقيق، اذا حاولت
أن تتعدّى حدود اللياقة حيالي. اليك عني أيها المتشرّد،
أيها المقامر السافل. متى تقرّبت اليك، أيها المنافق،
ولو كان كتفاك مزوّدَيْن بالأشرطة؟ هذا لا يهمني
لأنني أحتقرك، أيها المدّعي الخسيس.

بيستولي : لذلك سأحطم رأسك، أيها السفهه المحتال.
فالستاف : كفى، يا بيستولي. لا أريد أن ينفجر غيظك هنا.

اذهب وصبّ جام غضبك في غير هذا المكان، بعيداً
عن جمعنا المسالم.

: لا، يا أيها القائد بيستولي. لا، لا، يا عزيزي القائد.

: أيها القائد، أنت دجال خبيث لعين. ألا تخجل من

أن يدعوك الناس قائداً؟ لو كان زملاؤك القادة يفكرون

مثلي لأوسعوك ضرباً ولطماً لأنك اختلست رتبهم

بدون أن تستحقّها. لماذا أنت محتال، أيها القائد؟

وقد شوّهت وجه إحدى بنات الهوى في أحد بيوت

الدعارة. أنت تعتبر نفسك قائداً؟ اذهب وأشنق ذاتك،

أيها الجبان المغرور. أنت لست أهلاً إلا لأن تعيش

على الفواكه العفنة والخبز اليابس. لأن رتبة القائد

من شأنها أن تشرف صاحبها. بينما أنت أفسدت معنى

هذه الكلمة وحقّرتها بأفعالك المشينة، وأصبحت هذه

الرتبة بسبب قبائحك خسيصة بعكس صفة الترفع التي

تدلّ على النخوة والإباء. وقد قلبت أنت مدلولها

بتصرفك الذريّ الى أسفل دركات الانحطاط. لذا

يجب على جميع الناس ولا سيما أقرانك القادة أن

يحذروك ويتجنّبوك كالعنزة الجرباء.

: أرجوك أن تمضي، يا عزيزي القائد.

: إسمع ما تقوله عنك السيدة دوروثي.

: لا، لن أمضي. أوكد لك اني باقٍ، أيها العزيز باردولف.

المضيفة

دوروثي

باردولف

فالستاف

بيستولي

فأنا أستطيع أن أسحق هذه الحشرة بقدمي. وسأنتقم
منها لأنها داست كرامتي.
الغلام : أرجوك أن تذهب.

بيستولي : قبل أن أمضي، لا بد لي من أن ألعن أجدادها. أقسم
لكم اني سأغرقها في بحيرة بلوتون. وأدهورها الى أعماق
الجحيم، وأسومها أمرّ العذابات. عليكم اذاً أن تزichoها
من دربي، وإلاّ قتلْتُها كالكلب المسعور. لا بدّ لهذه
الخائنة من أن تموت. أوليست عاهرة حقيرة في نظر
الجميع؟

المضيفة : هدّئ روعك، أيها القائد الظريف بيستولي. أوكد لك
أن الساعة أضحت الآن متأخرة. فأرجوك أن تسكّن
فورة غضبك.

بيستولي (بصوت محتدّ) : هذا حقاً مزاح غليظ سمج. أراني بين
حيوانات كريهة مشاكسة من الصعب معاشرتها. وتريد
أن تشبّهه بالقياصرة واليونان والطوراديين. وهم لا
يستحقّون إلاّ اللّعة نظير كلاب الأبالسة التي تحرس
أبواب الجحيم، ونباحها يُصمّ آذان أهل النعيم. ثم
يقال عنّي اني من المشاغبين المشاجرين.

المضيفة : بدمتي، أيها القائد، هذا كلام أليم غير معقول ولا
مقبول.

باردولف (وهو شديد السكر) : دعوا الرجال يعودون كالذئاب وألقوا

المضيضة : بشرفي، أيها القائد، أؤكد لك ان ليس لمثل هذه المنبوذة هنا من وجود. ولو كانت هنا، أتظن أنني أخبئها في بيتي؟ بحق السماء، هديء روعك واطمئن بالاً.

بيستولي : اذاً كُلي هذا واسمني، يا عزيزتي كاليوبوليس... هيا اعطني كأس خمرة... واذا كان حظي يعاكسني، فان آمالي ترضيني. أتظن ان هذه المومس تفزعني؟ كلاً ثم كلاً. سيجرّها إبليس الى أعماق جهنم. هيا اعطني كأس خمرة. وأنت، يا عشيقتي، تعالي وتمددي الى جانبي. (يضع سيفه على الأرض). لا بدّ لنا من إزالة كل الحدود فيما بيننا، وهدم جميع الحواجز التي تفصلني عنك.

فالستاف : يا بيستولي، لو كنت انا مكانك لأخلدتُ الى السكينة.
بيستولي : أيها الفارس الظريف دعني أقبل قبضة يدك. لا تنسَ اني شاهدت الكواكب السبعة.

دوروثي : بحق السماء، إرمي به خارجاً ودخرجه على الدرج. لأنني لا أطيق سماع ثرثرة هذا الغبي الأحمق.

بيستولي : أتريدان أن يرميني من أعلى الدرج الى أسفله. هل تظنين اني لا أعرف أمثالك المتهتكات؟

فالستاف : هيا، يا باردولف، ألقه الى تحت كالحجارة المحطّمة.

وإذا ظل يفوه بالتفاهات ستُخمد أنفاسه في هذا المكان
بالذات.

باردولف (ليستولي) : هيا إرحل من هنا.
بيستولي (يلم سيفه) : هل سنصل الى الطعن؟ هل عليّ أن أجرد
سيفي؟ بينما يهدّدي الموت ويقرب أجلي، وينهي
أيامي الحزينة؟ لا تنسَ ان الجراح المميّنة المفتوحة
تقصّر أعمار الأبطال. تعال لأقول لك، أيها المغرور...
(يستل سيفه).

المضيفة : ما هذا الشجار البغيض؟
فالستاف : اعطني سيفي، يا غلام.
دوروثي : أرجوك، يا جاك، أن لا تشهر سلاحك.
فالستاف (يستل سيفه ويقول ليستولي) : ساعدني على نزول الدرج.
المضيفة : هذه الضجة لا مثل لها... لقد قرّرت أن لا أدير
نزلاً بعد الآن كي لا أواجه نظير هذا الارهاب
والتهديد. أنا واثقة بأن جريمة سترتكب هنا. رحمتك
اللّهم. هيا، يا رجال، أعيدوا سيوفكم إلى أغمادها.
هيا أعيدوها حالاً. (يخرج بيستولي وباردولف). إهدأ. ها
قد مضى الغبي. ما أحقره من قوّاد وقح دني.
المضيفة : ألم تُصّب بجرح في فخذك؟ ظننت أنه رفس جنبك
بجزمته.

فالستاف (لباردولف) : هل طردته وتخلصت منه نهائياً؟

باردولف : أجل، يا مولاي. كان اللعين غارقاً في السكر، وقد جرحته أنت في كتفه.

فالستاف : تصوّر ان مغروراً مثل هذا الوغد اللئيم يجابهني.
دوروثي : تبّاً لك من أبله عزيز على قلبي. اللهمّ رحمتك. أنت

مثل قرد مسكين. دعني أمسح لك وجهك. تقدّم، أيها الفتى. أنت ساذج، ومع ذلك أحبك، لأنك بطل نظير هرقل طروادة. وتساوي خمسة من أمثال اكامنون وعشرة من أمثال سائر الأفذاذ، أيها الخبيث المحتال.

فالستاف : انا لست سوى لصّ حقير. عليّ أن ألفت هذا الحقير بشرشف.

دوروثي : هيّا، لفّه اذا استطعت. واذا فعلت ذلك سأغنّجك بين شرشفين.

(يدخل الموسيقيون).

الغلام : وصلت الفرقة الموسيقية، يا سادتي.

فالستاف : دعها تعزف... أعزفوا يا سادة، إتّكئي على ركبتني، يا دوروثي. تبّاً له من جبان رعديد. لقد أفلت الغبي من يدي كالزئبق.

دوروثي : أجل، وستلاحقه نظير متشرّد. تبّاً لك من قوّاد لئيم حقير، أيها الخنزير القذر المعروض في دكان الجزّار. متى ستكفّ عن الشجار نهاراً وعن استلال السيف

ليلاً؟ ومتى ستبدأ بتهيئة نفسك للرحيل من هذه الدنيا
الى الآخرة؟

(من مؤخرة المسرح يدخل الأمير هنري وبوينز متنكرين بزّي
علمان الحانات).

فالستاف : هديء روعك، أيتها الدمية. لا تتكلمي كمن فقد
رشده، ولا تذكّريني بعد الآن بآخرتي.

دوروثي : لا تشغل بالك. من أية طينة مجبولة طبيعة هذا الأمير؟

فالستاف : هو شاب طيب القلب قليل الرصانة. مع ذلك، لا
يجدر به أن يصبح خبّازاً لأنه لا يحسن صنع الأرغفة
بشكل منتظم.

دوروثي : يُقال ان بوينز ظريف خفيف الظلّ.

فالستاف : هو ظريف؟ حصده الطاعون. انه غليظ الفهم عديم

الذوق مثل خردل «توكس بري». هو لا يحوي
ذرة من النعومة بل كله خشونة مثل شوك القنفذ.

دوروثي : لماذا اذاً يحبه الأمير بهذا المقدار؟

فالستاف : لأن رجليّ كليهما متوازيتان بالخفة، ولأنهما يأكلان

الأخضر واليابس كالجراد، ويزردان المآكل كالفواكه

المنقوعة بالعرق، ويداعبان الغلمان ويقفزان فوق

المقاعد ويحلفان بدون انقطاع لتأكيد ترّهاتهما،

وكالمشاغبين يستفزّان رفاقهما ليصدّقوا قصصهما

الخفيّة. أخيراً لأنه يتمتع بمواهب تتجلّى في المعجون

وفي الألفاظ الرقيقة والأجسام المرنة، لذا يتشبَّث الأمير
بمعاشرته ويصرّ على ابقائه بقربه. والأمير يشبه بوينز
كل الشبه في كثير من النواحي. وإذا أردت أن تلعن
هذا أو ذاك تراهما متعادلين الى درجة تجعل شعرة
واحدة ترجّح بينهما كفة الميزان.

الأمير هنري : اذاً هذا الدولاب لا قِبَل له أن ينفصل عن محوره.
بوينز : فلنضربه تحت أنظار صاحبتة العاهرة.

الأمير هنري : تَبّاً لهذا العجوز الممجّد الجبين الشاحب الخدّين الذي
يشبه البغاء عندما يحك عنقه.

بوينز : أوليس غريباً أن تدوم شهوة الانسان سنين عديدة أكثر
من مقدرته؟

فالستاف : قبليني، أيتها الدمية.

الأمير هنري : لقد تعانق الكوكبان سائرُن والزهرة هذه السنة، فماذا
قال التقويم الفلكي عنهما؟

بوينز (يشير الى باردولف والى المضيفة) : تأمّلوا هذا المؤشور الناري
الذي يداعب فارسُه محفوظات معلمه القديمة، ويراجع
دفتر مذكراته الصغير كما يداعب كاتمة أسرارِه.

فالستاف (لدوروثي) : ما ألدّ القبلات التي تجودين بها عليّ.

دوروثي : فعلاً، أنا أقبلك من كل قلبي.

فالستاف : رغم تقدّمي في السنّ.

دوروثي : صدقني اني أحبك أكثر من كل الشبان المغرورين.

- فالستاف : من أي نسيج تريدان أن أفصل لك ثوباً؟ سأقبض مبلغاً من المال يوم الخميس، وغداً سأقدم لك قبعة... هيا أنشدي لي أغنية مرحة. لقد تأخر الوقت، وعلينا أن ننام... ثم ستسسينني بعد ذهابي من هنا.
- دوروثي : بدمتي، سُبكيّني اذا كرّرت هذا الكلام. سأتبرّج حتماً عند رجوعك اليّ... هيا أسمع نهاية الأغنية.
- فالستاف : ناولني كأس خمرة، يا فرنسيس.
- الأمير هنري وبوينز (وهما يتقدمان) : ها نحن جئناك بها، يا سيّد.
- فالستاف (يتأملهما الواحد تلو الآخر) : ها هوذا ابن حرام من صلب الملك. وأنت يبدو عليك انك لست شقيق بوينز لأنك لا تشبهه بتاتاً.
- الأمير هنري : ما هذا الكلام؟ يا أسفل أهالي هذا البلد؟ ما هو نمط الحياة الذي تتبعه؟
- فالستاف : هو نمط أفضل بكثير من الذي تتبعه أنت. أنا وحيه معروف. أما أنت فلست سوى سَكّير حقير.
- المضيفة : حفظ الله سمّوك، أيها الأمير الكريم. بدمتي، أنت تستحقّ كل الترحيب في لندن، ربّنا يبارك محياك الصبوح. يا إلهي، متى عدت من منطقة وايلس؟
- فالستاف : تَبّاً لك من عاهرة ظريفة بقوامك الرشيق ودمك الخفيف. (يضع يده على دوروثي). أهلاً بك ومرحباً.
- دوروثي : ماذا تقول أيها الأحمق الضخم الجسم، أنا أكرهك.

بوينز (للأمير) : سيجعلك، يا مولاي، تطلع عن انتقامك، ويحوّل
المسألة الى مهزلة اذا لم تضرب حديدك وهو حام.
الأمير هنري : تَبّاً لك، يا كتلة هائلة من الشحم. ما هذه اللغة الجوفاء
التي تتحدّث بها عني بحضور مثل هذه الأنسة اللطيفة
الشريفة المهيبة.

المضيقة : تبارك الرب الذي منحك هذا القلب الحنون الشفوق.
فهو كنز لا أؤمن منه في هذه الدنيا.

فالستاف (للأمير) : إسمع.
الأمير هنري : لقد سمعت. أظنك عرفتني كما فعلت يوم هربت
الى جهات كاذّسهيل. وأنت تعلم اني أسير وراءك،
وقلت كل هذا لتختبر مدى صبري الجميل.
فالستاف : لا، لا، لا. ما ظننت أبداً أنك على مقربة منّي وتستطيع
أن تسمع كلامي.

الأمير هنري : اذاً سأضطر الى اعتبار إهاناتك مقصودة. وعندئذٍ
سأعرف كيف أعاقبك.

فالستاف : لم أتلفظ بأية إهانة، يا هال. بشرفي، لم أتلفظ بأية
اهانة، صدّقني.

الأمير هنري : ولا إهانة، أنت الذي ندّدت بي ودعوتني خبازاً وصانع
أرغفة، ولست أدري بماذا نعتني أيضاً.

فالستاف : لم أتلفظ بأية اهانة، يا هال.

بوينز : أبداً، ولا إهانة.

فالستاف : أوكد لك اني لم أنس بنت شفة، يا ادوارد. صدّقني،
يا عزيزي الشهم ادوارد. ربما ندّدت بك أمام بعض
الأشرار لكي لا يتعاطوا أبداً معك. وهكذا تصرفت
تجاهك كصديق مخلص كلّي ولاء لشخصك الحبيب.
وأبوك مدين لي بالشكر على ما قلت. لكني لم أتلفظ
بأية اهانة بحقك، يا هال، أبداً ولا إهانة، يا ادوارد،
كلا، كلا. أرجوك أن تصدّقني.

الأمير هنري : أخشى أن تُهين من قبيل الخوف والجبن، هذه الأنسة
الفاضلة لكي تصلح أمورك بالنسبة اليّ. فهل مضيفتك
هذه من عداد الأشرار؟

بوينز : أجب يا صاحب الضمير الميت أجب، يا محتال.
فالستاف : لقد أضاف الشيطان اسم باردولف الى لائحة زبانيته
الملاعين، ومحياه واجهة خاصة يتلطّى وراءها
لوسيفوروس الذي يقتصر عمله على أحراق المسيئين
الى البشر. اما الغلمان فلهم ملائكة تحرسهم. غير
أن ابليس ليس غريباً عن اغرائهم لاقتراف المحرّمات.

الأمير هنري : وما هو نصيب النساء من كل هذه المشاكل؟
فالستاف : ذهبت إحداهن الى جهنم، والمسكينة تحترق الآن
بدون هوادة. أما الأخرى، فأنا مدين لها ببعض المال،
وهي محكومة بعقاب لا أدري بالضبط ما هو.
المضيّفة : لا، لا. أوكد لك ان الواقع هو غير ما ذكرته أنت.

فالسّتاف : كلا، انا لا أظنّ انك كما قيل عنك، وأعتقد بأنك بريئة من هذا القبيل. لكن، لا اعترض على وضعك. مع انك تتضايقين من استهلاك اللحم في بيتك، خلافاً لما ينصّ عليه القانون. لذلك أتوقّع انك ستزمرجرين. المضيفة : كل صاحب نزل يفعل ذلك. وما أهمية أكل فخذ عجل أو إثنين طوال أيام الصيام.

الأمير هنري (لدوروثي) : وأنتِ، أيتها المرأة اللطيفة...

دوروثي : ماذا تقول، يا صاحب السموّ؟
فالسّتاف : يقول سموّه كلاماً يهتزّ له بدنه من شدة الاشمئزاز.
(يُسمع طرّق).

المضيفة : من الذي يطرق الباب بعنف هكذا؟ إذهب وانظر من الطارق، يا فرنسيس.

(يدخل بيتو).

الأمير هنري : ما وراءك من الأخبار، يا بيتو؟

بيتو : والدك الملك موجود حالياً في ويستمنستر. وقد وصل من الشمال عشرون رسولاً منهوكي القوى، وأثناء قدومي الى هنا، صادفت واجتزت أكثر من عشرة ضباط مكشوفي الرأس يتصبّب العرق من جباههم، كانوا يطرقون أبواب كل الحانات ويسألون عن سرّ جون فالسّتاف.

الأمير هنري : بحق السماء، يا بوينز، انا أستحق اللوم على تبديدي بهوس كهذا وقتاً ثميناً، بينما عاصفة الفوضى كرياح الجنوب تهبّ على غيوم سوداء تنهمر منها الأمطار الغزيرة على الرؤوس العارية وعلى أجسام أصحابها المجرّدين من السلاح... ليلتك سعيدة، يا فالستاف.

(يخرج الأمير هنري وبوينز وبيتو وباردولف).

فالستاف : ها قد أقبل القسم الأونس من الليل، وعلينا أن نغادر هذا المكان بدون أن نذوق أثناءه طعم النوم. (يُسمع طرق) : أسمعت؟ طرق الباب مرة ثانية.

(يدخل باردولف).

فالستاف : ماذا يجري ها هنا؟

باردولف : يتحمّم عليك أن تمضي الى البلاط، يا مولاي، حالاً وسريعاً. لأن أكثر من عشرة ضباط ينتظرونك خارجاً عند الباب.

فالستاف (للغلام) : إدفع للموسيقيين ما يستحقونه، يا غبي... الوداع، أيتها المضيضة... الوداع، أيتها الدمية. هل رأيتما أيتها المرأتان اللطيفتان كيف يبحث الناس عن الرجال المرموقين؟ فالعاجزون عن العمل يتسنى لهم أن يناموا، بينما رجال العمل الجادّ يُطلبون للقيام بالواجب.

الوداع، أيتها البنتان الطيبتان القلب. اذا لم أرَّحَل بأقصى
العجلة، سأعود لمشاهدتكما.

دوروثي : أنا لا يسعني أن أتكلّم... لأن قلبي على وشك أن
يتفطر... هيا، يا عزيزي جاك، لا تهمل نفسك أبداً.
فالسّاف : الوداع، الوداع.

(يخرج فالستاف وباردولف).

المضيّفة : هيا، إذهبا. الوداع. منذ تسعة وعشرين يوماً جاءتنا
ذات النفس الخضراء التي عرفّتنا إليها... وكان الرجل
أشرف منها وقلبه أوفى... على كل حال، الوداع.
باردولف (ينادي من الداخل) : يا سيدتي تروذرا.

المضيّفة : ماذا تريد؟

باردولف (من الداخل) : قللي للسيدة تروذرا أن تأتي لترى معلمي
المضيّفة : نعم، أسرع، أيتها الدمية، أسرع.

(تخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

يدخل الملك هنري مرتدياً ملابس عادية ويرافقه غلام

الملك هنري: إذهب وناذ كونت سوراي وكونت ورويك. قبل أن يأتيا، قلّ لهما أن يقرأ هاتين الرسالتين، وأن يتفحصاهما جيداً. أسرع. (يخرج الغلام). كم من ألوف رعاياي المساكين ينامون في هذه الساعة. أيها الرقاد الهادئ المريح، يا معوّض اتعاب البشر، ماذا فعلت انا حتى جفوتني هكذا؟ لماذا لا تدعني أغمض عينيّ وأغرق في بحر من السبات العميق والنسيان. لماذا، أيها النوم، تفضّل أن تأوي الى البيوت الحقيبة المهذّمة حيث تريح الناس من ضجيج الذباب المعطر الذي يلزم كبار هذا العالم تحت المظلات الفخمة على أنغام أحلى المعزوفات؟ يا أيها الإله السخيف لماذا تقصد أكواخ البؤساء المتمدّدين على أسرة قذرة وتهجر

المخادع الملكية التي يسهر عليها الحراس للمحافظة على سلامة الشخصيات، وهم على أتم الاستعداد لدق ناقوس الخطر عند الاقتضاء؟ هل تريد أن تغمض عيني الملاح فيغلب عليه النعاس وهو في أعلى الصاري يراقب، ليهوي على الأمواج المتلاطمة في مهب الرياح العاتية التي يوقظ ضجيجها الصاخب غفوة الموت الرهيب؟ هل تريد، أيها النوم المنحاز، أن تمنح الراحة في مثل هذه الساعة الحرجة للبحار المبلول الثياب أثناء هذه الليلة الهادئة، وان تحرم منه الملك الذي أنهكه السهاد، رغم كل وسائل الراحة ومظاهر الرغد والرفاه؟ إغفوا إذاً، يا سعداء الدنيا، واعلموا ان حامل التاج لا يعرف إلاّ الهمّ والقلق.

(يدخل ورويك وسوراي وسرّ جون بلونت).

ورويك : الف سلام عليك، أيها الملك المعظم.
الملك هنري: هل أفقت، يا مولاي، هكذا باكراً وجئت لتحيني؟
ورويك : الساعة الآن تجاوزت الواحدة صباحاً.
الملك هنري: إذاً نهاركم سعيد جميعاً، يا سادة. هل قرأتم الرسائل التي وجهتها إليكم؟

ورويك : نعم، أيها الملك المفدى.
الملك هنري: لمستم إذاً في أي وضع تعيش تتخبط مملكتنا، والمرض الخطر الأليم الذي أصاب قلبها في الصميم.

ورويك : المشكلة كامنة في الدستور، ولا تزال الاضطرابات في أولها. ويمكن شفاؤها وردّ عافيتها اليها بالرأي السديد والعلاج الملاطف. ولن يلبث مولاي لورد نورثمبرلند أن تهمد فورة تمرّده وشيكاً.

الملك هنري: يا إلهي. لماذا نحسن تلاوة كتاب مصير الأجيال ورؤية الجبال تنهار على مرّ الزمان، والقارة تتفتّت وتذوب في البحر، وقد تعبت من صلابتها المتشدّدة. وفي عصور أخرى نلمس وسع حزام الرمال على شواطئ المحيط حول خصر إله البحر نبتون؟ لماذا لا تظل حاضرة في ذهن كل انسان جميع مساوئ الحظ وشتى تشعبات خيبة الأمل ومرارة الظلم والحرمان؟ لو ظهرت مجموعة هذه المفارقات لعيون الشبان وبرز بُعد المسافة التي لا بدّ من اجتيازها لبلوغ المرام، وكذلك مختلف الأخطار الماضية والمحاذير المستقبلية، لكانت ملأت صفحات مجلّدات ضخمة لا تحصى، هزّت ضمائر المسؤولين الذين يجب أن لا تغيب عن أذهانهم فكرة الموت والزوال التي لا مفرّ ولا مناص منها. في هذا العالم الفاني، منذ عشر سنوات كان رتشرد ونورثمبرلند يحتفلان معاً في المناسبات العديدة بصداقتهما المتينة. وبعد مرور سنتين فقط كان برسي هذا أقرب شخص الى قلبي، يعمل كأخ مخلص على

إنجاح مشاريعي ويكشف لي بصراحة ووضوح كل مباحج حبه وأفراح حياته وكان يقابل غنى رتشارد بعدم مبالاة ويواجهه بتحدياتي اذا لزم الأمر. ولكن من منكم كان حاضراً هنا؟ (لورويك). أنا أتذكر جيداً، يا ابن عمي الفاضل، انك كنت فيما بيننا عندما ألقى نورثمبرلند كلماته التي تبينّت اليوم كنبؤات. « تباً لك يا نورثمبرلند، يا من استخدمك ابن عمي بولينبروك كسلّم للارتقاء الى العرش... » يعلم الله ان هذا الانحراف لم يكن في البدء ما أنوي القيام به. لكن الحاجة اضطررتني الى النزول بالدولة الى مستوى وضع جعل التاج يستقرّ على رأسي... وأضاف : سيأتي يوم تتحوّل فيه هذه الجريمة البشعة الى دمّل خبيث ينشر الفساد في كل مكان ». وتوسّع في أقواله حتى توقّع ما جرى في عهدي من أحداث، وانقطاع حبل المودّة بيننا.

ورويك : في حياة المجمع البشري أحداث تستشف منها ظروف الوقت المنصرم. وعند مراقبتها يستطيع الانسان أن يتنبأ بمآتي المستقبل على نحو أكيد تقريباً، وما تحبل به الأيام من تحولات أساسية تنمو مع مرور الزمن ولا بدّ من أن تصل الى مرحلة التفتّح والبلوغ. هكذا بموجب هذه التطوّرات الحتمية تمكّن رتشارد سلفاً

من معرفة ملامح الخيانة التي دحرجته عن عرشه على يد نورثمبرلند الكبير، فأدّت الى خيانة أعظم تأصلت جذورها في الأرض لغير صالحك.

الملك هنري: ان كان من ضرورة لهذه القضايا، يجب علينا أن نتقبلها كحتمية لا بد منها. وها هذا الحاجة الملحة تلاحقنا في هذه اللحظة. اذ يقال ان لدى الأسقف نورثمبرلند خمسون الف مقاتل.

ورويك : هذا غير ممكن، يا مولاي، فالشائعة نظير رجوع الصدى تضخم عدد من نخشى اذاهم. أرجو من جلالتك أن تستلقي على سريرك لتأخذ قسطاً من الراحة. أوكد لك، يا مولاي، ان القوّات التي أرسلتها ستحرز ما ترجوه من النصر بكل سهولة. ولكي أزيدك اطمئناناً، أعلمك اني إطلعت على أخبار اكيده تفيد أن كلانداور قد مات. صحة جلالتك منذ خمسة عشر يوماً ليست على ما يرام، واذا ظل القلق يساورك ستزداد عافيتك سوءاً.

الملك هنري: سأتبع نصيحتك. وكم أتمنى الآن أن لا أكون متورطاً في هذه الحروب الداخلية، فلولاها لكنا رحلنا معاً الى الأراضي المقدسة.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في كلوسستر شاير وسط باحة أمام منزل القاضي شالو

(يدخل من جهات مختلفة شالو وسيلانس ثم مُوازي وأومبر وفارو وفابل وفو والخدام الذين يصطفون في صدر المسرح).

شالو : تقدّموا، تقدّموا. هاتِ يدك، يا سيدي. أنت رجل

نشيط مبكر في المجيء بارك الله همتك. كيف حال

ابن عمي سيلانس؟

سيلانس : نهارك سعيد، يا ابن عمي شالو.

شالو : كيف حال ابنة عمي رفيقة سريرك؟ وكيف حال ابنتك

اللامعة هيلانة؟

سيلانس : مع الأسف، ليست بلبلاً صدّاحاً، يا ابن عمي شالو.

شالو : ان قلت نعم أو قلت لا، أجرؤ على التأكيد ان ابن

عمي وليم أصبح طالباً ناجحاً، وهو موجود دائماً

في أوفورد، أليس كذلك؟

سيلانس : أجل، يا سيدي، وهو يدرس على نفقتي.

شالو : وسيلتحق قريباً بمدرسة الحقوق. انا أتممت دراستي

في معهد سان كليمان. حيث لا يزال الجميع يتحدثون

عني ويلقبونني بالمهووس شالو.

سيلانس : وكانوا يدعونك الفتى شالو أيضاً آنذاك، يا ابن العم.

شالو : بدمتي، لقد دعوني بأسماء شتى، لأنني في الحقيقة

كنت أتمكن من تحقيق كل ما يخطر ببالي بكل سهولة ونجاح. ولم يكن لنا، أنا والشاب جون دُوا، وكان من ستافورد شاير، والأسود جورج نو، وكذلك فرنسيس رُونجُو وولّ إِسْكُوَال وكان من كوتسُوَالد، أي نحن الأربعة لم يكن لنا مثال. ويسعني أن أصرّح باننا كنا نعرف جيداً أين تقام حفلات الرقص الممتعة، وكنا دوماً في رأس قائمة المدعوّين، حين كان جاك فالستاف الذي أضحى سرّ جون، لا يزال ولداً صغيراً، وكان حينذاك غلام توماس موبري دوق نورفولك.

سيلانس : أتعني سرّ جون الذي سيأتي لأجل الجنود، يا ابن عمي؟

شالو : أجل، سرّ جون نفسه. وقد شاهدته يشقّ رأس إِسْكُوَال عند باب المعهد، وكان آنذاك صبياً طائشاً ولم يكن طوله يتجاوز هذا المقدار. في ذاك النهار عينه تشاجرت انا وسمسون إِسْتُوك فيش بائع الفواكه؛ خلف حانة « كرايز إن ». ما أحلى الأيام التي قضيتها هناك. كم من هؤلاء الأصدقاء ماتوا، وأخشى أن تغيب ذكرياتهم عن ذهني.

سيلانس : هم السابقون ونحن اللاحقون، يا ابن عمي.
شالو : هذا أمر لا مفرّ منه طبعاً. الموت كما تذكر المزامير، قضاء مبرم لا بدّ منه، ويسري على الجميع بدون

استثناء. كلنا مصيرنا الفناء والزوال. كم زوجاً من

البقر شاهدت في معرض إستامفورث؟

: لم أذهب لأزوره، يا ابن العم.

سيلانس

: أجل، الموت أمر حتمي لا بد منه... هل «دوبل»

شالو

المسن لا يزال على قيد الحياة في مدينتك؟

: لا، لقد رحل عن هذه الدنيا مؤخراً، يا سيدي.

سيلانس

: يا الهي، هل حقاً مات؟... كان ماهراً في إصابة الهدف

شالو

عندما يرشق السهام بقوسه، أجل كان بارعاً... وكان

جون دي غان يحبه كثيراً ويраهن عليه بمبالغ كبيرة

عندما يشترك في أية مباراة... مات المسكين. كان

يرمي سهامه عن بعد مئتين وثمانين أو خمسة وثمانين

قدماً وكانت مشاهدته فعلاً تبهج النظر وهو يرشق

سهامه... ما هو سعر قطع العشرين نعجة في الوقت

الحاضر؟

: حسب الظروف. فقطيع العشرين نعجة يساوي اليوم

سيلانس

عشر ليرات.

: تقول ان «دوبل» المسن قد مات.

شالو

(يدخل باردولف وأحد رفاقه).

: ها هما اثنان من جماعة سرّ جون فالستاف، على

سيلانس

ما أظن يتقدّمان نحونا.

: نهارك سعيد، أيها الوجيه الكريم. أرجوكم، يا سادة،

باردولف

شالو : أنا روبرت شالو، يا سيدي. هاوي الجياد في هذه المقاطعة الجميلة، وأحد قضاة الصلح في بلاط الملك. ماذا تريد مني؟

باردولف : قائدي، جون فالستاف، يا سيدي، يرجو أن تنظر اليه بعين العطف. لأنه وجيه بهيّ الطلعة وضابط كله نشاط وحيويّة.

شالو : هذا شرف كبير تخصّني به، يا سيدي. فقد عرفته رجلاً ممتازاً متفوّقاً في استعمال سيفه. كيف حال هذا الفارس المغوار، وهل لي أن أسأل أيضاً كيف حال زوجته؟

باردولف : اعزرنِي، يا سيدي، إن قلت لك ان الجندي اليقظ يقوم بمهمته على وجه أكمل عندما لا يكون متزوّجاً.

شالو : هذا قول حكيم، يا سيدي، يأتي في محله. الجندي اليقظ ممتاز حقاً. فالبارة اللطيفة جميلة وشيّقة، وتنال أفضل استحسان. حقاً، هذه عبارة جميلة قيّمة.

باردولف : أعذرنِي، يا سيدي. لقد سبق أن سمعت هذه الكلمة. أنت تدعوها عبارة. وربّي، أنا لم أسمعها سابقاً. لكنني أصرّ والسيف في يدي، على التأكيد أن هذه الكلمة تمت إلى الجنديّة، وانها تدلّ على سلطة واسعة. دوام اليقظة برهان على أن صاحبها متأهّب باستمرار، ولا أجد أروع من هذه الصيغة، لأنه يكون في أهمّ مواقفه

ويستقطب تقدير الجميع. وهذا لعمرى ما يتمناه كل
انسان شهم رصين.

(يدخل فالستاف).

شالو : هذا صحيح... ها هوذا سرُ جون. هاتِ يدك الكريمة.
بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان صحتك تبدو جيدة،
وان عمرك لا يؤثر على مظهرك النشيط. أهلاً بك،
يا سرُ جون الفاضل.

فالستاف : يسرّني أن أجذك بصحة تامة، يا أستاذ روبرت شالو...
أظن هذا هو الأستاذ سوركارْت؟

شالو : كلاً، يا سرُ جون، هذا هو ابن عمي سيلانس الذي
يملك الشركة التي تؤمّن على حياتي.

فالستاف : استاذي العزيز سيلانس، يليق بك أن تكون من أنصار
السلام.

سيلانس : أهلاً بسيادتك.

فالستاف : أفٍ من هذا الطقس الحارّ... هل وجدتم لي، يا سادة،
سته رجال أبحث عنهم يصلحون لأن أُلحقهم بالخدمة؟

شالو : أجل، يا سيدي. هل تريد أن تجلس؟

فالستاف : أرجوك أن تريني اياهم.

شالو : ها هم طالبوا الوظيفة، يا سيدي. هذا هو رالف مُوازي.

وليردّ كلُّ من الباقيين عند سماع اسمه، بدون إمهال.
هيا، أين موازي؟

- موازي : أنا هنا.
- شالو : كيف تجده، يا سرّ جون؟ هو فتى حسن المظهر قوي البنية، وابن أسرة معروفة باستقامتها.
- فالستاف : هل اسمك موازي؟
- موازي : أجل، يا سيدي.
- فالستاف : حان وقت استخدامك، على ما أرى.
- شالو (يقهقه ضاحكاً) : ها ها. بدمّتي، هو ممتاز. السيد موازي يودّ أن يخدم في أقرب وقت ممكن. وهذه نقطة لا بأس بها. وما تقوله هو عين الصواب.
- فالستاف (لشالو) : ضع علامة الى جانب اسمه.
- موازي : كان لي علامة، وكان الأجدر بكم أن تتركوني وشأني. ان سيدتي المسنة ستنهار أعصابها الآن، نظراً الى فقدانها هكذا من يقوم خير قيام بأعمالها المنزلية. فلا حاجة لوضع علامة قرب اسمي. هناك رجال كُثُر غيري يطلبون الذهاب.
- فالستاف : هيا أعرّنا سكوتك قليلاً، يا موازي، أنت أيضاً ستذهب، إذ حان الوقت فعلاً للاستفادة من كفاءتك.
- موازي : للاستفادة من كفاءتي؟
- شالو : إهدأ، يا غبي، وقف جانباً. هل تدري أين أنت الآن؟...
- الى التالي، يا سرّ جون. أين سيمون أومبر؟
- فالستاف : بل هاتوا لي هذا، لأوافق عليه حالاً. إذ يبدو عليه انه كان جندياً منذ عهد قريب.

- شالو : أين أومبر؟
 أومبر : ها أنذا، يا سيدي.
 فالستاف : يا أومبر، أنت ابن من؟
 أومبر : انا ابن أمي، يا سيدي.
 فالستاف : ابن أمك؟ هذا لا شك فيه، وأنت ظل أبيك. لأن
 ابن الأنثى هو ظلّ الذكر كما تدل عليه، في الحقيقة،
 أغلب الحالات، مع ان فضل الأب في ذلك ليس بكبير
 شالو : هل يناسبك، يا سرّ جون؟
 فالستاف : هذا الرجل يفيدنا في الصيف. أشر على اسمه، فيكتمل
 العدد الذي نحتاج اليه.
 شالو : والآن، جاء دور توماس فارو.
 فالستاف : أين هو؟
 فارو : نعم، يا سيدي.
 فالستاف : أنت، على ما أرى، من طراز غريب.
 شالو : هل أضع علامة عند اسمه، يا سرّ جون؟
 فالستاف : لا فائدة من ذلك. لأن متاعه على ظهره، وكل ما
 فيه لا يوحى بالرضى. فلا داعي الى التأشير قرب اسمه.
 شالو (يغرب في الضحك) : ها ها ها. كما تشاء، يا سيدي، كما تشاء.
 على كل حال، أقدم لك تهانيّ القلبية. والآن جاء
 دور فرنسيس فابل.
 فابل : نعم، سيدي.
 فالستاف : ما هي صنعتك، يا فابل؟

- فابل : خياط نسائي، يا سيدي.
- فالستاف : هذا حسن. ولكنك لو كنت خياطاً للرجال لما تأخرت عن عمل القطب... هل يسعك أن تحدث ثقباً في أبدان الأعداء بعدد الثقوب التي أحدثتها كعري في أثواب النساء.
- فابل : سأبذل جهدي، يا سيدي. اذ انك لا تستطيع أن تطلب مني المزيد.
- فالستاف : ردك في محله، أيها الخياط النسائي، أجل، ردك مناسب، أيها الباسل فابل. ستكون نشيطاً كالحمّام الغاضب، أو كالفأرة السريعة التنقل. ضع علامة أمام اسم الخياط النسائي، يا أستاذ شالو، وشدد عليه، يا أستاذ.
- فابل : أتمنى أن يذهب فارّو أيضاً، يا سيدي.
- فالستاف : أتمنى أن تتحوّل الى خياط للرجال، كي ترفع حماسك وتجعله صالحاً لذهابك الى الحرب. إذ لا يسعني أن أجند من على ظهره مثل هذا الحمل الثقيل. كفي، يا فابل الفضولي.
- فابل : أجل، هذا يكفي.
- فالستاف : أشكرك شكراً جزيلاً، يا فابل الظريف. من التالي؟
- شالو : بيار فو دأبري.
- فالستاف : دعني أشاهد فو هذا.
- فو : ها أنذا، يا سيدي.

- فالسّتاف : ها هوذا فتى لا عيب فيه. هيّا أشر عند اسم فو،
وسنرى ماذا يكون من أمره.
- فو : شكراً، يا سيدي القائد.
- فالسّتاف : أترك رضىت به قبل أن نضع علامة قرب اسمه.
- فو : لا تتعجّب، يا سيدي، لأنني منحرف الصحة.
- فالسّتاف : وما هي علّتك؟
- فو : أصابني بردٌ رافقه سعال حادّ، يا سيدي، إلّتقطته من
شدة ما دققت الجرس يوم تتويج الملك.
- فالسّتاف : إذاً ستذهب الى الحرب في ردائك العادي. وهكذا
تتخلّص من سعالك، وستدبّر أمر أهلك الذين سنكلفهم
بدق الجرس عنك. هل هذا كل ما لديك من
معلومات؟
- شالو : سننادي اثنين آخرين ليكمل العدد الذي تطلبه، يا
سيدي. لذلك أرجوك أن تقبل دعوتي لتناول طعام
العشاء على مائدتي.
- فالسّتاف : انا أفضّل أن أشرب كأساً معك، لأنني لا أستطيع
البقاء لتناول طعام العشاء عندك. في الحقيقة، سرّتني
مشاهدتك، يا أستاذ شالو.
- شالو : هل تتذكّر، يا سرّ جون، تلك الليلة التي قضيناها
بأكملها معاً في طاحون الهواء قرب سان جورج؟
- فالسّتاف : دعنا من التحدّث عن ذلك، يا عزيزي الأستاذ شالو.
- شالو : في الواقع، كانت ليلة مريحة. هل تعرف إن كانت

« جين بزوني دونوي » لا تزال على قيد الحياة؟

فالسّاف : نعم، هي حيّة، يا أستاذ شالو.
شالو : صدّقني انها لم تتمكّن من التخلّص مني.
فالسّاف : أبداً. وقد أكّدت أنها لا تطيق الأستاذ شالو.
شالو : والله، عرفت كيف أثير غيظها. وكانت بالفعل أوزة
سمينة. ألا تزال رشيقة القوام؟

فالسّاف : لقد شاخت، يا أستاذ شالو.
شالو : نعم، نعم. لا بد من أن تكون قد طعنت في السنّ.
ولقد عرفتُ زوجها روبان قبل أن أذهب الى سان
كليمان.

سيلانس : منذ خمسين عاماً.
شالو : آه، يا ابن عمي سيلانس، ليتك شاهدت ما أبصرناه
أنا وهذا الفارس... أليس كذلك، يا سرّ جون؟
فالسّاف : ولقد رقصنا عندما أشارت الساعة الى منتصف الليل.
هل تتذكّر ذلك، يا أستاذ شالو.

شالو : نعم، أتذكر. نعم، نعم، يا سرّ جون. وكانت كلمة
السّرّ لدينا « هيا يا أولاد ». والآن، هيا نذهب لتناول
طعام العشاء. كم كانت تلك الأيام رائعة في الحقيقة.

(يخرج فالستاف وشالو وسيلانس).

فو : يا سيدي العريف باردولف، أرجوك أن تكون صديقي.
وإليك مني أربع قطع من فئة عشر شلنات، سكّها

الملك هنري. في الواقع، انا أفضل أن أشتق على
أن أذهب، ليس بداعي الخوف والقلق بل لأنني شخصياً
لا أحب أن أمضي الى الحرب، بل أودّ أن أبقى مع
أهلي. وإلاّ لما وجدت فرقاً بين الذهاب والبقاء وكانا
لديّ سواء.

باردولف

: اذا، قف جانباً.

موازي : انا أيضاً أرجو، يا سيدي العريف، بل يا سيدي الضابط،
أن تكون صديقي حُبّاً بوالدتي. لأن ليس لديها سواي
للقيام بخدمتها. فهي عاجزة ولا تستطيع أن تسعف
نفسها، وسأعطيك أربعين شلناً.

باردولف

: هيا، أنت أيضاً قف جانباً.

فابل : بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان الذهاب والبقاء عندي
سيّان. لأن الانسان لا يموت إلاّ مرة واحدة. وبما
ان الموت لا بد منه فلن تكون نفسي قلقة اذا كان
مصيري هكذا. وليكن نصيبي ذهاباً أو بقاءً، لا فرق
عندي. ليس من شرف أفضل من خدمة الأمير. وأنا
راضٍ بما قسمه لي الحظ. لأن من يموت هذه السنة
نظير من يموت السنة القادمة.

باردولف

: بالصواب نطق، أيها الفتى الشجاع.

: أنا، بدمّتي، لم أخف يوماً مما يخبئه لي المستقبل.

فابل

(يدخل تانية فالستاف وشالو وسيلانس).

فالسّتاف : ها هم الأربعة الذين يعجبونك.
باردولف (بصوت خافت لمالسّتاف) : أريد أن أقول لك كلمة، يا سيدي... سأعطيك ثلاث ليرات لإعفاء موازي وفو من الذهاب.

فالسّتاف (بصوت خافت لباردولف) : حسناً. لا ينشغل بالك من هذا القبيل.

شالو : هيا، يا سرّ جون. من هم الأربعة الذين تريداهم؟
فالسّتاف : إختَر لي الأنسب.

شالو : اذاً، هم موازي وفو وفابل وأومبر.

فالسّتاف : يا موازي إبقَ في بيتك حتى تصبح قريباً غير صالح للخدمة. وأنت، يا فو، الى أن تصبح صالحاً تماماً، فكلّكما لا أحتاج الآن اليكما.

شالو : يا سرّ جون، لا تضرّ بمصلحتك. هذان هما أولى رجلين اخترتهما. وأنا يهمني أن أرى في خدمتك أفضل المحاربين.

فالسّتاف : هل تريد أن تعلمني، يا أستاذ شالو، كيف انتقي رجالي؟ وهل تظن ان ما يهمني من الرجل حالة أعضائه وقوّته وقامته وطوله وبدانته؟ أنا أهتمّ بروحه، يا أستاذ شالو. ها هوذا فارو. هل تلاحظ مظهره الغريب، هو قادر على حشو سلاحه وتفريغه بسرعة فائقة. وستراه كيف يروح ويجيء برشاقة نظير ناقل المياه عندما يحمل دلوّه بكلتا يديه. أما هذا المدعو أومبر فهو قويّ،

وأحب أن أستبقيه عندي لأنه لن يشكل هدفاً بارزاً للعدو. فما عليه إلا أن ينتضي مديته، وأثناء الانسحاب من موقع، ليس أسرع في الركض، من هذا الخياط النسائي. اذاً أستبقيه معي لأنه يفني بالمراد لاصلاح ما يُفسد. وأُحيل رجالي الباقيين الى الإصلاح. يا باردولف، سلّم المدعو فارّو قوساً متيناً.

باردولف : خذ، يا فارّو، وسدّد السهام هكذا.

فالستاف : هيا، أرني كيف ستحمل هذه القوس. هكذا، حسناً.

ثم أعطني، يا باردولف، رامياً قصير القامة نحيل الجسم مسناً... فارّو هذا هو طبق المرام... حقاً يبدو عليك انك عنصر ممتاز. خذ هذا، وأرني ما يمكنك أن تفعل.

شالو : لم يكن يوماً بارعاً في فنه، لأنه ليس ماهراً في إصابة

الهدف، وأنا أتذكّر في ساحة الرماية قرب « مايل أند » حين كنت في معهد سان كليمان أمثل على خشبة المسرح دور سرّ داكوني في مسرحية أرثور، ان هناك شخصاً قصير القامة يُرقص سلاحه هكذا، ثم يكرّ ويفرّ ويتقدّم ويتقهقر وأخيراً يهجم : راتاتاء، ثم بُم. ويظهر ثم يختفي... لن أشاهد مثل ذاك الفتى الماهر.

فالستاف : إن فتياناً كهؤلاء يلائمونني، يا أستاذ شالو... حفظك

الله، يا أستاذ سيلانس، لن أطيل عليك الشرح. أتمنى

لكما معاً صحة تامة، وأشكر كما على مماشاتي مسافة
اثني عشر ميلاً هذا المساء. يا باردولف، سلّم الجنديين
ملابسهما العسكرية.

شالو : الله يبارك همتك، يا سرّ جون، ويكلّل أعمالك بالنجاح،
ويمنحك راحة البال. عند رجوعك، أرجوك أن تأتي
لزيارتي، كي نجدّد عهد صداقتنا القديمة. وربما
رافقتك الى المحكمة.

فالستاف : أتمنى ذلك من كل قلبي، يا أستاذ شالو.

شالو : هيّا بنا. لقد صارحتك بكل ما أريد أن أفصح عنه.
أتمنى لك أتم الصحة والعافية.

فالستاف : وأنا أيضاً أتمنى لكم جميعاً، يا ذوات، اطيب الأمانى.
(يخرج شالو وسيلانس). الى الأمام، يا باردولف،
واصطحب معك هؤلاء الرجال.

(يخرج باردولف ومعه المجنّدون)

فالستاف (وحده) : عند عودتي سأناقش هذا القاضي. أنا أبصر ما
في أعماق صدره وتلايف دماغه. يا إلهي. كم نحن
الأشخاص الشيوخ معرّضون لآفة الكذب. هذا القاضي
الهزيل لم يكف عن الثثرة في موضوع مغامرات
شبابه قرب شارع ترّن بول. وعلى كل ثلاث كلمات
منه تظهر كذبة ينبغي لسامعه أن يتلعها كأنها آية

مقدّسة. انا لا أزال أتذكّره يوم كان في سان كليمان
وكأنه أحد الفتیان الذين نتسلّى بمداعبتهم والتنكيت
عليهم. وعندما يتعرّى كان يبدو كأنه فجلة بذنبين
وكانت حركاته أقرب الى بهلوانيّات القروء. كان
نحيلاً الى درجة كُذِّنا نراه وكأنه شبّح الجوع بالذات.
وكانت المومسات يدعونه « منڈراكور » لأن هندامه
دائماً متأخّر عن زيّ ذلك الحين. وكان ينشد لفتياته
الطائشات أغاني سمعها من أفواه سائقي العربات،
ويُقسم انها آخر صرعة ليلية من نظمه وتأليفه. والآن
ها هو ذا سيف الخشب الذي حوّله فساد العصر الى
سائس خيل بليد. وهو يتحدث عن جون دي غان
بصورة مألوفة كأنه رفيقه في السلاح. وأنا أقسم
بدوري انه لم يشاهده سوى مرة واحدة في باحة
كاروسال حين شجّ رأسه رجال المارشال، لأنه اندسّ
فيما بينهم واختلط بتجمّعاتهم. ولقد أبصرته حينذاك
وقلت له، هو الذي يظن نفسه جون دي غان انه
نحيل الى درجة تمكّنه من الدخول بسهولة في جلد
سمك الحيّات. وربما تسنّى لبيت المزمّار أن يكون
له قصرأً رحيباً. لكنه الآن أصبح يملك الأراضي
الواسعة، والعديد من البقر والثيران. سأتّصل به اذا
رجعت، ولن أكون مرتاح البال اذا لم أجعل منه خاتم
سليمان كي أحصل بواسطته على كل ما أشتهي. وبما

ان السمك الكبير دائماً يأكل السمك الصغير، لست
أدري لماذا لا أبتلعه أنا بموجب هذا القانون الطبيعي،
حالما تسنح لي الفرصة المناسبة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

وسط غابة في يورك شائر

(يدخل رئيس اساقفة يورك، وموبري وهاستينكس وغيرهم)

رئيس الأساقفة : كيف تُدعى هذه الغابة؟
هاستينكس : اسمها غابة كولتري.

رئيس الأساقفة : لنقف هنا، يا سادة، ولنرسل كشافين لمعرفة حجم أعدائنا.

هاستينكس : لقد أرسلناهم منذ برهة.

رئيس الأساقفة : حسناً، يا أصحابي وإخواني في هذه الحملة الكبيرة.
عليّ أن أعلمكم اني تلقّيت من نورثمبرلند رسالة مؤرخة من وقت قريب، باردة اللهجة، اليكم فحواها :
لقد تمنّى أن يكون هنا شخصياً برفقة قوّات تناسب مقامه العالي، لكنه لم يستطع أن يجنّد أحداً. وبناء

على ذلك، بغية أن يدع فرصته تتفاعل وتختمر،
إنسحب الى اسكتلندا راجياً من كل قلبه أن تثمر
جهودكم وأن تسيطروا على الأحداث الجارية وعلى
مقاومة أخصامكم الألداء.

موبري : هكذا تحطّمت وانهارت الآمال التي علّقناها عليه.

(يدخل رسول).

هاستينكس : ما وراءك من الأخبار؟

الرسول : في غرب هذه الغابة، على بعد ميل من هنا تقريباً،
يتقدّم الأعداء بنظامٍ. واستناداً الى المساحة التي
يشغلونها، أقدر ان عددهم يناهز الثلاثين ألفاً على
وجه التقريب.

موبري : العدد الذي افترضناه تماماً. علينا اذاً أن نتقدّم نحن
بدورنا، وأن نجابههم من جهة السهل.

رئيس الأساقفة : من هو الضابط المسلّح القادم الى هنا؟

موبري : أعتقد أنه مولاي ويستمورلند.

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : أحبيكم وأقدّم لكم أصدق تهاني قائدنا العام الأمير
اللورد جون دوق لنكاستر.

رئيس الأساقفة : تكلم، يا لورد ويستمورلند، بكل أمان. ما معنى
مجيئك إلينا؟

ويستمر لند : يا مولاي، رسالتي موجّهة الى سموّك بالدرجة الأولى.
فاذا تمادى هذا العصيان، كما هو الحال تذكّيه
عصابات حقيرة شرسة بقيادة شبيبة دموية تكسوها
الأسمال البالية وتختلط بها فرق متهوّسة من الرعاع،
أقول اذا ظهرت هكذا بمظهرها الحقيقي الطبيعي، لن
تظّلوا هنا، أعني أنت، يا أبتِ الوقور وهؤلاء اللوردات
النبلاء، لتستردا فظاعة تمرّدكم الدموي بثياب مقاماتكم
السامية. أنت، يا مولاي رئيس الأساقفة الذي تركز
مهمّتك على السلم والأمان، والذي دعمته يد القدرة
الالهية، أنت الذي وطّد سلطتك العلم والأدب، انت
الذي ترمز ملابسك الناصعة الى البراءة مثل حمامة
بيضاء وروح مقدس يبشّر بالتفاهم والوئام، لماذا في
فوضى حركتك المجرمة تترجم لغة السلام الوديع الى
لهجة الصلف والغطرسة والحرب والدمار؟ وقد جعلت
من كتبك قبوراً ومن حبرك دماً مهدوراً ومن ريشاتك
رماحاً مسنونة ومن لغتك المباركة بوقاً صاخباً
وموسيقى يطغى عليها ضجيج المعارك والدمار؟

رئيس الأساقفة : تسألني لماذا أتصرّف هكذا؟ هاك باقتضاب ما هي
غايتنا، كلنا مرضى، لأن الإمعان في التجاوزات قد
أورثنا الحمى المحرقة التي اضطرتنا الى نزف الدماء.
وهذه الحمى عينها التي أصابت المرحوم الملك رتشرد

قد قتلته. لكني، يا لورد ويستمورلند النبيل، لم آت
الى هنا كطبيب ولا كعدوّ السلم زحفت مع رجالي
المسلحين، بل اكتفيت بتوجيه إنذار بآلة الحرب الهائلة
لمعالجة القلوب العليلة التي عافت السعادة، ولكي أظهر
صفوف العصاة الذين أخذوا يهدمون مقوّمات حياتنا.
وبغية التكلم بصراحة أكثر أقول اني وضعت في كفة
ميزان العدل ما تخلّفه اسلحتنا من ويلات ودمار وما
نتحمّله نحن من محن وشدائد، فوجدت ان آلامنا
حالياً هي أخفّ بما لا يقاس مما تسببه من أضرار
وعلل. لقد رأينا مجرى الأمور الحاضرة فاستغنينا عن
راحتنا وطمأنينتنا لنصدّ سيل هذه الهجمات الجارفة.
أمامنا ملخص عن كل ما لحق بنا من خسائر سنبسّطه
في الوقت الملائم. وكنا مزمعين أن نقدمه للملك
منذ زمن بعيد. لكن مساعينا للحصول على موعد
ذهبت ادراج الرياح. والذين حالوا دون تحقيق هذا
اللقاء هم الأشخاص الذين اضرّوا بنا أكثر من سواهم.
والأخطار التي هدّدتنا منذ عهد ليس ببعيد، ولا تزال
آثارها الدموية ظاهرة على الأرض، والأمثال المتكررة
في كل دقيقة تمرّ بنا قد دفعتنا الى حمل السلاح
المدمر، لا لتكسير أجنحة السلام ولا أغصان زيتون
الأمان، بل لحماية السلم الحقيقي هنا قولاً وعملاً،
كما يجب أن يسود بيننا.

ويستمورلند : متى رُفضت إحتجاجاتكم؟ وبماذا أزعجكم الملك؟
أي كبير منكم قد جُرحت كرامته؟ ولماذا لجأتم الى
التمرد والعصيان وسفك الدماء بما أثّرتموه من الأحقاد
الدفينة والغرائر الوحشية؟

رئيس الأساقفة : ان ما لحق بأسرتي ولا سيّما بأخي من اساءة الدولة،
أيها الصديق الكريم، وما لاقوه من الظلم والطغيان
جعلاني أشترك شخصياً في هذا النزاع المسلّح.

ويستمورلند : هنا لا مجال لتقويم الأمور بالقوة. وإذا كان حقاً
هناك من موجب فهذا العمل ليس مطلوباً منك بالذات.

موبري : ولماذا لا يخصّه جزئياً كما يخصّنا نحن كلياً، ونحن
جميعاً نشعر بألم الجراح السابقة ونرى في الوقت
الحاضر يد التعسّف تمتدّ لتلوّث شرفنا.

ويستمورلند : لا، يا مولاي لورد موبري، لا بد من أن تحكم على
الوقت بمنظار الحاجة، لتقتنع حينئذ بأن الزمان، لا
الملك، هو مصدر كل هذه المحن. ويبدو لي ان
لا الملك ولا الزمان من سبّب هذه الفرقة والشقاق
وأثخن الجميع بالجراح. أولم ترجع أنت في حومة
هذه المشاكل الى سيادة دوق نورفولك والدك النبيل
الطيب الذكر.

موبري : ماذا خسر والذي معنوياً حتى احتاج الى تجديد نفوذه
بشخصي؟ ان الملك الذي كان يحبه لأسباب تتعلق

بالدولة اضطر قسراً الى اقصائه عنه. وقد تمّ ذلك حين أوشك هو وهنري بولينبروك ان يصطدما وكلاهما على أتم الاستعداد فوق صهوة جواديهما الصاهلين نزقاً، ورماحهما مشهرين والمهماز في رجليهما جاهز، وعيناها تقدحان شرراً وحماسة، وهما أن يشتبكا في العراك بدون رحمة ولا هوادة. في ذلك الحين لم يكن ما يحمي صدر بولينبروك من طعنة نجلاء يسدّها اليه والذي المغوار، وفي تلك اللحظة بالذات ألقي الملك عصاه الى الأرض، فما كان من أبي ورفاقه، عن تحفّظ أو مجابهة قعقة السيوف، إلا أن سقطوا مضرجين بدمائهم تحت نظر بولينبروك.

ويستمرلند : أنت تؤكد هنا، يا لورد موبري ما لا تعرفه. في تلك الحقبة من الزمان كان كونت هيرفورد أشجع وجيه في انكلترا. فمن يدري لمن من الاثنين كان الحظ ابتسم؟ لكن، لو أحرز والدك النصر هناك لا أظنه كان لاقى الظفر في كوفتري. لأن الشعب بأكمله وبصوت واحد طالب بمعاقبته ورفع بالاجماع صلواته وأعلن حبّه لهيرفورد الذي كان يودّه ويباركه ويجلّه أكثر من الملك. لكن هذا استطراد خارج عن الموضوع. لقد جئت الى هنا من قبل الأمير، قائدنا العام، لأطلع على شكواكم وعلى ما لحق بكم من

غبين، ولأعلمكم بأن سموه على أتم الاستعداد لاستقبالكم بكل حفاوة، وإنصافكم كما يحق لكم وترغبون، وكل ما هو شرعي من طلباتكم ستناولونه حتماً، بصرف النظر عما بدر منكم مما يفترض انه بادرة عداء.

موبري : لكنه الآن يقدم هذا العرض مرغماً بسبب ما فاجأناه به من ردّة فعل، ويقوم به من باب السياسة لا بداعي التحييد.

ويستمرلند : يا مولاي، أنت تفكر هكذا بدافع ما ينفخ صدرك من الزهو والاعتداد بنفسك. بينما هذا العرض قد صدر عنه من قبيل الحلم والرفق لا بداعي الخوف والتراجع. واليك بهذه الحقيقة الأكيدة. ها هو جيشنا على مرأى ومسمع من مواقعكم. وأنا أقسم لك بشرفي، ان هذا الجيش هو مبعث ثقة وارتياح ولا يمكن أو يوحى بأية فكرة خوف. وخطوطنا تضم أسماء شهيرة أكثر مما تحويه صفوفكم. ثم ان رجالنا أبرع في القتال من رجالكم ودروعنا أمتن بما لا يقاس من دروعكم، وهذا يجعلنا نحن الأقوى والأشدّ بأساً. فلا تدّعي اننا مجبرون على تقديم هذا العرض السخيّ.

موبري : على كل حال، لا أرى مجالاً لقبولنا بالتفاوض.

ويستمرلند : هذا ليس إلا الدليل القاطع على التضعضع الذي أفضى

اليه موقفكم المتشبّث بما لا يستحق كل هذا العناد.
لأن الوضع المشكوك فيه لا يجوز إعماده أساساً
لأية تسوية ومصالحة.

هاستينكس : هل يتمتع الأمير جون بصلاحيات مطلقة وواسعة تعادل
سلطة أبيه الملك، ليستمع الى مطالبينا ويقرّر بصورة
نهائية كل الشروط التي نتفق عليها؟

ويستمولند : هذا أمر مفروغ منه بوجه عام. وأنا استغرب ان تطرح
مثل هذا السؤال.

رئيس الأساقفة : اذاً يا مولاي ويستمولند، إعتد هذا الأمر الواقع،
لأنه يشمل جميع ما سبّب لنا من المضايقات، وليكن
لكل بند من الاتفاقية استدراك، ولكل فرد إشتراك في
هذه القضية هنا وفي أي مكان آخر عفو نهائي مبرم،
على أن يضمن تنفيذ ما نريده حالاً في كل ما يخصنا
ويتعلق بنا. وهكذا تعود الأمور بصفاء الى مجاريها
الطبيعية، وينضمّ رجالنا الى قوّات الدولة لتوطيد السلام
والوئام بيننا جميعاً على الدوام لأننا كلنا رعاياها سو
بسواء.

ويستمولند (ياخذ الاتفاقية) : سأبسط هذه للقائد العام. واذا شئت،
يا مولاي، سنتقابل قريباً بخصوص أوضاع جيشنا.
وعندئذ إن شاء الله، تنهي جميع المشاكل سلمياً أو
على ارض المعركة حيث برز خلافنا وسيكون السلاح

حكماً بيننا يقرّر مصيرنا ومصيركم.

رئيس الأساقفة : انا موافق على ذلك، يا مولاي.

(يخرج ويستمرلند).

موبري : في أعماق صدري إحساس ينبئني بأن عوامل السلام بيننا ليست مستقرة.

هاستينكس : لا تخشى ذلك. اذا توصّلنا الى جعل نصوص السلام نهائية وشاملة على أساس شروطنا سيكون صلحنا صلباً كالصخر.

موبري : أجل، ولكن سيُنظر الى حاجتنا كأنها عرجاء وجوفاء ومبتذلة وهزيلة تذكر الملك بتمردنا عليه. ومهما أظهرنا له من مودة وإخلاص، نظل شهداء ولائنا وخضوعنا للملك، بحيث عندما تهبّ أضعف رياح الغطسة من جهته ستجعل حبوب قمحنا أخفّ وزناً من تبننا، فلا يفرّق بين السنابل الجيدة والزؤان الرديء.

رئيس الأساقفة : لا، لا، يا مولاي. أرجوك أن تلاحظ هذا : الملك قد أرهقته الاتهامات المشينة والمختلقة، لأنه أدرك ان خنق الشك بالقتل لا يفيد ولا يؤدي إلّا الى إشعال الفتنة وإحياء مشكلين أخطر منه بين ورثة الضحية. وبالتالي هو يريد الآن محو كل ما سُجّل في باب الحقد والضعينة، ويصرّ على ازالة كل أثر يذكره بشقائه ويعيد الى ذهنه أيامه التعيسة. ما دام قد اقتنع أنه

لا يستطيع أن يقتلع من هذه الأرض جذور كل ما
سبب له القلق والهم، لأن أخصامه متشبثون هم
وأصدقاؤهم بأن سعيهم للقضاء على أي عدو سيؤدي
حتماً الى فقد صاحب يكون لهم عوناً أيام الشدة.
فإن هذه الدولة أشبه بامرأة وقحة أخرجت زوجها عن
صبره حتى هدّدها بالضرب والتأديب، وحين عزم على
تفنيده وعيده أبرزت في وجهه إبنة، فجمّدت يده وهو
يرفعها لتهشيمها والاقتصاص منها.

هاستينكس : من جهة أخرى قصد الملك أن يُعْمَلَ قضبانه في
أبدان مناوئيه، لكن أدوات هذا العقاب لم تطاوع
مشيئته. فغدت سلطته كنمر اقتلعت برائته، يهدّد وليس
له من قدرة على التقاط طريدته.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لذا، كن مطمئن البال، يا عزيزي
لورد مارشال، إننا ان أحكمنا جيداً صياغة بنود اتفاقيتنا
سيدوم حلمنا وسلامنا نظير عضو كُسِر وجُبِر وأضحى
أقوى مما كان عليه قبل إعطابه.

موبري : حسناً. ها هوذا مولاي ويستمورلند يعود إلينا.

(يدخل ويستمورلند)

ويستمورلند : الأمير قريب جداً من هذا المكان. فهل تريد سيادتك
أن تجتمع بسموّه على مسافة متساوية بين جيشينا؟
موبري (لرئيس الأساقفة) : سرّ، يا صاحب السيادة، قدماً على بركة الله.

رئيس الأساقفة (لموبري) : كن السباق، يا مولاي، واذهب لتحية
الأمير، ونحن لا نلبث أن نلحق بك.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في جهة أخرى من الغابة

(يدخل موبري ورئيس أساقفة يورك وهاستينك من جهة،
ومن الجهة الأخرى يدخل الأمير جون لنكاستر وويستمورلند
وضباط ورجال من الحاشية)

الأمير جون : أهلاً بك، يا ابن عمي موبري. أحييك، يا رئيس
الأساقفة الجليل، وأنت أيضاً، يا لورد هاستينك، وأنتم
كلّكم كذلك. يا مولاي لورد يورك، كانت أيامك
أحلى، يوم التأمت رعيّتك مجتمعةً عند قبة الجرس
وتحلّقت حولك لسماع تعليقاتك الحكيمة على
النصوص المقدّسة، أكثر من هذه الأيام، إذ تحاول
أن تظهر كرجل حديدي تحرّك زمرة من العصاة يطبلون
ويزمّرون ويستبدلون كلام اللين بحد السيف، وتباشير
الحياة بأشباح الموت. لأن الرجل الجالس على عرش
القلوب والزاهي بنور شمس العطاء، مهما ابتزّ ثقة

الملك بالأمور الطفيفة، كم من المحن، يا للأسف،
يسبب في ظلّ طاغية، عظمتها باهظة الثمن كهذه.
هكذا هو حالك، يا سيدي رئيس الأساقفة. من لا
يدري كم كان مقامك سامياً في تعزيز كتاب الله.
بالنسبة إلينا كنت الناطق باسم مجلس الملك باعتباره
صوت الرب بالذات على الأرض، وقدسيته في السماء،
وكل أفكارنا كانت متجهة الى قدرتك الفائقة ونفوذك
الواسع. ومن كان يجسر على مجرد التفكير في إمكان
معاكستك مشيئة جلالته، لا سيّما أثناء ممارسة سلطتك
الدينية في ظل سلطتك الدنيوية كأنك عدوّ لدود يناوئ
ملكه، لا تتردد عن معارضته بأعمال مشينة بعيدة كل
البعد عن رسالتك المباركة؟ أجل لقد أثرت بما تدّعيه
من مؤازرة السماء، قسماً كبيراً من رعايا أبي، نائب
الله على الأرض، وأقمت الأرض ولم تقعدها لمحاربته
بعكس توصيات الدين المسالمة، وآلّبت عليه عدداً
كبيراً من رعاياه المخلصين.

رئيس الأساقفة : يا عزيزي لورد لنكاستر، أنا هنا لا أريد أن أقوض
أركان سلام أبيك. لكن هذه الفوضى، كما سبق
وشرحت للورد ويستمورلند، تجمعنا بدافع إحساسنا
الغريزي بالغبن، وتكتلنا بشكل فعال لتأمين خلاصنا.
ولقد أرسلت الى سموك معروضاً مفصلاً يبيّن سبب

محنتنا واستغلالنا. لكن البلاط رفضه بازدراء، وهذا ما أيقظ ظنوننا وهيّج تنين الحرب المسبّع الرؤوس. غير ان نظرتة الهائلة يمكن تلطيفها بتسامح رائع وبتلبية مطالبينا الشرعية العادلة. وهكذا لن نتأخر عن ابداء خضوعنا وامتناننا اذ يكون إنصافنا قد شفى جراح غيظنا، فنحنني بتواضع أمام مشيئة جلالته.

موبري : وإلاّ اجتهدنا أن نجرب حظنا جميعنا حتى آخر رجل منا.

هاستينكس : وحين نسقط هنا، سيأتي من يحلّون محلّنا لتجديد هذه المحاولة. واذا لم ينجحوا بدورهم سيجدون من ينوب عنهم لمواصلة السعي حتى تتكلّل بالفوز. وهكذا تولد تمرّدات متلاحقة وتنتقل هذه النزاعات من وريث الى آخر ما دامت في انكلترا أجيال صاعدة تتمتع بالنخوة والحمية.

الأمير جون : أنت سطحي الى آخر حدود السحطية، يا هاستينك، ولا يسعك أن تدرك عمق فعالية الظروف المقبلة. ويستمرلند (للأمير) : هل لسموك أن تتنازل وتعلمنا بصراحة الى أي مدى تستطيع أن تتقبّل عروضهم؟

الأمير جون : انا مستعد لأن أقبلها جميعها، وأقسم هنا بشرفي أن نوايا والدي أسوء فهمها، وان العديد ممن يحيطون به لشدة فسادهم شوّهوا إرادته وسلطته. يا مولاي،

هذا الغبن سرعان ما يُرفع عنكم، وأؤكد لك انه سيرفع
حتماً. واذا وافقتم، تسحبون أنتم قوّاتكم من مختلف
المناطق كما نسحب نحن قوّاتنا. ثم هنا في هذا
المكان نتبادل انخاب الصداقة بين جيشينا ونتعانق أمام
الجميع ونحتفظ بذكرى هذه المصالحة الودّية الصادرة
على مدى الأيام.

رئيس الأساقفة : اني أعتمد على كلامك، أيها الأمير، لتحقيق هذا
التقارب.

الأمير جون : أجل، أنا أعدك بذلك واني مصمّم على الوفاء بوعدى.
وبناءً على ذلك أشرب نخب سموّك.

هاستينك (للضابط) : أيها القائد، إذهب وبشّر الجنود بنبأ هذا السلم.
ولتدفع رواتبهم ولينصرفوا الى بيوتهم، وأنا واثق بأن
الأمر سيسرهم. عجل أيها القائد.

(يخرج الضابط).

رئيس الأساقفة (يأخذ كأساً) : اني أشرب نخبك، أيها اللورد النبيل
ويستمورلند.

ويستمورلند : انا مغتبط بهذه النتيجة السارة. ليتك تعلم كم عانى
من المشقّات للوصول الى هذا السلم، فأشرب وافر
من كل قلبك. وستظهر مودّتي لك قريباً بشكل جليّ
واضح لا يقبل أدنى ريب.
رئيس الأساقفة : أنا لا أشكّ بما تقول.

ويستمولند : حقاً أنا سعيد بهذه الخاتمة المرضية. وأنا أشرب
نخبك، يا عزيزي اللورد وابن عمي اللطيف موبري.
موبري : ستهنئي قريباً باستردادك كامل صحتي، لأنني فجأة
شعرت ببعض الانزعاج.

رئيس الأساقفة : عند اقتراب المحن كثيراً ما يشعر المرء بسرور غير
طبيعي. كما أن الحزن والكآبة غالباً ما تسبق الأحداث
السعيدة.

ويستمولند : إفرح إذاً، يا ابن عمي العزيز، لأن انحرافاً مبالغاً في
صحتك أتاح لك أن تفاجأ غداً بحدث سار.
رئيس الأساقفة : صدّقني إذا قلت لك اني مرتاح البال للغاية.
موبري : أبشر، سيصحّ ما تقول.

(تُسمع هتافات عن بعد).

الأمير جون : انتشر نبأ السلم. فأسمعوا الهتافات بهذه المناسبة
السعيدة.

موبري : هذه الهتافات تعلقو عادة على أثر إحراز النصر.
رئيس الأساقفة : هذا في الحقيقة انتصار عظيم مثل استتباب السلام.
لأن الفريقين سيتكاتفان بنبل وبدون سقوط أية ضحية.
الأمير جون (لويستمولند) : إذهب، يا مولاي، واصرف أيضاً جميع
رجال جيشنا. (يخرج ويستمولند). (لرئيس الأساقفة) وإذا
سمحت، يا مولاي الفاضل، سيمرّ مسلّحوكم أمامنا
لنرى أي نوع من الرجال كنا سنجابه.

رئيس الأساقفة: إذهب، يا لورد هاستينكس، وقبل أن يتفرّق هؤلاء الرجال، دعهم يمرّون أمامنا.

(يخرج هاستينكس).

الأمير جون : املي كبير أن ننام جميعنا مرتاحين في هذه الليلة التاريخية.

(يدخل ويستمورلند).

الأمير جون (يوصل كلامه) : لماذا، يا ابن العمّ، ظلّت فرّقنا بدون تحرّك.

ويستمورلند : لأن الرؤساء الذين تلقّوا الأمر أولاً من قبلك بالبقاء، لم يرضوا أن ينصرفوا قبل أن يسمعوا هذا الأمر منك شخصياً.

الأمير جون : هم يعرفون واجبهم.

(يدخل هاستينكس).

هاستينكس : يا مولاي، تفرّق أفراد جيشنا، ونظير ثيران فتية أفلتت من النير، سارعوا في الابتعاد باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب. كما يفعل التلاميذ عند الانصراف من المدرسة، كل واحد يركض الى بيته أو الى باحة اللعب.

ويستمورلند : خبر مفاجئ، يا مولاي هاستينكس، لأجله أوقفك

كمجرم متلبس بالخيانة العظمى. كذلك أنت، يا سيادة
رئيس الأساقفة، وأنت أيضاً، يا لورد موبري، لأنكما
مشاركين معه بالخيانة.

موبري : هل هذا عمل عادل وشريف؟

ويستورلند : وهل يعتبر تجمّعكم كما ذكرت؟

رئيس الأساقفة : هل تريد أن تنقض حلفانك؟

الأمير جون : أنا لم أقسم لك أن أحقق أية تسوية. لقد وعدتك
باستدراك التجاوزات التي شكوت منها، وأنا لا أزال
مصمماً على تنفيذ وعدي بكل ضمير حي. لكن،
من جهتكم، أيها المتمردون، هل تريدون نيل مكافآتكم
على عصيانكم وعلى تصرفاتكم العدوانية؟ لقد جنّدتكم
هؤلاء الرجال بصورة طائشة وجئتم بهم الى هنا لتهديد
كياننا، ثم صرفتموهم بطريقة مهووسة. لا بدّ من دق
الطبول لمطاردة عصاباتكم المشتتة. مشيئة الله نصرتنا
عليكم وليست جهودنا التي قادتنا الى الفوز في هذا
النهار. هيّا، يا رجال، رافقوا هؤلاء الخونة الى المشنقة
حيث يكفرّ المجرمون عن عصيانهم وتزهق أرواحهم.
(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

في بقعة أخرى من الغابة

(تصيح الموسيقى، يتحرك الجنود ويتلاقى فالستاف وكولفيل).

فالستاف : أرجوك أن تقول لي ما اسمك؟ وما هي صنعتك؟
ومن أين أتيت؟

كولفيل : انا فارس، يا سيدي، واسمي كولفيل دي فال.
فالستاف : تقول ان اسمك كولفيل، ولقبك فارس، وإقامتك في
فال. بعد الآن، لن يكون اسمك كولفيل، أيها
الخصيس. أما لقبك فهو الخائن، وإقامتك السجن الذي
ستلازمه مدى الحياة.

كولفيل : أولست سرّ جون فالستاف؟
فالستاف : انا رجل بكل معنى الكلمة، يا سيد، مهما تقلّبت
الأحوال. فهل تريد أن تسلّم نفسك، أو أحاول القبض
عليك بالقوة؟ وهكذا تجعلني أعرق وكل نقطة من
عرقى ستكلّف دموع أصدقائك الذين سيندبون موتك
ويكون مصيرك. فالأجدر بك أن تحزم أمرك وتستسلم
إليّ وتكون تحت رحمتي.

كولفيل : أعتقد أنك سرّ جون فالستاف، وبناءً على ذلك أستسلم
إليك.

فالستاف : في بطني مدرسة لغات كاملة، لا عمل لها سوى

التهاتف باسمي. ولو كان لي بطن عادي لاعتُبرتُ
أنشط فتى في جميع أنحاء أوروبا. لكن كرشِي يُثقل
همتي... ها هوذا قائدنا العام قادم.

(يدخل الأمير جون ويستمورلند وآخرون).

الأمير جون : انتهى التمرد، ولا حاجة الى متابعة المطاردة. يجب
أن تستدعي الجنود، يا ابن عمي الكريم ويستمورلند.
(يخرج ويستمورلند). أين كنت، يا فالستاف، طوال هذا
الوقت؟ ها أنت عائد بعد أن انتهت جميع المشاكل.
أقسم لك بحياتي، ان عود المشنقة سينكسر من كثرة
ثقلك، في يوم قريب، ان شاء الله.

فالستاف : سأحزن للغاية، اذا لم يتم الأمر هكذا. لقد عرفت
دوماً ان التوبيخات والملاحظات هي دائماً مكافأة
أصحاب القيم. هل تظنني أسرع كالرزمور أو كالسهم
المنطلق أو كقنبلة المدفع؟ وهل يتسنى لجسمي الضخم
أن يسابق الفكر السريع كالبرق؟ لقد بادرت الى
المجيء بالعجلة الممكنة لتحركي البطيء، فسبقت أكثر
من ثمانين حصان عربية سفر صادفتها في سبيلي الى
هنا. وأثناء الطريق لم أحجم عن توقيف سرّ جون
كولفيل والإتيان به أسيراً، وهو فارس مغوار وعدوّ
ماكر رهيب. لكن، ما العمل؟ فحين شاهدني استسلم
اليّ بطريقة تمكّني من القول مع القائد الروماني الشهير

قيصر ذي الأنف المعقوف : جئت، ورأيت،
وانتصرت.

الأمير جون : وهذا تم بفضل لباقتة لا بفضل جهادك.
نالستاف : لست أدري. على كل حال، ها هو ماثل أمامك،
أسلمك إياه، وألتمس من سموك أن تضيف مآثرتي
هذه الى انجازات هذا النهار التاريخي المجيد. وإلا،
بحق السماء، رويت هذا الحدث في قصيدة خاصة
نمّقت مطلعها بتعداد صفاتي، وصوّرت في سياقها
كولفيل وهو يقبل رجلي. ومهما يكن الأمر، لن أقصر
في الاتيان على ذكرك معي وإبراز شخصيتك الفذة
نظير قطعة عملة جديدة برّاقة. هذا اذا لم أجعل إسمك
ينخسف في سماء المجد كالقمر القاتم وسط فلك
معتم تظهر فيه أشخاص الكبار كرؤوس الدبابيس، لا
قيمة لأقوالهم مهما علوا في سلم النبل والجاه اذا
لم تنظر إليّ بعين العطف والرعاية. وعلى هذا الأساس،
أرجوك أن تقدّر جهودي وأن تعاملني بالعدل
والانصاف.

الأمير جون : انصافك عسير، أيها المتفلسف الظريف.

نالستاف : اذا، أرجو أن تعوّض عليّ.

الأمير جون : أنت ثقيل الوزن، والتعويض عليك ليس بيسير.

نالستاف : فما عليك إلا أن تسدي إليّ أي معروف يوازي صنيعي،
وسمه كيفما شئت.

الأمير جون (للأسير) : هل تدعى كولفيل؟
كولفيل : أجل، يا مولاي.
الأمير جون : أنت متمرّد مرموق، يا كولفيل.
فالستاف : وقد أسره رجل مشهور بأمانته.
كولفيل : أنا، يا مولاي، على مثال رؤسائي الذين أوصلوني الى هنا. ولو تبعوا نصيحتي لكانوا استسلموا إليك لقاء أبهظ الأثمان.
فالستاف : لست أدري بكمّ باعوه. لكنك أنت وهبت وجودك هنا بلا مقابل نظير فتى عاقل، وأنا أشكرك على تصرفك الرصين.

(يدخل ويستمرلند ثانية).

الأمير جون : هل أوقفتم المطاردة؟
ويستمرلند : أجل، إنسحبنا ووضعنا حدّاً للمجزرة.
الأمير جون : أرسلوا كولفيل ورفاقه الى يورك، لكي ينفذ فيهم حكم الاعدام حالاً. خذه، يا بلونت، وضعه تحت الحراسة المشدّدة. (يؤخذ كولفيل). والآن لنعجل في الرحيل الى البلاط، يا سادة. إذ علمت بأن والدي الملك مريض جداً. وأخبار نجاحنا ستسبقنا الى جلالته وتفرّحه، فتنشط صحته. هيّا بنا، يا ابن عمي، انقل اليه هذا النبا السارّ وسنلحق بك قريباً في مسيرتنا العادية.
فالستاف : إسمح لي، يا مولاي، بأن أمرّ بكلوسستر شاير، وعندما

تصل الى البلاط، أرجوك أن تكون أميراً عطوفاً عليّ
لدى تقديم تقريرك.

الأمير جون : الوداع، يا فالستاف. بصفتي القائد الأعلى، سأتكلم
عنك بطريقة أفضل مما تستحقّ.

(يخرج).

فالستاف (وحده) : كم أودّ أن تكون منفتح الذهن، فذلك أولى من
دُوقيتك بدمتي، هذا الفتى البارد الدم مدهش لأنه
يشرب الخمرة. وأمثاله في الصلابة لا يُرجى منهم
خير كثير. لأن مشروبهم غير المسكر بالاضافة الى
ما يأكلونه من السمك يبرّد دمهم الى درجة أن يصابوا
بجمود الرجولة. وعندما يتزوجون ينجبون فتيات
نحيلات. وهم في الغالب أغبياء وجبناء، كالعديد بيننا
ممن لا يتعاطون المنشّطات. ان كأساً من الخمرة
الجيدة تذهب بكل الحماقات والسخافات والحزازات
التي تطوّق المرء وتضايقه وتفعم صدره آمالاً هزيلة وغريبة
تتحكّم بتفكيره ولسانه وتولّد فيه مزاجات سخيّة
مستبدّة. أما ثمانية فضائل الخمرة الممتازة فإنها تحمّي
الدم الذي، قبل أن يبرد، يجعل الكبد أبيض مائلاً
الى الشحوب، وهذه دلالة على الغباء والجبانة، كما
قلت. ثم ان الخمرة تمنح الدفء والحركة في الباطن
الى أقصى مدى. وتنير الوجه كالمصباح وتزيد القوى

في جسم الانسان الذي يشبه مملكة صغيرة، وتنبهه الى وجوب التسلّح لدرء التخاذل. عندئذ تلتف جميع عناصر الجيش الداخلي في الجسم حول قائدها ألا وهو القلب الذي يزهو بهذا الموكب الحميم ويجرؤ على القيام بالمهارات المرغوبة، وجميع هذه النشاطات ناجمة عن الخمرة المنبّهة. هكذا بدون الخمرة، نرى ان مجمل الأسلحة القيّمة ليست ذات فعالية كبيرة، لأنها هي التي تحرّكها. والثقافة هي أشبه بمنجم ذهب يحرسه ابليس بانتظار ان تستثمره الخمرة وتروّج اعماله وتزيده قيمة. لهذا السبب نجد الأمير هاري نشيطاً، لأن الدم البارد الذي ورثه عن أبيه بصورة طبيعية هو كالأرض الهزيلة الجرداء القاحلة، لا تصلح ولا تخصب إلا اذا شربت وارتوت. فتصبح جيدة طيبة. ولو كان لي ألف ولد لما تأخرت عن تعويدهم رفض المشروب الخفيف والتمسك بتجرّع الخمرة الجيدة المسكرة؟

(يدخل باردولف).

فالستاف	: ما وراءك من أخبار، يا باردولف.
باردولف	: كل أفراد الجيش صُرفوا ورحلوا.
فالستاف	: لا بأس من رحيلهم. أما أنا فسامرّ بكلوستر شاير
	حيث سأزور الفارس الأستاذ روبرت شالو. فلقد عجننته

وخبزه وأدرته بسبّاتي وإبهامي، وقريباً سأمهره بختمي.
هيا بنا نذهب.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في جناح الملك بقصره في وستمنستر

(يدخل الملك هنري وكلارانس والأمير همفري وورويك وغيرهم).

الملك هنري: والآن، اذا كُتبت لهذا الجدل نهاية سعيدة بعد انهياره
عند أبوابنا، سنقود شبابنا الى ساحات قتال أوسع ولن
نشهر إلا خناجر مشحوزة. فاسطولنا جاهز وجيشنا
مستنفر ولدى معاونينا التفويضات القانونية اللازمة،
وكل الأمور تسير على ما يرام. ولا يلزمنا إلا اقدام
شخصي، ونحن ننتظر عودة المتمردين الذين لا تزال
الأسلحة في أيديهم، الى حظيرة الحكومة، والخضوع
لأوامرها الشرعية.

ورويك : لا نشك أبداً بأن جلالتك ستحصل على هذه الترضية.
الملك هنري: يا بني همفري كلوسستر، أين أخوك الأمير الشاب؟
همفري : أظن، يا مولاي، انه ذهب الى الصيد في وندسور.

الملك هنري: وهل ذهب شقيقه توماس كلارانس بمعيته؟
همفري : لا، يا مولاي الكريم، انه هنا ماثل أمام جلالتك.
كلارانس (يتقدم) : ماذا تريد مني، يا أبي ومولاي؟

الملك هنري: انا لا أريد لك إلا كل خير، يا توماس كلارانس.
كيف لم تذهب بصحبة أخيك الأمير؟ هو يحبك وأنت
تبتعد عنه، يا توماس. ان لك في قلبه منزلة ومودة
خاصة تمتاز عن سائر أخوتك. فألمي ان تصون هذه
المحبة، يا ولدي. وبعد رحيلي عن هذا العالم، أرجو
أن تكون خير وسيط بين جلالة شقيقك خليفتي وبين
سائر أخوتك. فلازمه ولا تهمل محبته ولا تتهاون
في الاحتفاظ برضاه عن طريق الفتور والتظاهر بقلّة
الإكتراث. لأنني أعرف جيداً انه يعطف على من يقدر
رعايته وهو شفوق على من يستحق الاهتمام به وكريم
الكف، ومثل النور يضيء على أهل البرّ والاحسان.
مع ذلك أعرف جيداً انه متى غضب تحجّر قلبه وأظلم
مثل أيام الشتاء وعنف نظير رياح العاصفة الهوجاء
في نهار ربيعي. فلا بد اذاً من مداراة طبيعته. يمكنك
أن توبّخه على أخطائه لكن بلطف واحترام، حين تراه
ميالاً للمرح. لكن اذا كان سيّء المزاج فاصبر عليه
الى أن تصفو أجواؤه ويهدأ كأنه حوت على اليابسة
وقد أنهكه التعب خارج مياه البحر الواسع. إحفظ

ما أوصيك به، يا توماس. عليك أيضاً ان تكون مثلاً صالحاً لأصدقائك، وستكون كحلقة من ذهب تجمع بين أخوتك، بحيث يظل وفاق الدم رباطاً لا يتفكك بفعل تقدّم العمر الذي يصعب تجنبه متى سرى هذا السمّ العنيف القتال كالزرنخ والسريع الانفجار كالبارود.

كلارانس : سأحيطه بكل رعايتي وكل حنوي.
الملك هنري: لماذا أنت هنا ولست معه في وندسور، يا توماس؟
كلارانس : هو اليوم غائب لأنه ذهب لتناول طعام العشاء في لندن.
الملك هنري: وهل تدري بصحبة من؟

كلارانس : بمعية بوينز ورفاقه الآخرين كالمعتاد.
الملك هنري: أخصب أرض تتعرض للأعشاب الضارة. وهو أنبل صورة تمثّلني وأنا في ريعان الشباب، لم يسلم من التهور. لذلك أنا قلق على مصيره بعد مماتي. قلبي يتفطر ويقطر دماً عندما أتصوّر ما قد يحل به من شقاء ومن فساد بعد أن أرقد في مثواي الأخير الى جانب أجدادي. إذ عندما لن يصدّ تهتكه أي رادع حين سيخلو بنفسه تحت تأثير الغضب وفورة الدم والاحتداد، يوم تمتزج السلطة بالتبذير، الى أين ستطير به أجنحة شهواته وسط الأخطار المحدقة التي ستجرّفه الى هاوية المهالك والكوارث.

ورويك

: يا مولاي الفاضل، أنت تذهب بعيداً في هذا المجال.
فالأمير يدرس الآن طباع رفاقه كأنها مفردات لغة
أجنبية. ولكي يمتلك دقائقها لا بدّ له من أن يطلع
عليها ويتعلّم أغرب ألفاظها. وحين يتوصّل الى مبتغاه،
كما تعلم، يا مولاي، يكون قد أتقنها ليتجنّب أغلاطها.
كذلك سيهدي الزمان أميرنا، فيقلع عن عشرة رفاقه
كما يتحاشى الكلمات النابية. وذكرى أصحابه ستكون
له كنموذج، وكمقياس حيّ يتّخذه سموّه لتقدير سواهم
من الأخيار وقد استفاد من خبرته برفقة الأشرار ومن
أخطائه الماضية.

الملك هنري: يصعب على النحل أن يغادر المحيط الذي اعتاده،
ولو ألقيت فيه جيفة نتنة... من القادم الى هنا؟ أهذا
أنت يا ويستمورلند؟

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : السلام على مولاي الملك. كم أتمنى أن يضاف المزيد
من السرور الى ما آتاه به من الأنباء المفرحة. الأمير
جون ابنك، يا مولاي، يقبل يديك المباركتين. موبري
والأسقف إسكروب وهاستينكس كلهم خضعوا لما
تفرضه عليهم شريعتك. ولم يبقَ من سيف متمرّد خارج
غمده. لأن السلام عمّ كل مكان وانتشر غصن الزيتون
فوق رؤوس الجميع. أمّا كيف حصل هذا النجاح،

فجلالتك تستطيع أن تقرأ تفاصيله بتأن في التقرير
الكامل والمفصل الذي أقدمه لك الآن.

(يسلمه ورقة).

الملك هنري : أنت الطائر الميمون الذي يبشر بقدوم الربيع، يا
ويستمولند، وفي أواخر الشتاء يغرد مشيداً بطلوع
الفجر كمقدمة النهار الجديد. وها هي أنباء أخرى.
(يدخل هاركور).

هاركور : صانتك العناية الإلهية من غدر أعدائك، يا مولاي.
واذا وشوس لهم الشيطان عضيانك، أتمنى لهم أن
يهلكوا نظير من جئت أكلمك عنهم. فالكونت
نورثمبرلند ولورد باردولف على رأس العديد من
الانكليز والاسكتلنديين قد شتتهم رجال أمن يورك
شاير. أما تفاصيل سير القتال فهي مبينة في هذه العجالة.

(يسلمه أوراقاً).

الملك هنري : ولماذا تنهال عليّ كل هذه الأنباء الجديدة المطمئنة؟
أولا يمنّ علينا الحظ أحياناً بأكثر مما نستحق؟ وهل
يكتب السعد كلماته الحلوة بحروف قاتمة؟ أنه يفتح
شهيتنا أحياناً ولا يُلقمنا أي طعام. هكذا هو حال
هزيل الصحة. فالحظ يولم المآدب غالباً ويسدّ قابليتنا

مثل الغني الذي تضخمت ثروته ولم يتمتع بما تتيحه
له من ملذّات. عليّ إذاً أن أنعم الآن بهذه الأنباء
البهيجة. لكنني أشعر باضطراب في نظري وبدوارٍ يرهق
رأسي. هيا اقترّب مني، لأنني أشعر بكثير من الانزعاج.
(يغيب عن الوعي).

همفري : تشجّع، يا مولاي.
كلارانس : ما بك، يا أبت؟
ويستمولند : مولاي الملك، عُدْ الى رشدك، وافتح عينيك.
ورويك : صبراً، أيها الأمراء... أنتم تعلمون ان هذه النوبات
أُمت مألوفة وعادية بالنسبة الى جلالته في هذا
الوضع. أرجوكم أن تبتعدوا عنه لتفسحوا له مجال
التنفّس بسهولة. لا بد له من أن يعود الى حالته الطبيعية.
كلارانس : لا يمكنه أن يتحمّل طويلاً هذا الضيق. فالهموم
المتواصلة وانشغال ذهنه المرهق بصورة متواصلة قد
نالت منه وأضعفت جلده، فباتت صحته على وشك
الانهيار، وراح أجله يزداد دنواً كل يوم.
همفري : رعاياه قلقون على حالته، وقد لاحظوا انهم في هذه
المرحلة من عهده، أضحوا أيتاماً فقدوا أباهم، وخرافاً
بدون حارس. فالفصول قد تبدلت أجواؤها كما لو
كانت السنة قد نامت عدة أشهر ثم اجتازت ما حدث
من فراغ بقفزة واحدة.

كلارانس : النهر الكبير اقتبل المد ثلاث مرات بدون انحسار أي
جزر متوسط المدى. والأشخاص المستنون الذين رافقوا
الأجيال الماضية ودبّ فيهم هزال التفكير يقولون ان
هذه الأمور عينها قد جرت قبل أن يمرض جدنا الأكبر
إدوارد ويموت.

ورويك : أيها الأمراء، تكلموا بصوت خافت، لأن الملك أخذ
يسترّد وعيه.

همفري : هذه الصحوة لا بد من أن تكون الأخيرة قبل مفارقة
الحياة.

الملك هنري (وقد صحا) : أرجوكم أن تسندوني وتنهضوني وأن
تأخذوني الى حجرة أخرى، بكل تمهّل وهدوء.
(يؤخذ الملك).

المشهد الخامس

في حجرة أخرى

(الملك ممدّد على سرير وحوله كلارانس وهمفري وورويك)

الملك هنري: أرجو أن لا يضحجّ أحد منكم، يا أصدقائي الأعزاء.
مع ذلك أودّ أن يدمدم صوت حنون شجيّ أنشودة
لطيفة قرب أذني المتعبة.

ورويك : اجلبوا الموسيقى الى الحجرة المجاورة.
الملك هنري: ضعوا تاجي على وصادتي هنا الى جانب رأسي.
كلارانس : لقد غارت عيناه، وتبدّلت ملامح وجهه كثيراً.
ورويك : خففوا الضجة على قدر الإمكان.

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : من رأى دوق كلارانس؟
كلارانس (وعينه تدمعان) : ها أنذا، يا أخي، وقد مزّق الحزن قلبي.
الأمير هنري : ماذا أرى؟ المطر يهطل تحت سقفنا وليس خارجاً.
كيف حال الملك؟

همفري : صحته متدهورة جداً.
الأمير هنري : وهل علم بالأنباء السارة؟ يجب أن تُطلعوه عليها.
همفري : وقوفه عليها هو الذي غير أحواله بهذه السرعة.
الأمير هنري : اذا كان مرضه ناجم عن الفرح، فلا بدّ له من أن يعود الى وضعه الطبيعي بدون مسعف أو علاج.
ورويك : لا ترفع صوتك هكذا عالياً. لأن والدك الملك بحاجة الى الرقاد الهاديء.

كلارانس : تعالوا ننسحب الى الغرفة المجاورة.
ورويك (للأمير هنري) : تفضّل، يا مولاي، بالانتقال معنا.
الأمير هنري : لا، أريد أن أجلس هنا، وأسهر على الملك. (يخرج الجميع ما عدا الأمير هنري). لماذا وُضع التاج هنا على وصادته؟ هل أضحي الآن رفيق سريرته؟ ما هذا التبدّل

المستجد؟ أهو همّ الذهب الذي يُقصي النوم ويمهّد
السبيل لسيطرة ليالي القلق والسهاد؟ وهل بت، يا
والدي، لا تنام إلّا والتاج بقربك؟ لكن رقادك العميق
ليس كالنوم الهادئ الذي كان يريحك برفق في
الماضي حين كنت تشخر طوال الليل. يا صاحب
الجلالة، إن تشبّثت اليوم بما يصون حياتك نظير درع
ثقيل تحتمي به في يوم حارّ يحرقك وهو يزود عنك،
فان انفاسك أضحت خفيفة لا تحرّك ريشة اذا وُضعت
قرب أنفك. واذا تنفّست، فلا بدّ لهذه الريشة من
الاهتزاز. لكن هذا النوم في الحقيقة ثقيل كأنه سُبات
عميق، يا والدي الكريم. وكم من ملوك الانكليز قد
فارقوا هذه الهالة الذهبية. انا مدين لك بالدموع
وبالآلام التي تدفعني اليها قرابة الدم والطبيعة والحب
والحنوّ البنوي، يا والدي العزيز. وما أحفظه لك من
المودّة والتقدير يفيك حقّك. أمّا أنت فمدين لي بهذا
التاج الأمبراطوري الذي يهبط تلقائياً على رأسي ما
دمت وريثك الشرعي المباشر، تبعاً لقرابة الدم كما
قلت. (يضع التاج على رأسه). الآن وقد وضعت على
رأسي، أسأل الله أن يحفظه عليه. عندما تنحصر جميع
قوى الأرض في ساعد جبار، لن يتمكّن أحد من
انتزاع هذا الشعار الوراثي، هذا التاج الذي منحني
إياه، يا أبي، سأحتفظ به وديعة كما تركته أنت.

(يخرج والتاج على رأسه).

الملك هنري (يستيقظ): ورويك، كلوسستر، كلارانس.

(يدخل ورويك ورفيقاه).

كلارانس : هل نادتنا، أيها الملك المفدى؟

ورويك : ماذا تريد، يا صاحب الجلالة؟ كيف حالك، يا مولاي؟

الملك هنري: لماذا تركتموني وحدي هنا، يا سادة؟

كلارانس : يا مليكي، أبقينا بقربك الأمير أخي الذي ودّ أن يجلس الى جانبك ويسهر عليك.

الملك هنري: أين أمير وائلس؟ دعوني أشاهده. أليس هو ها هنا؟

ورويك : هذا الباب كان مفتوحاً. ولا بد من أن يكون قد خرج الى مكان قريب.

همفري : لم يمرّ أحد بالغرفة المجاورة حيث كنا.

الملك هنري: أين التاج؟ من أخذه من فوق وسادتي؟

ورويك : عندما انسحبنا، يا صاحب الجلالة، تركنا التاج حيث كان موجوداً هنا.

الملك هنري: أخذه الأمير، اذاً. إذهبوا وابحثوا عنه. هو مستعجل

للحصول عليه، فظنّ رقادي موتاً. ابحث عنه، يا لورد

ورويك، واجلبه الى هنا حالاً. (يخرج ورويك). سلوكه

الطائش هذا بالاضافة الى مرضي سيعجل نهايتي...

انظروا، يا أولادي كيف تتصرفون. وكيف تثور الطبيعة

الانسانية بسرعة حالما يغريها الذهب. لهذا السبب استفاق الآباء النشيطون من نومهم على أحوال شبيهة بهذه كانت تشغل بالهم وترهق أدمغتهم بما ينتابهم من هموم وما يجلبه عليهم ذهبهم من شرور. لذا كنزوا أكداً قذرة من الأصفر الرنان خزّوها بطرق غريبة. ولهذا السبب ربّوا أولادهم ولقّنوهم شتى المبادئ والفنون ودرّبوهم على أساليب الحرب، ونظير النحل الذي يمتصّ رحيق الزهور العطرة ليضع الشمع ثم يسكب فيه العسل اللذيذ، نحن أيضاً نجمع غنائمنا في مستودعاتنا. ونظير النحل أيضاً تجرّ متاعنا علينا الموت والهلاك. وهذا بالذات ما يؤلم الأب وهو ينازع عند دنوّ أجله.

(يدخل ورويك ثانية).

الملك هنري (يوصل حديثه): أين هو هذا الابن الذي لم يشأ أن ينتظر حليفه المرض ليكمل ما بدأه من الاجهاز عليّ. ورويك : وجدت الأمير في الحجرة المجاورة، يا مولاي، ودموع الحزن تسيل على خديّه، وهو متأثر جداً على أثر المرض الشديد الذي انتابك، كأن خنجراً طعن فؤاده في الصميم. وها هو قادم اليك.

الملك هنري: لكن، لماذا أخذ التاج؟

(يدخل الأمير هنري).

الملك هنري (يوصل كلامه) : ها هوذا هاري قد اقترب. أما أنتم
فغادروا الحجرة واتركونا وحدنا.

(يخرج جميع الأمراء والسادة ما عدا الأمير هنري).

الأمير هنري : لم أكن أظن اني سأسمع صوتك ثانية.
الملك هنري : اعتقادي، يا هاري، هو وليد استعجالك. انا تأخرت
في الرحيل عنك، وهذا قد أتعبك. هل أنت متشوق
هكذا وتواق الى خلوّ عرشي، حتى انك بادرت الى
حمل تاجي قبل أن تحين ساعتني الأخيرة؟ ما أشدّ
هوس الشباب النزق؟ أنت تتهافت على المجد الذي
سيسحقك، على ما أرى. انتظر قليلاً، فغيمة سلطتي
تكاد تسوقها نسمة هزيلة وسترى السلطة تسقط قريباً
بين يديك، لأن أجلي فعلاً قد دنا. فسرقت ما كان أصبح
ملكك بعد ساعات قليلة بدون ارتكاب أي جرم. وقبل
أن يختطف الموت روحي، ها قد أكدت ظنوني،
وسلوئك أثبت لي انك طوال حياتك لم تحبّني بل
تمنيت غيابي السريع لتخلفني. وفي ضميرك سنت
الف خنجر وشحذتها على قلبك المتحجّر لتطعنني
أثناء نصف الساعة الأخيرة من عمري. اذهب واحفر
قبري بيديك، واطلب أن تدقّ أجراس الفرحة التي تتوق
أذناك الى سماع رنينها عند موتي. أتمنى أن تغدو
الدموع المنسكبة على نعشي بلسماً يريح قلبي. ولا

تتأخر عن إهالة تراب النسيان على الحفرة التي ستضمّ
رفاتي، وسلّم الدود جثمان من منحك الحياة وربّاك.
أطرد قوّادي الأمناء وحطّم قراراتي الحكيمة. لأن موعد
هدم النظام قد اقترب الآن. وها قد توجّ هنري الخامس
نفسه أمام ناظري. تبّاً لك أيها المهووس ما أعقّك.
وليسقط تجبرّك الملكي الأرعن. اليكم عني أنتم جميعاً
أيها المستشارون، واذهبوا الى بلاط انكلترا يا قرود
التخاذل المتقاطرين من كل بلد غريب. وأنتِ، أيتها
الدول المجاورة، تطهّري من أرجاسك، لأنّ لديك
جحافل من الدجّالين الذين يشتمون ويسكرون
ويرقصون وينهبون ويتهتكون ليلاً ويقتلون وهم
يعربدون ولا يتورّعون عن ارتكاب أشنع المنكرات
والموبقات بطرق وأساليب جديدة مشينة. إفرحوا اليوم
لأنهم لم يعودوا يزعجونكم بصخبهم. لأنّ انكلترا
أضحت في وضع يتيح لها تنقية أجوائها من هذه
الأقذار والأرجاس لأنّ انكلترا ستفرض سيطرتها وهيبتها
وقوّتها في كل مكان، ما دام ابني هنري الخامس
سينتزع الكمامة التي كانت تسدّ شفق الدعارة ويفلت
الحبل على الغارب لانتشار الفوضى والانحطاط ويفكّ
قيد الكلب المسعور الذي سيغرز أنيابه الحادة في
جسم الأبرياء. ما أشقاك، أيتها المملكة المسكينة
المصابة بمرض الشقاق والتمزّق الداخلي. اذا كانت

حكومتك لم تستطع أن تحميك من الفوضى والضياع
ماذا يحلّ بك لا سيما اذا أصبحت هذه الفوضى
أساس حكومتك. ستعودين كما كنت في الماضي
صحراء تأوي اليك الذئاب سكانك الأصليون.

الأمير هنري (يجثو) : سامحني، يا مليكي. لو عارضت تصرفاتي بحزم
وصرامة لجعلتني أتجنب هذه الملامة القاسية قبل أن
تتكلم وقبل أن تستشيط غيظاً امامي هكذا... ها هو
تاجك. أرجو أن يحفظك الله ويصونه لك طويلاً.
اذا انا أحببت هذا التاج، فلأني اعتبره شعار شهامتك
وسمعتك العطرة. أمني أن لا أنهض من وضعي هذا
الذليل إلا وقلبي المفعم ولاءً واحتراماً لشخصك الكريم
يفيض بين حنايا ضلوعي بالتبجيل والخضوع المعلن
أمام الملاء لسلطتك وهيبتك. يعلم الله اني عندما دخلت
هذا المكان، خيل الي ان جلالتك خامد الأنفاس
ظاهراً، فصعقت لبرودة الموت التي جمّدت الدم في
عروقي. وإن كنت لا أفصح عن الحقيقة المجردة،
فليزهق الموت روحي بسبب إظهارني خلاف ما كنت
أضمره في الواقع من تبدّل مريب. عندما اقتربت لأنظر
اليك، وقد ظننتك، لا سمح الله، قد فارقت الحياة
أو علي وشك أن تلفظ أنفاسك الأخيرة، خطرت ببالي
فكرة لم أستطع مقاومتها، فدنوت من التاج كما لو

كان معدنه يفهم مرامي وخاطبته في سرّي قائلاً :
ان الهموم التي تختبئ في داخلك قد أرهقت كاهل
والدي، ومع انك من الذهب فحتماً صنفك يبدو من
أردأ معدن. ولو تدنّت قيمتك هكذا فيظلّ الذهب
ثميناً لأنه الدواء الشافي الذي يصون حياة البشر. لكنك
دوماً لامع ومحترم وطيب الذكر أينما حللت وفي
أي زمان كنت، تضني من يقتنيك ويتشبّث بأذيالك.
هكذا، يا مليكي المفدّي، وأنا أتهم التاج بهذه القبائح،
حملته على رأسي لأجرب مفعوله ومظهره، كما لو
كان عدواً قتل أبي. وهذه علّة كل وريث عرش في
هذه الدنيا. وان كانت ملامسة التاج قد أفعمت صدري
غروراً ونفخت نفسي بروح الكبرياء، وإن خامرت
ذهني فكرة العصيان والغطرسة وأغرّنتي سلطة
الصولجان بتسرّع، أرجو أن يبعده الله دوماً عن أشواقي
وأن يجعلني أحقر أمير أجثو على ركبتيّ أمام عظمتك
الحقيقية باحترام وخضوع وامثال كليّ.

الملك هنري: يا بنيّ، السماء ألهمتك أن تأخذه قبل الأوان لكي
تضاعف عطف أبيك عليك، ويسامحك بحكمته
ورحابة صدره. إقترب مني، يا هاري، واجلس الى
جانب سريري واستمع الى نصائحي الأخيرة، على
ما أعتقد، إذ لن يتسنّى لي أن أكررها عليك. الله

يعلم، يا بني، بأية وسائل وأية طرق غير مباشرة بل متعرجة وصلت الى هذا التاج. وأعلم أيضاً ما رافق تثبيته على رأسي أنا من متاعب وصعوبات. لكنه على رأسك أنت سيستقرّ بسلام أكثر واحترام أوفر، لأن مشاكل وصولي اليه ستُدفن معي في ضريحي. لم يظهر، وهو على رأسي، كأنه انتزع بالقوة والعنف. وكانت رؤية أنصاري الأحياء تذكّرني دائماً بما لهم من فضل بمساعدتهم اياي للحصول عليه. وهذا كان سبب نزاعات يومية وصراعات دموية لفرض سلام وهمي. لأن كل هذه التهديدات الوقحة لم أواجهها إلا بتحدّيات خطيرة وأساليب لم تكن في أغلب الأحيان مشكورة. ما دام حكمي كان نتيجة هذه الصراعات بعد اغتصابي السلطة. غير ان الموت قد غيّر اليوم هذه الوضعية بالنسبة اليك. فما كان في أيامي موضوع شكّ وجدل، يؤول اليك حالياً عن طريق الشرعية والرضى، لأنك ترث هذا التاج بموجب قانون الخلافة. مع ذلك، مهما كانت أركان عرشك موطدة أكثر من عهدي، أنت لا تزال هشاً أمام سيل المشاكل التي قد تعترض سبيلك. فجميع أصدقائي الذين عليك أن تسعى الى جعلهم أصدقاءك وتحذّركم، لم يفقدوا أنيابهم وبرائتهم إلا من زمن قريب. فبعد أن رفعوني الى سدّة الملك بجهودهم الرهيبة، ظللت أخشى أن

ينقلبوا عليّ ويسلبوني السلطة كما ساعدوني للاستيلاء عليها. ولكي أتلافى هذا الخطر المضني اضطررت الى إعدام بعضهم، وكان في نيّتي أن أرسل الآخرين الى الأراضي المقدّسة لأبعد عني شرّهم المسلّط كالسيف فوق رأسي، خوفاً من أن يسوّل لهم البطر وقلة الانشغال أن يحسدوني على سلطتي ويزاحمونني ويتآمروا علي ليحلّوا محلّي على العرش. لذلك عليك، يا هاري، أن تنتهج سياسة تشغل أفكارهم الميالة إلى العصيان، في حروب خارجية بشكل يحوّل نشاطهم الى التفاعل بعيداً عنك، وينسيهم ذكرى أوائل أيام الحكم. أريد أن أقول لك المزيد. لكن صدري اللاهث لا يدع لي مجالاً للكلام أكثر مما فعل. ألتمس من الله أن يغفر لي أسلوب حصولي على التاج، وأن يتيح لك حمله على رأسك طويلاً بعزّ وسلام.

الأمير هنري : مولاي الفاضل، لقد اكتسبت أنت هذا التاج وحملته وحافظت عليه، ومنحتني إياه معزّزاً، ووجوده على رأسي هو حقّ شرعي من الحقوق التي أوليتني إياها. فكن مطمئن البال، يا أبي، اني سأدافع عنه بكل قواي ولو حاول العالم كله أن ينتزعه مني فلن يجد الى ذلك سبيلاً.

(يدخل الأمير جون لكاستر وورويك ولوردات آخرون).

الملك هنري : اسمعوا وانظروا، هذا هو ابني جون لنكاستر.
الأمير هنري : أتمنى لك الصحة والسلام والسعادة، يا والدي ومليكي
المحبيب.

الملك هنري : يا ولدي جون، وجودك بقربي يجلب لي السعادة
والأمان. لكن الصحة أخذت تنسحب من هذا الجزع
الناشف الذابل. فكما ترى، أوشكت مهمتي الزائلة
أن تبلغ نهاية المطاف. أين لورد ورويك؟

الأمير هنري : يا لورد ورويك.
الملك هنري : هل للجناح الذي غبت فيه عن الوعي من اسم خاص؟
ورويك : أجل، يدعى القدس، أيها المولى الكريم.
الملك هنري : أشكر الله. إذ لا بد لحياتي من أن تنتهي هناك. لقد
ظننت خطأً أن خاتمة حياتي ستكون في الأرض
المقدسة. أرجوك أن تنقلني إلى تلك الحجرة حيث
أودّ أن أستريح. هذا هو القدس الذي أتمنى، أنا هنري،
أن أموت فيه.

الفصل الخامس المشهد الأول

داخل بيت شالو في كلوسستر شاير.

(يدخل شالو وفالستاف وباردولف والغلام).

شالو : أقسم بشرفي اني لن أدعكم تذهبون هذا المساء.
(ينادي). تعال، يا دايفي.

فالستاف : لا بدّ لك من أن تعذرني، يا أستاذ روبرت شالو.

شالو : لن أسامحك أبداً. اذ لا عذر لك، ولا مجال للاستفسار
لأنني لا أريد ان اسمع هذا الطلب، ولن أعذرّك أبداً.
أين أنت يا دايفي؟

دايفي : ها أنذا، يا سيدي.

شالو : دايفي، يا دايفي... هيا يا دايفي... أجل، هكذا. أيها
الطاهي وليم، قلّ له أن يأتي الى هنا... يا سرّ جون،
لن أسامحك أبداً.

دايفي : أريد أن أقول لك، يا سيدي، ان لا سبيل الى تنفيذ هذه المهمة. ثم هناك أمر آخر، يا سيدي. أتريد أن نبذر قمحاً تلك الأرض التي تكلمنا عنها؟

شالو : نعم، قمحاً أحمر، يا ديفي... أما الطاهي وليم... ألا يوجد هنا من حمام صغير؟

دايفي : أجل، يا سيدي... ها هذا لائحة مصاريف الحدّاد الذي صنع حدوات الحصان وسكة المحراث.

شالو : إفحصوا مفرداتها وادفعوا له ثمنها... لن أسامحك أبداً، يا سرّ جون.

دايفي : هذا البرميل يحتاج حتماً الى طوق جديد. ثم، هل تريد، يا سيدي، أن تحسم بعض أجر غليوم لتعويض قيمة الكيس الذي أضاعه ذلك اليوم في باحة معرض هينسكلي.

شالو : أجل، هو مسؤول عنه... لا تنسَ الحمام، يا ديفي، وزوج دجاج قصير القوائم وقطعة لحم خروف وبضعة لقم صغيرة لذيذة. قل ذلك للطاهي وليم.

دايفي : هل سيبقى هذا المحارب هنا طوال الليل، يا سيدي؟

شالو : أجل، يا ديفي. أودّ أن أعامله معاملة حسنة. فما عليك إلا أن تقابل هؤلاء الناس بالحسنى، وإن كانوا أوغاداً مشاغبين، رغم من يحميهم. وليس مستبعداً أن يضايقوا أحداً منا.

دايفي : أوكد لك أنهم سيضايقون أنفسهم. لأن ثيابهم الداخلية
رثة للغاية تدل على قذارة طبعهم.

شالو : وجدت علّتهم، يا دايفي. فالتزم عملك.

دايفي : أرجوك، يا سيدي، أن تساعد وليم فايزور وينكوت
على التغلب على باركس من التلال القريبة.

شالو : هناك شكاوى عديدة، يا دايفي على فايزور هذا الوغد
الليثيم الذي أعرفه جيداً.

دايفي : أوافق سيادتك على أنه وغد لئيم. وأتمنى مع ذلك
أن لا يجد أي شقي من يسانده هنا، نزولاً عند طلب
صديق. الرجل الشريف يستطيع أن يدافع عن نفسه،
أمّا الوغد فلا. لقد خدمت سيادتك بشهامة منذ ثمانية
أعوام. فاذا لم أفضّل مرة أو مرتين أحد اللّوماء على
رجل شهم أكون غير مستحقّ عطفك ورعايتك، يا
سيدي. هذا المسكين هو صديقي الشريف، لذلك
ألتمس من سيادتك أن تنظر اليه بعين العطف والرفقة.

شالو : هيا، سيكون لك ما تشاء، ولن ينوبه مني أي سوء...
فعد الى عملك، يا دايفي. (يخرج دايفي). أين أنت،
يا سرّ جون؟ هيا، إخلع جزمته... ثم هات يدك،
يا أستاذ باردولف.

باردولف : أنا سعيد بمشاهدة سيادتك.

شالو : أشكرك من كل قلبي على عواطفك، يا عزيزي الأستاذ

باردولف. (للغلام) وأنت أيضاً أهلاً بك، يا صديقي
الباسل... تعال، يا سرّ جون.

فالسّاف : سألحق بك، يا أستاذي الكريم روبرت شالو. (يخرج
شالو). يا باردولف، إسهر على جيانا. (يخرج باردولف
والغلام). ولو قُطعت إرباً إرباً سأساوي حوالى خمسين
شخصاً من أمثال الأستاذ شالو الهزيل. جميل أن
يلاحظ الانسجام الموجود بينه وبين أرواح هؤلاء
الأشرار. فهم من شدة مراقبتهم إياه أضحوا كالقضاة
المتزمتين. وهو من كثر ما تبادله واياهم من الأحاديث
بات يخاطبهم كأنه خادم أحد القضاة. وذهنيّتهم
الضيقة متماسكة كشركاء متنافري المصالح يتناغمون
كالأوزات البرّية. فإذا شئت الحصول على أمرٍ ما
من الأستاذ شالو، ما لي إلّا أن أتملّق هؤلاء الأشخاص
وأنا مقتنع بأنهم هم وأستاذهم المذكور مجبولون من
طينة واحدة. فالأطف الأستاذ شالو وأنا متأكد بأن
لا أحد يسيطر أكثر منه على خدّامه. لا غرو في
أن الفتنة والغباء هما من الأمراض المعدية. وبالتالي،
يجب على هؤلاء الناس أن يحذروا من معاشرة هذه
الزمرة. وحين آخذ شالو هذا كنموذج ومثال يتسنى
لي أن أضحك الأمير هنري باستمرار طوال مدة عرض
سته أزياء أي مدة أربع جلسات أو صياغة سنديّ

اعتراف بالديون. ولن يبقى له أي وقت فراغ. هذا هائل. ما أفضع الأثر الذي يتركه الكذب لا سيما عندما يؤيده حلفان كاذب أو مزاح سخيف يلقي برصانة على فتى لم يذق طعم الألم فيصاب رأسه بالصداع، ستراه يضحك حتى يصبح وجهه نظير رداء مبلول لبسه صاحبه على قفاه.

شالو (ينادي من الداخل) : يا سرّ جون.
فالسّتاف : أنا آتٍ، يا أستاذ شالو. أنا آتٍ.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر ويستمنستر

(يدخل ورويك واللورد كبير القضاة).

ورويك : يا مولاي كبير القضاة، الى أين أنت ذاهب؟

كبير القضاة : كيف حال الملك؟

ورويك : صحّته هزيلة، وقد تراكمت عليه الهموم.

كبير القضاة : أمني أن لا يكون قد مات.

ورويك : لقد سلكت طريقاً خطراً، وبالنسبة إلينا لم يعد من عداد الأحياء.

كبير القضاة : كم وددت أن يأخذني صاحب الجلالة معه في هذه الرحلة. لأن الخدمات الكثيرة التي أدّيتها له بكل ولاء، وهو حيّ تتركني عرضةً لجميع الاضطهادات بعد غيابه.
ورويك : أظن في الواقع، ان الملك الجديد لا يحبك كما يجب.
كبير القضاة : أنا عالم بذلك. ولذا استعدّ لمجابهة الوضع الحالي الذي لا يمكن أن يكون رهيباً بالنسبة اليّ أكثر ممّا أتصوّره.

(يدخل الأمير جون والأمير همفري وكلارانس وويستمورلند وغيرهم).

ورويك : ها هم أولاد المرحوم هنري آتون والحزن يكسو وجوههم. ليت لهؤلاء الأمراء الثلاثة صفات أكثر سموّاً من الملك الراحل هنري. فكم من النبلاء حينذاك يحافظون على مناصبهم، إزاء أخلاق كهذه من أردأ المزايا.

كبير القضاة : وأنا أيضاً، أتمنى أن تنقلب الأمور رأساً على عقب.
الأمير جون : نهارك سعيد، يا ابن عمي ورويك.
الأميران همفري وكلارانس : نحن نتقابل كأشخاص فقدوا موهبة الكلام.

ورويك : ونحن نتذكّر ما جرى. لكن الموضوع كئيب، ولا سبيل الى قبول الخطب الطويلة.
الأمير جون : نتمنى السلام على كل حال لمن جعل أيامنا كئيبة.

كبير القضاة : بل نتمنى أن يلازمنا السلام وينجيننا ممن يضاعف شقاءنا.

همفري : أجل، يا مولاي العزيز، لقد خسرت صديقاً بكل معنى الكلمة. وأقسم ان ما يرتسم على محياك من القنوط ليس مستعاراً، بل يدعم الحقيقة عينها.

الأمير جون : مع ان لا أحد يسعه أن يؤكّد ما خصّنا به من امتيازات، لا سيما أنت الذي تترقب أبرد استقبال. وهذا ما يضاعف أساي. أسأل الله أن يجعل الأمور تسير بعكس ما تبدو عليه.

كلارانس : يتحتم عليك الآن أن تحسن معاملة سرّ جون فالستاف وأن تسلك هكذا إتجاهاً يخالف مبادئك وطباعك.

كبير القضاة : أيها الأمراء الأعزاء، ما فعلته قد أقدمت عليه بكل مروءة وبحكم ضميري الحي غير المنحاز. ولن تروني أبداً ألتمس صفحاً عن بعض هفواتي الطفيفة. اذا كان الولاء وحسن النية لا يحميانني، فالأجدر بي أن ألح بمولاي الملك المتوفّي وأخبره بمن أرسلني اليه.

ورويك : ها هوذا الأمير قد أتى.

(يدخل الملك هنري الخامس).

كبير القضاة : نهارك سعيد، حفظك الله يا صاحب الجلالة.
الملك : هذه الحلة الجديدة الرائعة الجليلة، لا تناسبني كثيراً كما تظن. يا أخوتي أنتم تمزجون حزنكم ببعض

المخاوف. هنا بلاط انكلترا وليس بلد بني عثمان.
وأنا لا أشبه ذاك السلطان الذي حين تسنم العرش
قتل جميع اخوته ليتخلص من مزاحمتهم. فأنا هنري
قد خَلَفْتُ والدي هنري. مع ذلك هذا لا يزيل مسحة
الكآبة عن وجوهكم، يا أخوتي الأحياء، لأن هذا الحزن
يليق بكم ما دمتم تلزمون الجِداد الملكي الذي أودّ
أن أحافظ عليه كتقليد مشكور. وأنا شخصياً أحرص
عليه في أعماق قلبي، يا أشقائي الأعزاء. وأقسم لكم
اني سأكون لكم في آن واحد خير أب وخير أخ.
فأرجوكم أن تحيطوني بمحبتكم، وأنا أخصكم
برعايتي. أجل ابكوا هنري الميت كما أنا أبكيه. لكن
هنري الحي سيعرف كيف يحول دموعكم هذه الى
بسمات.

الأمراء الثلاثة : نحن لا نرجو من جلالتك أكثر من ذلك.
الملك : ما لي أراكم تنظرون اليّ بصورة غريبة؟... (لكبير
القضاة) وأنت بنوع خاص، أعتقد بأنك مقتنع بأنني
لا أحبك.

كبير القضاة : أنا مقتنع، من قبيل العدالة، بأن ليس لدى جلالتك
أية حجة لكي تبغضني.

الملك : كلا. كيف تريد مني أنا الأمير وقد وصلت الى أعلى
المراتب، أن أنسى ما سُمّنتي اياه من شتى التحقيرات

والتوبيخات والمراقبات والعقوبات حتى السجن لا سيما يوم كنت وريث عرش انكلترا المرتقب. هل كل هذا بسيط في نظرك؟ هل يمكنني التغاضي عن كل هذه الالهانات ونسيانها هكذا بسهولة كأنها لم تكن؟

كبير القضاة : لقد حللت انا محلّ شخص والدك، لأن صورة حكمه كانت مرتسمة على صفحة حكمتي واستقامتي. بينما في ادارة عدالته كنت انا مكلفاً برعاية مصالحه العامة، فشئت، يا صاحب الجلالة، أن تتناسى كرامتي وهيبة القانون ونزاهة العدل، وهي في الحقيقة صورة الملك الذي كنت أمثله. فضربت أنت عرض الحائط بهيبة مقامي كقاضٍ. وأمام هذا التحدي الذي قصدت به والدك، قمت أنا بواجبي بشجاعة واستخدمت سلطتي وسجنتك. فإن كان هذا التصرف يستحق اللوم أقلني الآن وقد انتقل التاج الى رأسك لكي تشاهد قريباً ابنك يعبث بقراراتك ويقتلع جذور هيبة العدل من محكمتك السامية ويعرقل سيرها ويدوس السلطة التي تحمي السلام والأمان حول شخصك الكريم ويشوّه صورة مُلكك ويهدم انجازاتك القيّمة ويقوّض أركان عدالتك وهي أساس دوام حكمك. راجع فكري الملك وضع نفسك في هذا الموقع واختر خط نهجك

هذا المنطلق. كن أباً وتخيّل نفسك انك أيضاً ذاك الابن، وتأملّ الاهانة التي تلحق بكرامتك، وانظر الضرر الذي يتهدّد قوانينك بوقاحة لا تخطر ببال. تصوّر نفسك موضوع ازدراء ولدك وتخيّلني انا القاضي في سبيل الحرص على وقار شخصك وسلطتك اضطر الى معاقبة ابنك. بعد هذا الفحص الدقيق الرصين حاكمي. وبما انك الملك أعلن على هذا الأساس ان ما قمت به لا يليق بكرامتي وبشخصي ولا سيما بسلطتك التي أمثلها، يا مليكي الكريم.

الملك : الحق الى جانبك، لأنك تقدّر الأمور حق قدرها. اذاً، واصل على الدوام حمل الميزان والسيف رمز العدالة والنزاهة. وأنا أتمنى أن تجمع أمجاداً جديدة حول شخصك الى أن ترى لي ابناً يهينك وتخضعه لقراراتك الحكيمة كما كان حالي معك. وأتمنى أن أعيش طويلاً لأكرّر أقوال أبي : « سعيد انا لأن في إدارتي رجل شجاع لا يهاب الفساد ويجرؤ على فرض العدالة حتى على إبنني. وسعيد أنا أيضاً لأن إبنني يُخضع عظمتة لهيبة العدالة ». فلأنك عاقبتني وسجنتني بدون تردد، أضع السيف القاطع في قبضتك لتكافح الشرّ وقد تعودت طويلاً على حمله غير هيّاب سطوة مستبدّ مهما كان متغطرساً. وأوصيك بأن تستخدمه بمثل

العدل الجريء المنصف الذي أثبت جدارتك على
حملة لحماية مصالح مملكتي. ها هذا يدي تمتد
لمصافحتك. فكن أباً لشبابي، لأن صوتي يعلن ما
تهمسه في أذني، وأنا مستعد لأن أخضع مشيئتي
بتواضع لتوجيهات حنكتك وحكمتك واستقامتك.
وأنتم جميعاً، أيها الأمراء، صدّقوني اني استحلفكم
كي تحذوا حذوي. فلقد تحمّل أبي نزق شبابي بصبر
وحمل آلامه معه إلى القبر. لأنه في مثواه الأخير وأرى
أيضاً عواطف الصبيانية، وأنا أقتبس الآن بمشقة روح
شهامته لأجابه تحدّيات كل العالم الذي لا تجديه
جميع التوقعات ولكي أمحو الأحكام الموضعية التي
صوّرتني في نظر الناس حسب مظاهري المستهترّة.
لقد تدفق نرف الدم حتى وصل الى هنا بصورة وقحة
طاغية. والآن تحوّل مجراه نحو البحر حيث يختلط
بالأمواج المتلاطمة ويظل سارياً مع ذلك في هدوء
الجلالة والعظمة. سأستدعي حالاً مجلس معاوني
السامين واختار منهم مستشارين لكي أتيح للهيئة العليا
في إدارة دولتي أن تماشي تقدم الأمة من خلال أفضل
أحكامها، ولكي يستتب السلم لمنع الحرب، وكلاهما
عاملان أليفان حكيمان لا بدّ من المحافظة على التوازن
بينهما. (لكبير القضاة). وفي كل هذه التدابير، وأنت
بمثابة والدي، ستساعدني على الحكم حسب خبرتك

الواسعة وحكمتك السديدة. وبعد تتويجي سأجمع،
كما سبق وأعلنت، كافة أركان الدولة، آملاً أن
يستجيب الله دعائي ويعينني على تحقيق أمانتي، كي
لا يظل أمير أو وجيه يسره أن يتمنى على السماء
أن تختصر يوماً واحداً من أيام حياتي السعيدة، أنا
هاري، لأنني لا أريد إلاّ خير كل واحد من رعاياي
متمنياً أن يعيش الجميع في سعادة ورخاء.

(يخرجون).

المشهد الثالث

وسط حديقة شالو عند الغسق في كلوسستر شاير

(يدخل فالستاف وشالو وسيلانس وباردولف والغلام ودافني).

شالو : هيّا بنا نشاهد أرجاء حديقتي، ونتذوّق تحت ظلال
الأشجار تفاحاً لذيذاً من انتاج السنة الماضية، طعمته
انا بيدي، وماكل أخرى مع كأس يانسون... تعال،
يا ابن عمي سيلانس، وبعدئذٍ نذهب لننام.

فالستاف : أرى انك تملك منزلاً جميلاً لا أفخم منه.

شالو : بل لا أحقر منه. كلهم أوغاد، يا سرّ جون. ما أنعم

هذا النسيم العليل. قدّم لنا، يا دايفي، ما جهّزته من
أطعمة طيبة. هيا قدّمها لنا بدون تأخير.

فالستاف : دايفي هذا يخدمك بأشكال شتى، لأنه خادمك
وبستانيك معاً.

شالو : هو خادم أمين وماهر في الطهي، يا سرّ جون. لقد
شربت كثيراً من الخمرة أثناء العشاء. أجل هو خادم
صالح. والآن تعال واجلس، يا ابن عمي.

(يجلس فالستاف وشالو وسيلانس الى المائدة).
(يغني).

سيلانس : بدمتي، سنتعوّد على هذا، كما يقال...

... ما ألدّ تذوّق الأطعمة الشهية

وشكر السماء على هذه السنة الغنية

فيها المآكل وافرة والمرأة ذات العفاف

يتمايل حولها الماجنون كالأطياف،

لنسرّخ ونمرّخ،

ونظلّ على الدوام في هرج ومرج ومزاح.

فالستاف : ها هوذا انسان مرح يحبّ النكات الطريفة. يا أستاذ

سيلانس، أنا أشرب نخبك على هذا الأساس.

شالو : أسكب، يا دايفي، كأس خمرة للأستاذ باردولف.

دايفي (لباردولف) : لذيذة حقاً، يا سيدي. تفضّل اجلس. (يجلس باردولف

والغلام الى مائدة أخرى). سأعود اليكما بعد لحظة. هذا

لذيذ جداً، يا سيدي. تفضّل اجلس... أيها الغلام
النجيب، تمتّع بهذا الجوّ المؤنس، وما ينقصك من
المآكل، عوّض عنه بالشراب، أرجوك أن تعذرني.
المهم أن تكون مرتاح البال.
(يخرج دايفي).

شالو : لا تحرم نفسك من المرح، يا أستاذ باردولف. وأنت
هناك، أيها الجندي، إنعم بوجودك معنا.

سيلانس (يغني) :

لنمرخ ونفرخ، فزوجتي نظير غيرها من النساء
كل بنات حواء غادرات، صغيرات أو كبيرات على السواء.
القاعة حبلى بالمجون واللّحي تهتز نشوى بدون حياء
فأهلاً بالأيام الحلوة البهيجة التي تدعونا
الى الطرب والمرح والزهو طوال ساعات تروينا.

فالستاف : لم أكن أصدّق ان للأستاذ سيلانس مثل هذا المزاج
المرح.

سيلانس : من؟ أنا؟ لقد عاقرت بنت الحان أكثر من مرة في
الماضي.

(يدخل دايفي).

دايفي (يضع صحناً أمام باردولف) : هذا صحن من المنوّعات لتتذوّق
ما فيه من لذيذ المآكل.

شالو : أشكرك، يا دايفي.

دايفي : أعذرني، يا صاحب السيادة. سأعود اليك بعد لحظة.
(لباردولف) هل تريد كأس خمرة، يا سيدي.

سيلانس (يعني) :

كأس خمرة لذيذ يفتح الشهية
وأنا أشربها نخب عشيقتي الصبية
لأن القلب المسرور يحب الحياة السخية.
فالستاف : صدقت، يا أستاذ سيلانس.

سيلانس (يدمدم) :

لنسرح ونمرح، فها هو الليل قد أقبل،
ومعه أطيب الأوقات من الله نسأل.

فالستاف (يشرب) : هذا نخب صحتك وعمرك الطويل، يا أستاذ
سيلانس.

سيلانس (يعني) :

إملاً لي الكأس واعطني لأشرب
فأناجيك وأسامرك حتى الخمرة تنضب.

شالو : أهلاً بك، أيها الشريف باردولف. تباً لك. هل تحتاج
الى شيء ولا تطلبه مني. (للغلام) مرحباً، أيها المحتال
الصغير... ها أنا أشرب نخب الأستاذ باردولف، ونخب
كل فرسان لندن.

دايفي : أتمنى أن أشاهد لندن مرة واحدة قبل أن أموت.
باردولف : وأنا آمل أن أراك هناك، يا دايفي...

شالو : بدمتني، كلاكما تشربان معاً برميلاً من الخمرة... أليس

كذلك، يا أستاذ باردولف؟

باردولف : أجل، يا سيدي، في كوب أملاه من إنائين كبيرين
الى أن يفرغا.

شالو : شكراً... لذا أؤكد لك ان الوقت سيتشبت بأذيالك،
لأنه كالحصان الأصيل يتعلّق بصاحبه.

باردولف : وأنا سأتمسك به، يا سيدي.

شالو : هذا كلام ملوكي. لا تحرّم نفسك ملذّات الحياة،
وكنّ مرحاً على الدوام. (يطرق الباب). إذهب وانظر
من في الباب... من يطرق الباب، يا هذا؟

(يخرج دايفي).

فالستاف (لسيلانس الذي يشرب جرعة) : أنت تثبت وجهة نظري.

سيلانس (يغني) :

ضع الحق بجانبني دوماً،

وساندني أيها الفارس يوماً

فلا بدّ لي أن أملك قوماً.

أليس كذلك؟

فالستاف : أجل، هكذا.

سيلانس : نعم، نعم. أعترف بأن الرجل المسنّ لا يزال نافعاً
لأمرٍ ما.

(يدخل دايفي ثانية).

دايفي : هذا بيستولي قادم من البلاط الملكي ببعض الأخبار.
فالستاف : من البلاط الملكي؟ دعه يدخل حالاً.

(يدخل بيستولي).

فالستاف (يوصل كلامه) : ما وراءك من الأنباء، يا بيستولي؟

بيستولي : حفظك الله، يا سرّ جون.

فالستاف : ماذا جاء بك الى هنا، يا سرّ بيستولي؟

بيستولي : على كل حال، أخباري ليست بسيئة ولا تزعج أي

إنسان. أنت اليوم من خيرة شخصيات هذه المملكة.

سيلانس : أنا أصدّقك، لكن أقلّ من الرجل البدين القابع في ورويك.

بيستولي : ليحمل ابليس هذا البدين الى الجحيم، لأنه جبان

خسيس. أنا صديقك، يا مولاي، وقد جئت الى هنا

على حصاني بأقصى السرعة لأنقل اليك أهمّ المعلومات

وأبهجها، وهي تساوي ذهباً وهاجاً وتستحقّ الجائزة

الكبرى.

فالستاف : أرجوك أن تسردها لي لأشرح بها صدري.

بيستولي : تباً لهذا العالم ولعبيده الأوغاد. أنا أتكلم عن افريقيا

وعن أفراح العصر الذهبي.

فالستاف (يلقي الكلمة التالية) :

يا أيها الخيال الآشوري، ما وراءك من الأخبار؟

عل ملك الغناء أن يعلن الحقيقة المجرّدة.

سيلانس (يعني) :

ها هو روبين هود، مورّد الخدّين بلقائه حبّيته جيّهان.

بيستولي : هل المطلوب من الكلاب أن تردّ على أولاد جبل

هيليكون اليوناني؟ وهل يجوز له أن يهزأ هكذا بالنبأ

الसारّ اذاً، عليّ أنا بيستولي أن أزجّ بنفسي في أتون

المعركة.

شالو : أيها الوجيه الشهم، لا أفهم معنى تصرفاتك.

بيستولي : اذاً عليك، ان تندب حظك.

شالو : أعذرني، يا سيدي. اذا كنت تأتي بأخبار البلاط،

أنا أعتقد بأن أمامك حلّين لا ثالث لهما : إمّا أن

تبوح بها لنا، وإمّا أن تكتمها عنّا. فأنا هنا أمثل نوعاً

ما سلطة الملك.

بيستولي : أي ملك تقصد؟ هل تعني الفتى الطائش؟ تكلم أو

تستحق الموت.

شالو : يقصد الملك هنري.

بيستولي : هنري الرابع أم الخامس؟

شالو : هنري الرابع طبعاً.

بيستولي : تبتاً لخدمتك. إنّ حملك الوديع، يا سرّ جون هو الآن

ملك. وهنري الخامس هذا هو رجل الساعة. أنا لا

أقول إلّا الحقيقة الأكيدة. واذا كنت انا بيستولي كاذباً،

فلا بدّ لي من أن أتحمّل المسؤولية نظير الدّعيّ

المخاتل.

- فالستاف : ماذا تقول؟ هل مات الملك العجوز؟
- بيستولي : نظير وضع النهار والشمس الساطعة، كل ما أقوله صحيح لا سبيل للشك فيه.
- فالستاف : هيا نرحل، يا باردولف. أسرج حصاني. وأنت، يا أستاذ روبرت شالو، اختر المنصب الذي تريد أن تشغله في هذا البلد، فيكون لك حتماً. أرجو لك المزيد من التوفيق، يا بيستولي.
- باردولف : ما أحلى الأيام السعيدة. لن أبدل ثروتي الطائلة بشهادة أحد الفرسان.
- بيستولي : اذاً، الأخبار التي أتى بها جيدة.
- فالستاف : خذ الأستاذ سيلانس الى سريره... يا أستاذ شالو، كن من شئت. أمّا أنا فسأظلّ حليف الحظ والثروة. إنتعل جزمته لأننا سنسافر على ظهور الخيل طوال الليل. وأنت، يا بيستولي الظريف... هيا نرحل، يا باردولف (يخرج باردولف). تعال، يا بيستولي، وزودني بمزيد من أحاديثك الشيقة. واجتهد أن تختار ما يناسبك منها... إنتعل جزمته، يا أستاذ شالو. أنا أعرف جيداً ان الملك الشاب يميل اليّ. خذوا جياد أول الواصلين الى هنا. فإن قوانين انكلترا كلها تحت أوامري، وأتمنى الحظ السعيد لمن كانوا من أصدقائي. والويل للورد كبير القضاة.

بيستولي : دعوا الصقور تنهش رثتيه. أين البهجة التي كنت أرتع
بها في الماضي؟ ها هي. فأهلاً بالأيام المرحه.
(يخرجون).

المشهد الرابع

في أحد شوارع لندن

(يدخل رقباء يشدون المضيفة كويكللي ودوروثي تروذرا).

المضيفة : لا، لا، أيها الوغد اللئيم. قبل أن أموت أودّ أن أراك
معلقاً بحبل المشنقة. لقد خلعت لي كتفي، أيها
الخبيث.

الرقيب الأول : سلّمني اياها رجال الأمن. أوّكد لك أنها ستذوق
طعم الشياطين، إذ قُتل رجل أو اثنان مؤخراً بسببها.

دوروثي : أنت كاذب أيها المحتال. لعنة الله تنصبّ عليك، يا
صاحب الوجه المشؤوم. اذا ولد الطفل الذي أحمله
في أحشائي قبل الموعد المنتظر، فالأهون عليك أن
تضرب أمك أيها الدجال.

المضيفة : يا إلهي. ليت سرّ جون كان هنا. لجعل هذه المشكلة

قضية دموية. أسأل الله أن لا تأتي ثمرة أحشائها الى هذا العالم قبل أوانها.

الرقيب الأول : اذا حدث ذلك ستقدّم لها أكثر من عشرة مساند. لأنها لا تملك الآن سوى واحد. هيا إتبّعاني كلاكما. لأن الرجل الذي ضربتماه، أنت وبيستولي، قد مات. دوروثي : أصرّح لك، أيها الرجل الهزيل صاحب الوجه المستطيل، بأني سأضربك بعنف لأجل ما سبّته لها من إزعاج، أيها العقرب السامّ. أقسم لك اني سأضربك ضرباً مبرّحاً.

الرقيب الأول : أصمتي، أيتها الوقحة. المضيفة : لا بدّ للحقّ من أن يتغلّب على القوّة... ها قد أتى الفرج بعد طول العذاب.

دوروثي : هيا أيها الغبي. خذني الى القاضي. المضيفة : نعم، تعال، أيها الكلب الجائع النباح. دوروثي : تَبّاً لك، يا شبيه الرجال، بل يا أيها الهيكل العظمي المريع.

المضيفة : أجل، انت هيكل عظمي شنيع. دوروثي : تَبّاً لك من هزيل خسيس. الرقيب الأول : حسناً. سنرى ما يكون من أمركما.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في ساحة دير ويستمنستر.

(يدخل غلامان ويفرشان الأرض بسطاً)

الغلام الأول : دائماً مزيد من البُسط.
الغلام الثاني : لقد نُفخ البوق مرتين.
الغلام الأول : ستدق الساعة الثانية عندما نعود من التتويج... عَجَلْ، عَجَلْ.

(يخرج الغلامان).

(يدخل شالو ويستولي وباردولف والمرافق).

فالستاف : عليك أن تظلّ هنا بقربي، يا أستاذ روبرت شالو،
لأنني أنوي أن أقدمك الى الملك. سأتطّلع اليه بطرف
عيني عندما سيمرّ، وستلاحظ كيف سيرمقني بنظرة
عطف.

بيستولي : بركة الله تشملك، أيها الفارس المغوار.

فالستاف : تعال الى هنا، يا بيستولي، وقف خلفي. (لشالو) لو
تيسّر لي الوقت الكافي لصنع ثياب جديدة، لكنك
فكّرت بالألف ليرة التي أقرضتك اياها. لكن لا أهمية
لذلك، وهذا أفضل، لأنه يثبت الجهد الذي بذلته لأراه
على هذا الحال.

شالو : ما العمل؟

- فالسّتاف : هذا برهان على حرارة مودّتي.
- شالو : فعلاً.
- فالسّتاف : وعلى صدق تفانيّ أيضاً.
- شالو : في الحقيقة.
- فالسّتاف : يبدو عليّ اني ركبت حصاني ليلاً ونهاراً، بدون تردّد ولا تفكير، وبدون أن يتسنى لي أن أغيّر ملابسي.
- شالو : هذا مؤكّد.
- فالسّتاف : ها قد كساني غبار الطريق من جرّاء طول مسافة السفر. فتصبّب العرق من جسمي شوقاً الى رؤياه، وأنا لا أتصوّر إلا هذا الأمر، متناسياً كل ما عداه، كما لو لم يكن لديّ في الدنيا إلا مشاهدته.
- بيستولي : دائماً هو ذاته ولا شيء سواه. هذا كل همي في الحياة.
- شالو : نعم، بدون شك.
- بيستولي : أيها الفارس المقدام، سيحرق الهمّ كبدي وسأنفجر من شدّة الغيظ. ان دوروثي التي تعتبرها كأنها هيلانة طروادة بالنسبة الى تفكيرك السخيف هي الآن نزيلة السجن، وقد جرجرتها اليه أياد ليس أقدر منها. يمكنك أن تتخيّلها كحيّة رقطاء داخل جحرها تفتح لتنتقم بضرارة. وبيستولي بذاته روى لي ذلك، وأعتقد أنّ لا يقول إلاّ الحقيقة الأكيدة.
- فالسّتاف : سأنقذها انا منه.

(تسمع هتافات وموسيقى).

بيستولي : هذا هدير البحر وصوت البوق الذي يصم الآذان.
(يدخل الملك وموكبه الذي يضم كبير القضاة).

فالستاف : حفظك الله، يا صاحب الجلالة الملك هال. يا صديقي
هال العظيم.

بيستولي : اني ألتمس من السماء أن تسهر عليك وتحرسك،
أيها الملك المبجل، يا ابن المجد الأصيل.

فالستاف : حفظك الله، يا ولدي الحبيب.
الملك (يشير الى فالستاف) : يا سيادة القاضي، أرجوك أن تكلم هذا
الوقح.

كبير القضاة (لفالستاف) : هل يحق لك أن تتحدّث هكذا؟ وهل تدري
ماذا تقول؟

فالستاف : يا مليكي المعظم، يا هرقل الجبار، اليك أوجّه كلامي
من صميم قلبي.

الملك : أنا لا أعرفك، أيها الرجل المسنّ. يجمل بك أن تذهب
وتصلّي. لأن شعرك الشائب الأبيض لا يليق بما تظهره
من هوس. لقد أبصرت مراراً في الحلم مستهتراً عجوزاً
مثلك غائصاً في السكر والعريضة. لكني عندما
استيقظت من النوم ازدريت بحلمي. إجتهد ان تخفف
من الآن وصاعداً انتفاخ بطنك، وأن تضاعف فضائلك.

أقلع عن الشراهة واعلم ان تخمتك الدائمة ستودي بك الى القبر قبل الأوان. لا تجبني بمزاح سمج، ولا تظنّ اني لا أزال كما كنت. لأن الله يعلم، والناس يلاحظون اني طردت من كياني ذاك الرجل القديم وسأطرد عني جميع الذين كانوا في الماضي من أعزّ رفاقي. واذا سمعت اني لا أزال كما كنت عليه من الشطط، تعال اليّ وستعود كما كنت مسبب انحرافاتي وما تملّكني من فوضى. والآن، أنا أبعدك عني وأهدّدك بالموت اذا خالفت وصيتي، مثلما أقصيت عني جميع من أفسدونني. وأحرّم عليك أن تسكن على بعد أقل من عشرة أميال من قصري، وأصرّ على تقيّدك بهذا التدبير. أمّا ما خصّصته لك من مبلغ لمصروفك فيصلك لكي لا تشجّعك حاجتك على عمل الشرّ. ومتى علمتُ بأنك أصلحت سيرتك فعلاً، فبحسب مقدرتك واستحقاقك سأوظفك في شغل يناسبك. (لكبير القضاة) أكلفك، يا صاحب السيادة، بأن تنفّذ أوامري بحذافيرها. والآن لنكمل مسيرتنا.

(يخرج الملك وموكبه).

فالستاف : يا أستاذ شالو، انا مدين لك بألف ليرة.
شالو : أجل، يا سرّ جون، أرجوك أن تعطيني اياها لآخذها الى منزلي.

فالسّتاف : هذا الآن غير ممكن، يا أستاذ شالو. لكن لا تحزن على ذلك. سيرسل في طلبي بصورة خاصة. هكذا يتظاهر بالتغيير أمام الجمهور، فلا تقلق على ما سلّفتك اياه لأنني على استعداد دائم لأخلق منك شخصيّة بارزة. شالو : لا أرى كيف يتم ذلك، إلا اذا أعطيتني ثوبك الأرجواني وحشوتني تبناً. أستحلفك بالله أن تسدّد لي خمسمئة ليرة بدل الألف.

فالسّتاف : يا سيدي، أنا مصمّم على وفاء وعدي. وما رأيته هنا ما هو إلّا لون واحد من مزاياي.

شالو : لون واحد، يا سرّ جون؟ أخشى أن يصبغك ويطغى عليك لونك الجديد فلا يعرفك أحد من أصحابك.

فالسّتاف : لا ينشغل بالك، ليس هناك من لون يشوّهني. تعال لتناول طعام الغداء على مائدتي. هيا، أيها القائد بيستولي، وأنت أيضاً، يا باردولف. سأستدعي حتماً هذا المساء باكراً.

(يدخل الأمير جون وكبير القضاة وموظفو المحكمة).

كبير القضاة : رافقوا، من فضلكم، سرّ جون فالستاف الى سجن شارع فليت. وخذوا معه جميع رفاقه.

فالسّتاف : يا مولاي...

كبير القضاة : لا أستطيع أن أتحدّث إليك الآن. سأستمع الى حديثك بعد برهة. هيا خذوهم.

بيستولي : اذا عاكسني الحظ، راضاني الأمل.

(يخرج فالستاف وشالو ويستولي وباردولف والغلام وموظفو المحكمة).

الأمير جون : أقدر كثيراً تصرف الملك النبيل، لأنه أصرّ على أن يكون جميع رفاقه القدماء من الأقوياء المرموقين. لكنهم كلهم أبعدوا حتى تستقيم أخلاقهم وتظهر للملأ أسمى وأرصن مما كانت عليه في الماضي.

الأمير جون : الملك استدعى أعضاء مجلسه للاجتماع به. كبير القضاة : فعلاً .

الأمير جون : اراهن على أننا قبل نهاية هذا العام سنحمل أسلحتنا وحماسنا الوطني الى أراضي فرنسا. وقد سمعت أحد المطلعين يعلن ذلك. وخيل اليّ ان الملك أعجبه هذا المشروع. هيا تعالوا معي لنرى ما يكون.

(يخرج الجميع).

خاتمة

أولاً، أبدي لكم خشيتي، ثم أقدم لكم احترامي، وأخيراً ألقى عليكم خطابي. أما خشيتي فتصدر عن عدم إرضائكم، واحترامي يتجسّم في إكرامكم، وخطابي يشتمل على طلبي عفوكم. فاذا ترقّبتم مني حديثاً رائعاً كنت انا الخاسر. لأن ما سأتلوه على مسامعكم هو من تألّفي أنا، وما سأقوله في الحقيقة أخاف أن لا يكون في صالحني. لكن، في الواقع، ولأجل الصدفة... اعلموا اذاً، وانا واثق بأنكم تعرفون جيداً، اني ظهرت هنا في ختام مسرحية ربّما غير ناضجة لألمس حلمكم ولأعدكم بما هو أفضل منها. وكنت أنوي فعلاً أن أفي بوعدني ضمن هذه المسرحية. فاذا كان ذلك مني لاسترعاء انتباهكم، فعملي غير موفق، وقد أفلستُ، وأنتم، يا دائنيّ الأعزاء لم تكن من نصيبكم إلا الخسارة الفادحة. فخففوا من أعباء ديوني، لأنني عازم على أن أسدّد لكم قسماً منها. وكالعديد من المدنيين أعدكم بأن أغدق عليكم كنوزاً لا تحصى.

إذا كان حديثي لا يحملكم على تخليص ذمتي، هل تريدون

أن أستخدم رجلِي لأهرب حالاً؟ لكن لا، أكون قد دفعت لكم هكذا بعملة غير رائجة اذا صفيت ما لكم عليّ من ديون بالفرار من وجهكم. مع ذلك، على الضمير الحيّ أن يقدم لكم على الأقل ترضية ممكنة ومقبولة، وهذا ما أنا مصمّم على فعله. جميع النساء اللطيفات الحاضرات ها هنا قد سامحنني. أمّا الرجال فلا يحذون حذوهنّ، وهذا ما لم يلمسه أحد في مثل هذا المجتمع الراقي.

هناك كلمة أخيرة أرجوكم أن تصغوا إليها. اذا لم تتقرّز نفوسكم من اللحم والدسم، فإن مؤلفنا المتواضع سيكمل هذه القصة حيث سيظهر أيضاً سرّ جون وسيضحكم مع الفرنسية الحسناء كاترين. هنا، على ما أعلم، سيموت فالستاف على أثر خضّة عنيفة، إلّا اذا أقدمتم أنتم على ذبحه بطريقة شرسة. لأن المدعوّ « أولد كاسل » قضى شهيداً. وهذا الأخير ليس الرجل المشار إليه ذاته. الآن، وقد كلّّ لساني وتعبت أيضاً قدماي، أتمنى لكم ليلة سعيدة. في خاتمة المطاف، أنحني أمامكم إحتراماً، وأجثو بغية الصلاة لأجل الملكة الكريمة.

تمت مسرحية هنري الرابع